التذكرة فى الوعظ

لابن الجوزى

تحقيق

طه عبد الرءوف سعد







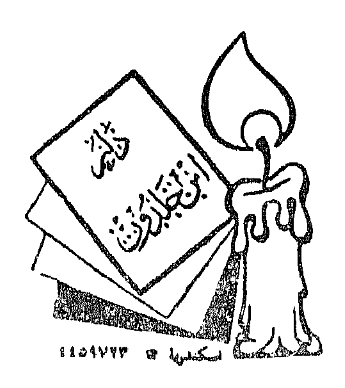


التذكرة فى الوعظ

لابن الجوزي

تحقيق

طه عبد الرءوف سعد





المقدمــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبى ونعم الوكيل

سبحان اللّه ماتعاقبت الليالى والأيام، والحمد لله عدد الشهور والأعوام، ولا إله إلا اللّه لاتتصور عظمته الأوهام .

واللّه أكبر ذو الجلال والإكرام، والعزة التى لاترام، مدهّر الدهر، مدبّر الأمر، ومقدّر اليوم، والليلة، والسنة، والنهار، والعالى فوق كل شىء بالسلطان والقهر والجلال .

كل معبود دون اللّه باطل، وإنه وحده دون غيره رب الأواخر والأوائل.

كيف يكون غيرَ اللّه معبودٌ سواه، وكل من تحت عرشه يرجوه ويخشاه ؟ أليست الشمس والقمر والنجوم مسخرات ؟ أليست السموات والأرض ومافيها بحكمته مدبرات ؟ أليست الأهلة بتسخيره على أقطارها دائرات ؟ أليست العقول فى فلوات تيه (١) معرفته حائرات ؟

سبحانه سبحانه ، ماأعظم شانه.

سبحانه سبحانه ، ماأدوم سلطانه.

عـــبـــدٌ تَولاَّه الإله بنَفْســـه وَسَقَاهُ من كأس المحبــة مــافــيــهــا

من صفا مع اللّه صافاه، ومن أوى إلى اللّه آواه، ومن فوض أمره إلى اللّه

---

(١) الفلاة : الأرض التى لا ماء فيها و «التيه» المفازة وهى التى لاعلامة فيها يهتدى بها ٪

كفاه، ومن باع نفسه من اللّٰه اشتراه، وجعل ثمنه جنته ورضاه .

وعد صادق، وعهد سابق، ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾(١) .

لا يزال العبد خائفاً على نفسه حتي يدخله الله حماه، ومن أراد أن يعلم هل هو من أولياء الله؟ فلينظر كيف ولاؤه لمن والاه، وعداوته لمن عاداه؟

من سلك سبيل أهل السلامة سلم ، ومن لم يقبل مناصحة الناصحين ندم.

لا رزية كرزية (٢) من حرم الاقتداء بشرائع المسلمين.

لا بلية كبلية من مات مصراً على مخالفة رب العالمين.

الحياة كلها في إدامة الذكر، والعافية كلها في موافقة الامور ، والنجاة من الهلاك في ركوب سفينة الكتاب والسنة، والفوز فوز من زحزح عن النار وأدخل الجنة .

ليس الميت من خرجت روحه من جنبيه، وإنما الميت من لا يفقه ماذا لربه من الحقوق عليه .

الكرامة كرامة التقوى، والعز عز الطاعة، والأنس أنس الإحسان، والوحشة وحشة الإساءة، وكل مصيبة لا يكون الله عنك فيها معرضاً فهي نعمة .

الغفلة عن الله ما قدحنا شئ غيره، ولولا الجهل بعظمة الله ما زغنا عن أمره، ولولا الاغترار بحكم الله ما أصررنا على معصيته، ولولا الإساءة فيما بيننا وبين الله ما استوحشنا من كتابه.

كونوا كما أمركم الله، يكن لكم كما وعدكم.

أجيبوا الله إذا دعاكم، يجيبكم إذا دعوتموه.

اعطوا الله ما طلبه من طاعته، يعطكم من رحمته ما طلبتموه.

مثل العبادة بغير إخلاص، مثل الحَدَقة بلا ناظر.

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١١

(٢) «الرزية» : المصيبة والمراد بها هنا المعصية

تسمية الله فى ابتداء كل أمر، نجاح ذلك الأمر(١)

استهداء الله فى كل مسلك أمان للسائر من الضلال.

أيها الناس: من أكرم على الله منكم لو أكرمتم أنفسكم بالتقوى، من أولى بالله منكم لو أحكمتم فيما بينكم وبينه عقد الولاء، من أقرب الى الله منكم لو آثرتم القرب على النوى.

لو عرف الانسان قدر نفسه ما دسَّاها (٢)بمعصية الله، ولا دنَّس عرضه بسوء ثناء الحفظة عليه في حضرة مولاه.

ولا يؤنس فى وحشة القبر إلا العمل الصالح، ولا يطفيء لهب النار إلا نور الإيمان، ولا يثبت القدم على الصراط المستقيم إلا الاستقامة فى السلوك.

الرب خالق، والعبد مخلوق، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق إلا بواسطة الارتباط عليه بالعمل بكتابه الذى أنزله عليه فاعملوا بالكتاب، وتابعوا السنة، تتخلصوا من العذاب وتحصلوا على الجنة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

(١) يقول ﷺ «كل أمر ذى بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر أو قال أقطع».

(٢) أى أو بقها بالكفر والمعصية.

المجلس الأول

نعم الله تستوجب شكره

الحمد لله الذى أيسر ما يستوجب شكر الشاكرين، وقطرة من بحار كرمه تعم جميع العالمين، تملأ القلوب فرحاً بالموهبة اليسيرة من هباته، وتحير القلوب دهشاً بالآية اللطيفة من بدائع آياته.

قتل ملك(1) الأرض كلها ببعوضة دخلت أنفه، وأغرق الذى قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ (2) بقطرة أوردته حتفه، وهل أغرق فرعون من تيار ذلك الماء إلا قطرة حالت بينه وبين شم الهواء.

يجوع الملك العظيم من ملوك الارض ساعة، ثم يَلقَى كسرة فتملأ قلبه سروراً.

ويبتلى الأسد الضارى بذبابة يسقط على عينه، فيظل فى قبضته أسيراً.

ويسلط الحية الصغيرة على الفيل العظيم، فيخر منجدلاً (3) عقيراً.

﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولافي الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ (4).

---

(1) يقال إنه النمرود وهو الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك.

(2) سورة النازعات الآية: 24 وهو فرعون.

(3) «منجدلاً»: منكسراً.

(4) سورة فاطر الآية: 44

إذا اكــتــفتّك عظامُ الأمـــور ولـم تر منهـا عليـهـا مُجـيـرا
وصـيّرك الهـم فى قـبـضـهـة من النّايبـات (١) أسيراً حسيرا
هنـالك فــارجُ الكريم الذى يُصـيّر كل عـسـير يسـيرا
عليّا كـبـيـراً عليـمـاً قـديراً لطيـفـاً خبيراً سميعاً بصيرا
هو المُنشئ الخلق من قـبـضـتـه فـعـبـداً شكوراً وعـبـداً كـفـورا
وعـبـداً سـعـيـداً وعـبـداً غنيّاً وعـبـداً شـقـيّا وعـبـداً فـقـيـرا
له الفـضلُ والعـدلُ فى حُكمـه فَطَوْراً حَبُـوراً وطَوْراً ثبـورا

* * *

لولا الخالق لم يكن المخلوق شيئاً مذكوراً، ولولا الرازق لم يملك المرزوق فتيلاً (٢) ولا نقيراً (٣). كم من نعمة قد أنعم اللّه بها علينا، وكم من حسنة قد ساقها اللّه إلينا : عافانا فى أدياننا من الكفر، وفى أبداننا من الضّر، وأخرجنا من أصلاب آبائنا مسلمين، وأنشأنا بين إخوان مؤمنين، وجعل لساننا الذى نتكلم به أفصح الألسنة لهجة، وطريقنا الذى نسلك به إليه من أوضح الطرق محجة .

فبأى شكر نقابلِ نِعَمَهُ علينا، وبأى جزاء نكافىء إحسانه إلينا .

سبحانه، سبحانه .

ماقام أحد من خلقه بحقيقة شكره، ولاأثنى عليه مُثْنٍ من عباده كما أثنى هو نفسه، ولاقدّره مخلوق حق قدره، لأن ذلك كله موقوف على المعرفة به، وهو بحر مابلغ أحد إلى قعره .

سبحانه، سبحانه .

ماأسبغ أنعمه، وأعدل أحكامه .

لو أننا شكرنا كما فى وسعنا لأوسعنا مزيداً، ولو اتخذناه كما ينبغى له ربّاً

---

(١) «النايبات» : مصائب الدهر
(٢) «فتيلا» : الفتيل : التافه من الأشياء .
(٣) «نقيراً» : النقرة التى فى ظهر النواة .

لاصطفانا لنفسه عبيداً، ولكنا لكثافة الحجاب وقفنا مع الأسباب .

كم مدّعٍ لتوحيد وهو مشرك بربه، وكم قائل أنا عبد اللّه وهو عبد بطنه، يعصى ربه فى إطاعه نفسه، ويبيع رضوان اللّه برضا مخلوق مثله .

كم بين متبع للهوى ـ هوى نفسه ـ قد اتخذ إلهه هواه .

وبين ممتثل أمر ربه يشرى نفسه ابتغاء مرضاة اللّه .

أما يستحى المدعى لمحبة الخالق، أن يكون محبًا لمخلوق أحسن منه فى معاملة الحبيب أدباً؟ وأصح منه فى دعوى المحبة نسباً؟

رؤى مجنون ليلى بعد موته فى المنام، فقيل له : ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى، وقال لى: اذهب، فقد جعلتك حجة على كل من ادعى محبتى.

* * *

أهّلونا لوَصْلِهِمْ ثم صَدُّوا ... ليروا صبّرنا فما إن صبَرنا

ثم جاؤوا بالقرب بعد بُعاد ... ليروْا شكرنا فما إن شكرنا

عذرونا فى كل شيء سوى ... السُّلُوّ عنهم فإننا ما عذرنا

لو عرفنا حبيبنا ما سلَوْنا ... ولكن قدره ما قدرنا

لو سعدنا بوصْله ما شقينا ... لو غنينا بفضْله ما افتقرنا

لو روينا من حبّه ما ظمْئنا ... لو سلكنا فى طريقه ما عثرنا

هو نعم الحبيب لكننا بُئيس (١) ... المحبّون لم نُطع إذا أُمرنا

شفرةٌ من حنان ما قربنا ليـ ... ـلةً فى مرضاته ما سمرنا

لو ذكرنا ما كان منه ... ومنا لخزينا ما ذكرنا

* * *

(١) «بئيس» : تصغير الفعل الماضى بئس.

الزهد فى الدنيا الفانية وطلب الآخرة الباقية

ينبغي للعبد المؤمن بربه إذا نظر الى زهرة الدنيا، فدعته الى نفسها، برونقها البهيج، أن يقول لها بلسان الحال : إليك عنى يا سريعة الزوال! إنما تصلحين للتشويق الى دار ليس لساكنها عنها انتقال، أنت خزف فانٍ، وتلك جوهر باقٍ، فلتفرق بين الدارين عقول الرجال .

* * *

خلِّ عن الزَّوالِ والفنَـ ـاء ويمِّمْ نحو الجَنَاب العَالى
منزلَ الكرامةِ والأُنسِ والبـ ـرِّ ونيلِ المنى ونيلِ النَّوال
تلكَ والله قومٍ شروْها بنفيسِ النّفوسِ والأَموال
حين زُفَّت إليهم خطبَوها ثم ساقوا لها المُهور الغوالى
قاتلوا دونَ خدرها فى هواها بصفاح(١) بيضٍ شر غوالى
ثم حاموا عنها وحاموا عليها بورود الأوجال والآجال(٢)
فامتطوا عزمٍ معشرٍ رغبوا في أن يحلوا ساميات المعالى
سادة قادة حماة كماة محب مزل فحَول ورجال
لبسوا للردى دروع اصطبارٍ ولقوه بعزمة الأبطال
خشية أن يفوتهم ما رجوه من جناب المهيمن المتعال
لم يزالوا فى السير حتى أناخوا(٣) بمحل الإكرام والإجلال
مقعد الصدق فى جناب مليك ذى اقتدارٍ وعزةٍ وجلال

* * *

صفات الفائزين من المؤمنين

أين خُطّاب هذه العرائس؟ أين هذه النفائس؟ هم الذين مدحهم الله فى

---

(١) «بصفاح» : بسيوف صفاح.
(٢) «الأوجال» الخوف .
(٣) أناخ الجمل : اى أبركه فبرك : والمعنى استراحوا

محكم القرآن، فى أول سورة المؤمنين(١)، وآخر سورة الفرقان(٢)

تلك والله صفات الفائزين بالرضوان، والخالدين فى نعيم الجنان، الحائزين رغائب البر ومواهب الإحسان.

اللهم بما أنعمت عليهم، فارزقنا ما رزقتهم فى الدنيا، من طاعتك وذكرك، وفى الآخرة من نعيم جنتك، ولذة النظر الى وجهك، وألحقنا بهم، وأدخلنا فيهم، واجعلنا منهم، ولا تجعل نصيبنا منك ما عجلته لنا من مواهب الدنيا، بل ادخر لنا عندك ما ادخرته لأهل سلامة العقبى.

واجعل الآخرة خير لنا من الأولى، وإذا أقررت أهل الدنيا بالدنيا، فأقر أعيننا بموجبات المغفرة والرحمة والرضا.

يا من عاد يمنع ركنه العائدون، سبحانك، ما أعظم شأنك .

يا من دعته الملبون – سبحانك ما أعظم شأنك – يا من مدّ إليهم أكفهم السائلون – سبحانك ما أعظم شأنك، يا من تقوم السماء، والأرض بأمره–يا من ينقاد الصعب الذلول بحكمه، يا من يفرق المحسن، والمثنى من عدله ـ يا من يفتقر الغنى، والفقير إلى رزقك سبحانك ماأعظم شأنك ـ يامن خضعت الأعناق لعزته، يامن توجهت الوجوه إلى قبلته، يامن اعترفت الخليقة بربوبيته، سبحانك ماأعظم شأنك، يامن له مافى السماوات والأرض كل له قانتون، يامن دعا إلى حج بيته على لسان خليله فلباه فى الأصلاب الملبون يامن اعكف على باب فضله العاكفون . إليه بالدعاء والسؤال يجأرون، وبرحمته فى الدنيا والآخرة يتعرضون ومن مخالفة أمره يستغفرون، وبأذيال عفوه يتمسكون . سبحانك ما أعظم شأنك .

سبحانك، ما أوضح برهانك.

سبحانك، ما أقدم سلطانك.

سبحانك، ماأوسع غفرانك.

---

(١) يقصد قول الله تعالى: قد أفلح المؤمنون ..راجع الآيات (١ ـ ١١)

(٢)يقصد الآيات : وعباد الرحمنالذين يمشون على الأرض هونا .. الآيات (٦٣ – ٧٧)

سبحت لك السموات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والسادات وعبيدها، والأمطار ورعودها، والملوك ومماليكها، والجيوش ومعاركها، والديار وأطلالها، والأسود وأشبالها .

كلٌّ معترف . .

فإنك لفطرته خالق، ولفاقته رازق، وبناصيته آخذ، وبعفوك من عقابك عائذ، وبرضاك من سخطك لائذ، إلا الذين حقّت عليهم كلمة العذاب، فالقضاء فيهم نافذ .

***

يا مـالكاً هو بالنّواصي آخـذ	وقضـاؤه في كل شيء نافـذْ
أنا عائذٌ بك يا كريم ولم يخب	عبد بعزّك مستجير عائذْ
أرجوك ياسؤلي فتحيا مهجتي	والخوف من عملي لكبدي فالذْ فأنا
إن لاذ غيري بالأنام وظلمهم	لذي بظليل ظلّك لائذْ
فامنن عليّ بتوبة يمحا بها	ذنب نظري في القيامة قائذْ

***

مجالس الذكر ولحظات القرب من الله وساعات الغفران منه تعالى

في مثل هذه الساعة يرجى الغفران، ويتوقع الإحسان، ويطلب من صاحب الأمر الأمان.

لو كشف عن الأبصار حوابك الانتشار، لعاينتهم الرحمة، تنزل في هذا الوقت كالأمطار الغزار .

كم لله فى مجالس الذكر من عينٍ محرمة على النار، كم قد وضع فيهاعن الظهور من ثقل الأوزار، وتنفجر فيها ينابيع الرحمة، ويتوفر فيها على الحاضرين من النعمة، ويعطى كل سائل ماسأله، ومبلغ كل آملٍ ما أمله، من كرمٍ ذى الجلال والإكرام، ومواهب من له الفضل والإنعام، الذى لايتعاظم ذنب غفره لجانيه، ولافضل وهبه لسائليه. فأحضروا فى هذه الساعة قلوبكم، واغتسلوا بمياه التوبة ذنوبكم، واستغفروا ربكم فإنه يغفر ذنوب المستغفرين، واعتذروا إليه من تقصيركم، فإنه يقبل عذر المعتذرين، واستنصروا على من بغى عليكم، فما أسرع نصرته إلى المنتصرين .

من كان مقيد الجوارح عن محارم اللهفهو رأس الخائفين .

ومن كان لا يسكن بقلبه إلى شىء سوى الله فهو سلطان العارفين، فارغبوا في القرب من الله .

لله درُّ أقوامٍ عكفوا بقلوبهم عليه، وتقرّبوا بذبح نفوسهِم إليه، لايسمعون فى محبته عذل العاذلين، ولايعتذرون بالإنفاق فى سبيله بِنحل النحالين .

أبغضوا كل من سواه ليكون منهم دانياً، وخرجوا من كل شىء ليدخلوا إليـه، وظعنوا (١) عن كل شىء ليقدموا عليه، وهجروا كل حبيب فى طلب وِصَالِه، وأعرضوا عن كل قريب طمعاً فى إقباله .

فلو قيل لهم : من معبودكم؟ لقالوا: الله. ولو سئلوا: مامقصدكم؟ لقالوا: الله.فالله سبحانه هو معبودهم الذى يعبدونه، ومقصودهم الذى لا يستقرون دونه

* * *

لربِّى عبـــادٌ وحــدهُ يعبـــدونهُ	يرومـــونهُ لايســـتـــقـــرون دونه
هو السندُ الأقـــوى اســـتندُوا به	هو القَصْدُ الأقـصى الذى يقـصدونه
إذا اعتمد المضطر في الخَطْب (٢) غيره	فليس لهم إلا هو يعـــتـــمـــدونه
إذا حَـــسَدَ الناس الملوكَ بملكهم	فليس لهم فى الناس من يَحسـدونه

(١) ظعنوا : ساروا ورحلوا .

(٢) «الخطب» : رشدة الأمر

لأنهم حلّوا ضمَاير مـالك ... فمهما أرادوا عنده يجدونه
محبّته القوت الذى يقتتونه ... وتوحيده الورْد (١) الذى يردونه
متى فاتهم من وَصْله قدر ذرّة ... فبالروح زال القدر الذى يفتدونه
لهذا اصطفاهم للعبَادة دون من ... سواهم فهم طوال المدى يعبدونه
تولاّهم دون الورَى (٢)فولاؤه ... طراز (٣) على ثوب التقى يرتدونه

***

دعاءٌ وثناء وابتهال الله تعالى

هذه ساعة رفيعة القدر، منيرة الفجر، قد أثنينا فيها على اللّه بالأبد، وجلونا فيها محاسن آلائه .

والرب سبحانه قد أشرقت علينا أنوار قربه، على القلوب، ورجونا من سعة عفوه غفران الذنوب .

فمدّوا أيديكم لنستقى سحب رحمته الممطرة، ونستكسى من رضوانه الحلل الفاخرة.

ومن كان منكم لبعض إخوانه المؤمنين مصارماً (٤)، فليكن من الآن على مواصلته عازماً.

ومن كان مصراً على مكروه، فليقلع عنه.

ومن كان قد أصاب ذنباً فليتب إلى اللّه.

ومن كان مشاحناً لجاره، فليقصد حسن الجوار، فلا حق بعد حق القرابة أعظم من حق الجار .

---

(١) الورد: الماء الموردود المطروق .

(٢) «الورى» : الخلق.

(٣) الطراز: الرسوم التى تكون على الثوب .

(٤) أى مقاطعا مخاصما .

طامعة: ياحيُّ ياقيّوم، ياذا الجلال والإكرام، ياأرحم الراحمين، ياكثير الخير، و يا دائم المعروف، ياذا المعروف الذى لاينقطع أبداً، ولايحصيه غيره أحداً .

يامحسن، يامجمل، يامنعم، يامفضل: نسألك مما كُتبت على نفسك من الرحمة، ومما في خزائن فيضك، ومكنون غيبك، أن تضاعف صلواتك على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسائر عبادك الصالحين .

اللهم اعتقنا من رق الذنوب، وخلصنا من أَشَر [1] النفوس، وأذهب عنا وحشة الإساءة، وطهرنا من دنس الذنوب، وباعد بيننا وبين الخطايا، وأجرنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طيبنا للقائك، وأهّلنا لولائك، وأدخلنا فى المرحومين، وألحقنا بالصالحين، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وتلاوة كتابك، واجعلنا من حزبك المفلحين، وأيدنا بجندك المنصورين، ورزقنا مرافقة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم اغفِر لنا مامضى من ذنوبنا، واحفظنا فيما بقى من أعمارنا، وكلما عُدنا بالمعصية فعد علينا بالتوبة منها .

وإذا ثقلت علينا الطاعة فهوّنها علينا، وذكّرنا إذا نسينا، وبصّرنا إذا عمينا، وأشركنا فى صالح دعاء المؤمنين، وأشركهم فى صالح دعائنا، برحمتك ياأرحم الراحمين .

لخالقنا الحمد على مامَنَّ به من الفضل وأنعم، وله الحمد عدد مأسبغ على خلقه من النعم، وله الحمد كما يستوجبه على جميع الأمم، وله الحمد كما أثنى على نفسه فى القدم. وله الحمد كما أجراه على ألسنة حامديه، وألهَمَهم حمداً تضيق عنه الآفاق، ولاتسعه السبع الطباق، كما يحب ويرضى، ينقضى الليل والنهار ولاينقضى، لاتحصيه السفرة الكرام، ولاتفنيه الليالى والأيام.

وكيف لانحمد خالقنا الذى لم يشاركه فى خلقه أحد، ورازقنا الذى

---

(١)الأشر : البطر .

لو عددنا نعمه لم يحصرها العدد.

كنا أمواتاً فأحيانا، وفقراء فأغنانا، وهو الذى أطعمنا وأسقانا وكفانا وآوانا، وأرسل إلينا رسولاً وأنزل علينا قرآناً، وأجرى على جوارحنا طاعته، وكتب فى قلوبنا إيماناً .

فله الحمد على ماأولانا، إن رحمنا أو عذبنا، وإن أسعدنا أو أشقانا.

* * *

المتقون محبوبون فى الدنيا فالحون فى يوم القيامة

ـ السلطان العادل وجنده: يحاربون الأعداء، ويفتحون الأمطار، ويغنمون الأموال، فيكون ذلك لهم لذة فى دنياهم ومثوبة فى أخراهم .

ـ والعلماء الذين يعلمون الناس علوم الدين: فهم فى الدنيا بين الناس مكرمون، وفى الآخرة على هداية الخلق إلى لله مأجورون.

ـ والمؤدبون أولادهم بالآداب الحسنة، والعلوم النافعة: فالوالد يُحسُّ حال ولده، فهو أبيض الوجه، قرير العين فى الدنيا، رفيع المنزل، عظيم المثوبة فى الآخرة.

ـ والمعامل للناس بالصحة والسلامة فى مجاورتهم ومعاشرتهم، فهو فى الدنيا أبيض الوجه، وفى الآخرة عظيم الأجر.

ـ والموسع على عياله من صالح كسبه: فهو مسرور لحسن حالهم فى الدنيا، ومأجور على إحسانه إليهم فى الآخرة.

ـ والمتقربون إلى لله تعالى بقربان الأضاحى، وسائر مافيه النفع المتعدى: فهم لايزالون يسمعون من الناس حسن الثناء، مع ماادخر لله لهم من حسن الجزاء .

ـ والزاهد العابد، الذى قد أقبل على ربه، وأعرض عن شهوات نفسه: فهو فى الدنيا حبيب القلوب والأرواح، وفى الآخرة مبعوث فى زمرة أهل الفوز والصلاح.

سبحان لله، والحمدلله، ولا إله إلا لله، ولله أكبر .

طوبى لعبد إذا أحسن إليه ربه حمد وشكر، وإذا أساء إلى نفسه تاب واستغفر.

كلما قضى عليه بمعصية اغتم وحزن، وكلما وفق لطاعة فرح واستبشر.

* * *

يا من بغير رضاه لا أستبشر ... أترى بقربى من جنابك أظفر

حزنى على ما فات منك ملابسي ... أغدو بها بين الورى أتبختر(١)

وإذا اغتذى قلب بطيب مطاعم ... فغذاء قلبى أنه لك يذكر

وإذا تقرب ناسك بضحية ... فضحيتى أنى لنفسى أنحر

يا مالك الرق الذى لغيبك ... حقاً على كل الموالى المفخر

مالى هجرت ولم أزل بك عائذاً ... إنى إذاً عن الوصال وأهجر

وكسرت بالإعراض منك ولم يزل ... قلب الكسير بباب جودك يجبر

إن كنت تعطى السائلين لفقرهم ... فأنا الى جدواك منهم أفقر

أو كان بالجرم الكبير جرمتنى(٢) ... فأنا الشهيد بأن عفوك أكبر

مثلي يسامح بالذنوب لأننى ... من أن تؤاخذ فىّ أذل وأحقر

هبنى أتيتك بالجرائم كلها ... أنت الذى كل الجرائم تغفر

* * *

مقارنة بين حال الغافلين المستهترين والمستيقظين الآمنين

لك الغافلين من الحمقى والشباب، فى لبس مبغضات الثياب، وتناول ألوان الطعام والشراب، واللهو بين الرياض والأنهار مع الأخدان(٣) ،الأتراب

ولك المستيقظين فى إنفاق الأعمال الصالحة لإحراز الثواب، والاهتمام

---

(١) أتبختر : أفتخر

(٢) «جرمتنى» : رأى وصمتني بالذنب .

(٣) « الأخدان » الأصدقاء .

بأمر العاقبة لكريم المآب، وإنقاذ نفوسهم من سوء الحساب، وأليم العذاب، والفوز بمفاز ذى حدائق وأعناب، ولذة العارفين فيما يقربهم من جناب العزيز الوهاب. لا تهتمون بما تحت العرش وما فوق التراب، لأن ذلك كله مخلوق والاهتمام بالخالق أوجب عند أولى الألباب.

إذا أعجبتك الدنيا برونق رائقها ، فاجعلها سبباً للشوق الى رياض الجنة وحدائقها. وإذا بهرتك الجنة بنعوت ذرابيها ونمارقها، فاجعلها حاديا تحدوك الى جنات خالقه.

* * *

رؤيا منامية عن الجنة ونعيمها

رأيت يوم جمعة فى المنام، ونحن فى انتظار الصلاة، قائلاً يقول:

إنما يصلح العبد لحضرة الله، بعد أن يجعله فى الجنة، بين حورها وولدانها وسائر نعيمها، ثم تراه غير ملتفت إلى شئ من ذلك، فحينئذ يرسل جبريل فيدعوه الى الحضرة.

لعمرى إن جنة عدن عظيمة القدر، ولكن حضرة الله أعظم ما فيها.

وجنة الفردوس لذيذة الوقع، ولكن ألذ منها النظرة الى وجه بانيها.

كما لا يُشبه الله تعالى شيء من خلقه، كذلك لا يستغنى بشيء من رزقه، قدر هذا الكلام فوق همة القائل والسامع، وما منّا إلا من هو فى نيل هذا الأمر طامع، فنعوذ بالله أن يكون طمعنا غروراً، ونسأله ألا تكون حقيقة الزيادة فى حقنا زوراً.

لولا رجاء كريم، وعدل، ما طمعنا أن نزور،، لكن وعدت وليس وعدك زوراً. نستغفر الله العظيم.

طريق الخشية والتعظيم، طريق مأمون العثار سليم، فعظموا الله العظيم، بمبلغ ما تبلغه عقولكم وأفهامكم.

بمبلغ ما تبلغه عقولكم وأفهامكم.

وأطيعوه بقدر ما تحمله قلوبكم وأجسامكم.

واسألوه أن يجعل نعمه عليكم عوناً على طاعته، وبلاغاً الى جنته، وباعثاً على محبته وسابقاً الى ما أعده لأوليائه في دار كرامته.

وأشركوا الأرامل والايتام في ما تصطفونه لأولادكم من شهيّ الطعام.

وأحسنوا مجاورة الجيران، ومصاحبة الإخوان.

واملأوا أوقاتكم طاعات وقرباً، ولا تتخذوا دينكم لهواً ولعباً.

واعلموا أن سرور المؤمنين يوم يعبرون القناطر، ويأمنون المعاثر، فذلك يوم عيدهم، وطالع شعورهم .

وما داموا في دار الغرور فلا غبطة ولا سرور، وأي سرور لمن الموت معقود بناصيته، والذنوب راسخة في آنيته، والنفس تقوده الى هواها، والدنيا تتزين في عينه بمشتهاها، والشيطان مستبطن فقار ظهره، ولا يفتر عن الوسوسة في صدره، ونفسه، وماله، بعرضه الحوادث، لا يدرىٰ في كل نفس ما عليه حادث.

ومن ورائه المغير ، ومساءلة منكر ونكير، ويوسد التراب الى يوم النشور، والقيام في يوم، ولا يبلغ وصف أهواله، ولا شرح أحواله، ما لا يسع المؤمن به أن يستقر له قرار، ولا يخلد الى هذه الدار، ولا يكون له هم في هذه الدنيا، إلا التقرب بأنواع القرب، واجتناب الفواحش والريب، وإقامة الدين الذي في إقامته النجاة، وفي تضييعه العطب.

* * *

المجلس الثانى
أربع أعمال مهلكة صاحبها

إخوانى :

سبح المسبحون بحمد الله اللطيف الخبير، ما بلغوا من تعظيمه مثقال ذرة.

واجتهد العارفون فى العلم بصفات العلى الكبير، ولم يشربوا من بحر معرفته مكيال قطرة.

وشمّر المجتهدون فى طلب القرب من جناب العزيز الحكيم، ثم ماتوا وفى قلوبهم من القرب حسرة.

وكيف تُدرك عظمة من لا يحاط به علماً، أم كيف يُتناسى القرب من جانب من ليس لارتفاعه منتهى، ولا وراءه مرمى.

إله انتظمت الأمور بتدبيره، وتقدرت العلوم بتقديره، ومهّد بساط المكان لأجسام العالمين وطأً، ومدّ رواق الزمان بحركات العالمين وعاءً، وصرّفه فصولاً مختلفة الطبائع : ربيعاً، وخريفاً، وصيفاً، وشتاء.

أربعة أعمال قطعت أعناق الرجال:

- أولاً : الكفر -

- أولها : الكفر ! وهو قسمان:

كفر الشك: كفر فرعون، حين قال ﴿**لَعَلّى أَطَّلع إلـي إله مُوسَى وإنّى**

(١) سورة القصص . الآية: ٣٨

وكفر السخط: كفر إبليس، حين قال : ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾(١) .

وجميع أقسام الكفر مشتقة من هذين القسمين.

وكفر السخط بليته أعظم البليتين، لأن الشّاك قد يؤمن إذا اتضح اليقين.

وأما السخط فعلى بصيرةٍ كَفَر بربّ العالمين.

- ثانياً : البدعة

- ثانيها : البدعة! وهى قسمان:

مكفرة، ومضللة. فمن سلم منهما فقد سلم إسلامه وهداه، ومن ابتلى بإحداهما فقد حاد عن طريق الإسلام أو تاه عن سبيل النجاة.

- ثالثاً : الغفلة

- ثالثها: الغفلة عند ذكر الله! فإن المعصية إلى الغافل أسرع من انحدار الصخرة إلى المكان السافل .

- رابعاً: حب الدنيا

- ورابعها : حب الدنيا! فإن مثل المحب لها، ولو كابد العبادة، كمثل ناشر الأرز، يرفع رجلا ويضع أُخرى ومن مكانه لا يبرح.

وكذلك الذى شغل بحب الدنيا قلبه، وبالعبادة جوارحه، تراه طول عمره يتقرب الى الله بظواهره، ويبعد عنه بقلبه.

* * *

أنت الأميرُ على الدُّنيا بزُهدك في ... حُطامها وطريق الحق مسلوك
وأنتَ عبدٌ لها ما دُمت تعشقها ... إن المُحبَّ لمن يهواه مملوك

* * *

(١) سورة الإسراء . الآية : ٦٢

زاد المحبين إلى الله رب العالمين

المحبُّون لله قوم شغلهم حبه عن حب سواه، فهم في قبضة محبته أُسراء، وعلى كُلّ من دونه أُمراء.

إذا علت أصوات العباد، إذ غلت أسعار الأقوات، وجدوا من ذكره قوتاً غازياً، وإذا مرضت أمزجة أبدانهم صادفوا من كتابه دواء شافياً

وإذا خافت السبل سلكوا إليه طريقاً أميناً، وإذا انقطعت الأسباب أمسكوا من يقينهم حبلاً متيناً، واشوقاه إليهم، بل والهفاه عليهم .

* * *

لا تحسبوا أن عنكم صبرٌ فـا   لطرف باكٍ وقلبي حشوهُ جمر
وقد بُليت بما لا أشتهي العمر با   لله ارحموا عبرتي(١) قد مسَّني الضَّرر

* * *

تضرع العبد بالدعاء عند نزول البلاء

لو أنْ بنا حياة لأحسسنا بما نحن فيه من جهد البلاء.

ولو أحسسنا ببلائنا لانقطعت أصواتنا من الدعاء، وقرحت أجفاننا من البكاء، ولكنا طردنا، فما أحدٌ على نفسه حزيناً، ونمنا ملء عيوننا، وضحكنا ملء أفواهنا، كأن لم يأكل الكلب لنا عجيناً

وكأن من الواجب على قوم حرموا لذة مناجاة الله، وطردوا عن مجالس أولياء الله، أن يحثوا على رءوسهم التراب، ويخرجوا الى الصعيد يجارون.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) .

---

(١) العبرة : الدمعة .

(٢) سورة الأنعام . الآية ٤٣ .

فابكوا على أنفسكم بكاءً طويلاً، ولا تقيلوا إلى الدنيا أيها العباد، فما اتخذها عاقل مقيلاً .

***

تَبَتَّلَتْ(١) روحي لكم فى الحب تبـ ـتيـلاً مـرتَّلاً ذكـركم بالمدح ترتيـلا
حـتى أصـيـر بعـيْد الطرد مـقـبـولا باللهعليكم اسمعونى نعم لم تسمعونى لا

***

الأمن والسلام فى القرب من جناب الله
والخوف والذل فى البعد عنه تعالى

من لم يعتز بطاعة الله لم يزل ذليلاً، ومن لم يستشف بكتاب الله لم يزل عليلا.

ومن لم يستغن بالافتقار الى الله، فهو الدهر فقيراً.

ومن لم يتحقق بالعبودية لله،فهو لكلِ شيء عبدٌ،وفى قبضة الله كلُّ أسير.

ومن لم يتترس بترس التوكل على الله، أصابه كل رامٍ.

ومن لم يحتم بحماية الله، لم يحمه سواه حامٍ.

***

جَفْني القـــريح عليكم وَاقعٌ دامى والماء من سحب عينى هامعٌ هامى(٢)
ومُذْ هجـــرتم وكنتم عِزّى السّامى غشـــانى الذل من خلفي وقـــدّامي

***

(١) «التبتُّل» : الانقطاع عن الدنيا.

(٢) هامع هامى.

هذا جزاء من دُعي الى العزيز الغفار، فما أجاب الداعي.

وندب الى السعي فى فكاك رقبته من أسر النفس والشيطان فقصرت به المساعي.

الله يحيى القلوب الميتة بذكره كما يحيى الارض

سبحان من بهرت عظمته عقول العارفين.

سبحان من زهرت أنواره لبصائر السالكين.

سبحان من ظهرت بدائعه لنواظر المتأملين.

انظر الى آثار رحمة الله، كيف يحيي الارض بعد موتها، وملبسها قبل ليل بهجتها، بعد سلبها وفوتها.

كذلك ينظر الى القلوب الميتة فيحييها، والى المهج الصادية فيرويها.

ينظر الله سبحانه الى الارض كل سنة فى آخر فصل الشتاء، وقد لقيت من شدة البرد جهد البلاء، فعّريت أشجارها، وخرست أطيارها، وهمد حسيسها، وأوحشت آنيتها، وعبست مباسمها، ودرست مراسمها، فيتداركها البر الرحيم بألطافه، فإذا هى قد اخضر يابسها، وأفتر عابسها، وطفحت أنهارها، وصدحت أطيارها، وهنب نسيمها الراكد، وحيى رميمها الهامد. فاصغ أيها اللبيب تسمع الفهم والفكرة ، الى ما تقوله الناشئات بلسان العبرة، فإنها تقول بلسان الحال: سبحوا بحمد الكبير المتعال، واستدلوا بقدرته على إحياء الأرض الموات، إنه قادر على إخراج الأموات بعد الشتات.

***

يامُعرضاً عن عَرضه وحسابه	لايستعد ليوم نَشْر كتابه
متعلّلاً بعياله وبماله	متلهّياً فى أهله وصحابه
متناسياً لمماته وضريحه	ونشوره ووقوفه ومآبه
القول قول مصدق والفعـ	ـل فعل مكذّب بثوابه وعقابه
من قال قولاً ثم خالف قو	له بفعاله فَفعَالُه أولى به

بابٌ منه

برد العزيمة يؤثر فى الأعمال والنيات، كما يؤثر برد الشتاء فى ناضر النبات.

يلفح البرد مخضر الشجر فيصير يابساً، ويسقع مفتر الزهر فيعود عابساً..

فكذلك برد العزيمة، يجعل العامل عاطلاً، والنابة خاملاً.

فإن لم يكن بدٌّ من الفتور عن طلب الخيرات، فاضعف عن السيئات ضعفك عن الحسنات.

* * *

حفظ رأس المال مقدم على الربح

إذا فَاتك الربح الذى كُنت ساعياً لإحرازه حتى تُشمر مالك
فكُن مُحرِزاً من رأس مَالكَ أصله لعلك تنجو لاعليك ولا لَكَ

* * *

بابٌ منه

لولا التفريط فى حفظ الأصول، لكان لكل ساعٍ إلى النجاة وصول، ولكل واقف على الباب دخول.

وإنما الوصول إحكام العمل، بإحكام العلم المنقول، مما أنزله الله فى كتابه وشرعه على لسان الرسول.

شريعة رسول الله ﷺ سفينة مأمونة، من اعتصم بركوبها نجا، ومحجة من سلك طريقها وصل إلى نيل المنى، لأنه ﷺ مؤيد بالعصمة فما ينطق عن الهوى.

* * *

شرْعُ الرسول سفينة مأمونة — من يعتصم بركوبها يوماً نجا
ومحجة للسالكين فمن يسر فيها على نهج الهدى بلغ المنى
شمس الظهيرة فى نهارٍ صائف (١) — ممن يستضىء بنورها فقد اهتدى
هذا ولله مقام الفحول الأبطال — ومنال أصحاب الهمم العوالى
قوم سمت بهم العوارف والنهى — أن يرغبوا فى كل فانٍ قالى (٢)
قوم أبت بهم المفاخر والعلى — أن يشتروا غير النفيس الغالى
لما رأوا المعجّل (٣) ههنا — كدر المشارب مؤذن بزوالى
ورأوا نعيم الخلد حظ نفوسهم — والحظ لايخلو من الإعلال
كنز متى ظفرت به كف امرىء — لم يخطر الإملاق منها ببال

***

ياطلاب الجنة أقبلوا إليها

إن جناب الجنة رفيع، وملكها كبير، ولكن جناب الله أرفع وأكبر وسلمنا أن بهجة الفردوس بهية باهرة، ولكن بهجة حضرة الله أبهى وأبهر.

ماسمت همم العارفين عن طلب الجنة، جهلاً بما فيها من نعيم النفوس والقلوب، ولكن رأوا أن نعيم الحضرة أحب إليهم من كل محبوب.

ياطالب الخير: احذر أن يشغلك قبلك عن كبيرة.

ياخائف الشر: لايلهك صغيرة عن كبيرة.

اسمُ بهمتك إلى المعالى، ونافس فى كل نفيس غالى، ولكن احذر أن تقول أنا لاأرغب فى جنة النعيم، ولاأرهب من عذاب الجحيم، وأنت ممن إذا

---

(١) صائف: حار.

(٢) «قالى» مبغض

(٣) «المعجّل» العاجل.

مــــا أقْبَحَ الدَّعــــوى من المُدّعى   يعــــــرف هـذا كـل قـلـب يَعِـى
ألـيـس يـكـفـى المُدَّعـى أنـه فـى   نـسـب الـصِّدق زَنـيـم (١) دعــــى

* * *

أنت تنظر إلى رونق زهر الربيع وبهـجتـه، وتصـغى إلى ترجـيع صـوت العندليب ونغمته، فيلهيك ذلك عن ذكر مولاك، وتستحوذ به عليك دنياك، حتى تنسى أخراك. فكيف بك لو تبرجت لك حورية مما نعت الله فى كتابه ؟ أو سعى عليك بعض الولدان المخلدين بأباريقه وأكـوابه ؟ إذاً لطار قلبك، وطاش لُبُّك .

إنما الشغل بالله عما سواه مرتبة العارفين، فأما من لم يبلغ شأنهم فالأولى به مقام الخائفين .

نستغفر لله .. ماأعز جناب الله ، وماأطهر حضرة الله .

نسـتـغـفـر الله ... نحن قـوم ضـعـفـاء خلق الله، إنما نحل أنفـسنا بحيث أحكمنا الله .

عسى الله الذى أخرج الورق من الشجر اليابس، أن ينقلنا عن الأحوال المبغوضة إلى أحوال رضية، ويبدّلنا بهمّ الدنيا الدّنيّة همـماً عليّة، فطالما أغاث المجديين عندما قحطوا، وأنزل الغيث من بعد ماقنطوا.

يامعشر الشباب: هذا زمان ربيعكم، فأين زهر علومكم؟

يامعشر الكهول: هذا أوان خريفكم فأين ثمر أعمالكم؟

يامن قد عاش فى الإسلام برهة من الزمان، فى سماع الحديث النبوى والقرآن: أين آثار ذلك فى أعمالكم وأحوالكم؟

هذه أرض حرث آخرتك هامدة، ما اهتزت بالأعمال الصالحة ولاربت.

هذه سيوف عزمك كلما ضربت فى جهاد النفس والشيطان نَبَتْ.

(١) الزنيم الذى يعرف بلؤمه.

إذا كان البلد طيباً خرج نباته بإذن ربه، وإذا جنت لاتخرج إلا نكداً .

يامكروباً لم ينفس من كربه، يامصراً على ذنبه قد حال الشيطان بين التـوبة وبين قلبه ! صرخ إلى الله صراخ من قد يبس عوده، وهزمت جنودها وقـل بلسان الذكر فى الانكسار: ياوهّاب النعم الغزار، يافالق الحب والنوى يامنشىء الأجساد بعد البلى، يامؤوى المنقطعين إليه ياكافى المتوكلين عليه .. انقطع الرجاء إلا منك، وخابت الظنون إلا فيك، وضعف الاعتماد إلا عليك، ووهن الاستناد إلا إليك.

نسألك بالرحمة التى كتبتها على نفسك، وبالكرامة التى أخفيتها لأوليائك، أن تمطر محل قلوبنا سحائب برك وإحسانك، وأن توفقنا فى كل حال لموجبات رحمتك، وعزائم غفرانك، إنك جوّاد كريم، غفور رحيم .

* * *

المجلس الثالث
من فضائل القرآن الكريم

الحمد لله على نِعَمه التي لاتحصى ، وأياديه التي لاتستقصى .

فالحمد والشكر لِمَن أنعم، أكرمنا بكتاب جلا به عن الأبصار العمى، وأخرج به الأسماع من الصمم، وأنقذ به النفوس من الردى، وشفى به القلوب من السقم، وخصّنا بنبيّ بعثه إلى الأحمر والأسود، واصطفاه على العرب والعجم، وفضّله على كل ملك فى حضرته معرب، وكل نبى برسالته مكرم.

أنزل عليه كتاباً، ضمن لقارئه بكل حرف عشر حسنات، إلى مائة حسنة، فإن تدبره فالأمر أجل وأعظم.

القرآن: دليل لايضل فى السلوك من تابعه، وناصر لايخشى الخذلان من شائعه ومشيره، لايخطىء الصواب من طاوعه.

أهل القرآن: أئمة بهم اقتدى أهل السلوك إلى رضا الجبار، وبهم تخلص من نجا من نار .

* * *

خزّانُ وحيِ الله لم يرَ غيرهم — أهلاً لحفظ كلامه المختار
لكنْ عليهم أنْ يقوموا بالذى — فيه من المشروع للأبرار
صدق وإخلاص وحسن عبادة — وقيام ليلٍ من صيام نهار
وتورُّعٍ وتزهّدٍ وتعففٍ — وتشبه بخلائق الأخيار
وديانةٍ وصيانةٍ وأمانةٍ — وتجنب لخلائق الأشرار
وأداءِ فرضٍ واجتنابِ محارمٍ — وإدامةٍ للحمد والأذكار
ياحاملَ القرآن إنْ تك هكذا — فلك الهنى بفوز عقبى الدار
ومتى أضعت حدوده لم تنتفع — بحروفه وسكنت دار بوار.

العالم حذرمن العواقب والعارف متيقظ من النوائب

على قدر قرب العبد من الله يكون حظّه، وكلما توفّر نصيب العَالِم من العلم اشتد حذره .

ومن عرف مكر الله بأعدائه لم يغتر بطول الحلم، فإن العواقب عنا مغيبات، وسهام الأقضية إلينا مصوّبات .

ومافعلوا لنا إلا أحسن الظن بكرم الله ، وقوة الاعتماد عليه.

إن رحمنا الله فبفضله، وإن عذبنا فبعدله، حسابنا عليه، وإنابتنا إليه.

فأحسنوا بالله الظنون والآمال، واحملوا إليه بالأعمال، فإنه لايخيب آمال الآملين، ولايضيع أجر العاملين.

هو الحى لاإله إلا هو، فادعوه مخلصين له الدين.

الحمد لله رب العالمين.

لا إله إلا الله .. توحيداً يباين عقائد المشركين.

لا إله إلا الله .. تنزيهاً يناقض دعاوى المبطلين.

لا إله إلا الله .. إقراراً بما أنكرته عقول الجاحدين .

لا إله إلا الله .. إيقاناً لايشوبه تردد الشّاكّين .

لا إله إلا الله .. الملك الحق المبين .

لاإله إلا الله.. إسلام من قال له ربه : أسلم، قال أسلمت لرب العالمين.

لا إله إلا الله شهادة أرجو بها مجاورة الرب الكريم، وفى جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصّدّيقين والشهداء والصالحين.

تقدست أسماؤك ..يامن أنزل علينا كبيراً .

تعالى جدك .. يامن لم يتخذ فى سلطانه مشيراً .

أنت الذى قدرت سير الشمس والقمر فى منازل فصول السنة تقديراً، وجعلت مواقيت الصلاة مؤقتة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكوراً .

فطوبى لعبد أقمته فى خدمتك، آناء الليل وأطراف النهار، راكعاً، وساجداً، وحامداً، وشكوراً .

سبحان مقيل عثرات المذنبين .

سبحان غافر خطايا المستغفرين .

سبحان من جعل الزمان أوقاتاً، تقبل فيها توبات التائبين، وتقضى فيها حوائج السائلين .

فانتبه أيها العبد الفقير الضعيف، واغتنم شرف هذا الوقت الشريف، فكم لله فى مثل هذه الساعة من نعمة أسداها، وحاجة لعبد مضطر قضاها.

* * *

أيا رَاقد الليلِ انتبهْ من رُقادك وكن مع سُلاّك المحبة سالكا

فهذا زَمَانُ البَذْل والجود والنّدى فقم واسأل الخيرات تعط سُؤَلَك

أيا ناسياً عهد المحبّة قاطعاً حبال حبيب واصلٍ لحبَالك

إلى كم صدوداً واجتناباً وجفوة تعال نجدّد عهدنا من وصَالك

أما أن تشتاق قرب مزارنا كما نحن مشتاقون قرب مزارك

تَنَاسيْتنا حتى نسيت عهودنا لكننا لم ننس عهْد ودادك

كأنك لم تذنب إذا جئت تائباً فتب نعفو عما كان من سوء حالك

* * *

تنبيه الغافلين إلى جنة رب العالمين

انتهز فرصة الزمان، قبل تعذر الإمكان، قبل أن تنقل من اسم مازال إلى خبر كان، فما كل حين ممكن الفوز بالمنى، ولا كل وقت يرفع الحجب للعبد.

* * *

إذا بَاعَدَتْكَ الريح فـادْفع شِراعَـهـا ... فيُوشك أن تأتى العَواقب بالحـمـد

فـمـا حـازمٌ من لم يُبـادر إلى العُلا ... ولاَ نافس من لم يُنافس على المجـد

* * *

هذه سوق المعاملة قائمة، فأين طلاَّب الأرباح.

هذه مقصورات الخيام بارزة، فأين خُطّاب الملاح.

لو أن حوراً طلعت إلى الدنيا لملأتها نوراً وعطراً.

فهل إلى مقارنة هذه القرين الصالح مرتاح.

كيف ينفزع لخطبة الحور، من هو مخلد إلى دار الغرور، إن هجرته الدنيا فهو محرور، وإن وصلته فهو مسرور، قد خدعته أباطيل المنى، وغرّه بالله الغرور.

* * *

أيهـا الرّافلُ(١) فى ثوب الغـرور ... أيهـا الغـافلُ عن يوم النّشـور

أين مـا قـدّمت للقـبـر الذى ... سوف فيه تثوى (٢) مابين القبور

أين مـا قـدّمت للْحـشْر الذى ... فـيـه تدعـو بثبور وحبـور (٣)

أين مـا قـدّمْت للمـولى الذى ... هو عـدلٌ فى قـضـاءِ لايجور

احـذر الغـفلة عنه فـهى من ... أقـتل الدّاء ومن شـرّ الشّرور

---

(١) «الرافل» فى ثيابه المزهو بها.

(٢) «تثوى» تقيم.

(٣) أى بهلاك أو سرور.

اللهم لاتجعلنا عن ذكرك غافلين، ولاعن أمرك زائغين، وأدخلنا فى عبادك الذين اصطفيتهم لوراثة كتابك، وأنظمنا فى سلك من أهّلته لولائك، وأغفر لنا بفضلك مغفرة عزماً، لانخاف بعدها ظلماً ولاهضماً.

اللهم يامن أفاض خلع الإيمان على المؤمنين، ويامن ملأ من عطائه أكف السائلين، ارزقنا إيماناً تخالط بشاشته القلوب، وهب لنا عطاء غير ممنون ولامحسوب .

اللهم ياجواد ياكريم، ياعزيز ياوهّاب، اهد إلى حضرة الحبيب محمد صلاتنا، وسلامنا، أفضل ماهداه المحبوب إلى حضرة الأحباب.

* * *

عليك صلاةُ الله ثم سلامُهُ ... سلامٌ على الأيام باقٍ دوامه

وجازاك الله عنا أفضل ما جزى ... نبياً يفرق الفرقدين [1] مقامه

فأنت شفيعُ المذْنبين إذا زكا ... سعير جحيم لا يطاق ضرامه [2]

بجاهك عند الله كن لى شافعاً ... إلى صاحب الجود المهون غرامه

فلا زلت من فضل الكريم منعّماً ... بقرب محل لا ينال مرامه

* * *

الطريق إليه تعالى

إن بين العبد وبين ربه مسافة، لاتقطع إلا بقطع العلائق، ورفض العوائق.

وعلى مرآة القلب صدأ، لايجلوه إلا نسيان الخلق فى جنب ذكر الخالق.

فمن أراد أن يصل إلى ربه، فليتفرغ لمواصلة السّرى.

ومن آثر جلاء مرآة قلبه، فليتناسى ذكر الورى.

كيف يصل إلى الله من لايسير، وهو فى قبضة العوائق أسير.

(١) الفرقدين: نجمان .

(٢) «الضرام»: اللهب.

الأمر كله فى حرفين:

ـ أحدهما: الإعراض عما سوى الله

ـ والآخر: الإقبال عليه.

فمن لم ينقطع عما سواه، لم يمله الاتصال به، ولا الوصول إليه.

* * *

يا حسرةَ الغافل واللاَّهِي	لا كان ما يُلهى عن الله
اطْرحِ الدُّنيا وأشْغَالها	لا كان ما يُلهى عن الله
ولاتقلِ أَهْلِي ولا عشيرتى	لا كان ما يُلهى عن الله
ولا تقل ولدى ولا زوجتى	لا كان ما يُلهى عن الله
ولا تقل دارى ولا ضيعتى	لا كان ما يُلهى عن الله
ولاتقُل أرضى ولا موْلدى	ما كان ما يُلهى عن الله
ولا تقُل طبعي ولا عَادَتى	ما كان ما يُلهى عن الله
ولا تقُل مالى ولا قنيتى (١)	ما كان ما يُلهى عن الله
الله يُغنى عَن سِواه	وسِواه لايُغنى عن الله

* * *

الشغل والفراغ

كم بين الفارغ والمشغول؟ كم بين الصحيح والمعلول؟

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد، وفى الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٢). نظير الصحة: قرينها، وكذلك الشغل نظير السقم وقرينه.

---

(١) القنية: العطيّة .

(٢) أخرجه الإمام البخارى في كتاب الرقاق راجع القارى لأبواب فتح البارى .

ففرّغ إلى الله قلبك، فنعم بالله بالاً، وواصل إلى الله مسيرك، تنل من الله وصالاً.

* * *

يأتي الذين تجنّبوا الأشغال ... بذلوا النفوس وأنفقوا الأموال
تركوا النّساء كأنّهن أرامل ... قبل الممات وأيتموا الأطفال
وجوّعوا وتعطّشوا وتضمّروا (١) ... طلب السّباق وخففوا الأثقال
فطموا عن الدنيا نفوساً ... طال ما كانت تتيه على النعيم دلالا
حتى إذا بليت ضنًى أجسادهم ... ولقوا شجوناً في السّرى وكلالا
وردوا جناب مليكهم فأحلّهم ... داراً تفوق الفرقدين منالا
في حيث لايبغون عنه ... دهرهم حولاً ولا يخشون زوالا

* * *

طرق الأنام إلى دار السلام

أبصر القوم قصرهم، وبذلوا فى الطلب جهدهم، وعلموا أن العلائق عوائق، وأن المخف هو السائق، فخففوا أنفسهم وأظهرهم من أثقال الأشغال، لعلهم بأن الطريق كثير المزالق .

هذه سنة الكرام، فى طلب ذى الجلال والإكرام، فأين المقتدون؟

هذه سبيل هداة الأنام، ودار السلام، فأين المهتدون؟

عاقنا والله عن اقتفاء آثارهم، والتعلق بأذيال غبارهم، فضول الكلام والطعام، وشغل القلب والجوارح بكسب الحطام والآثار.

استنفرنا فى سبيل الله فثبطنا، ودعينا إلى الجناب العالى فأبينا. إن لهم

(١) أى ضمروا بطونهم جوعا واشتغلوا بالعبادة .

دنيه لا تشتاق إلى العالى، ولا تنافس فى طلب الغالى، ولا تأنف من الهواء ولا تبالى .

* * *

مَالى والتّفْريط مَالى ... قد حَالَ بالتفْريط حالى
كم ذا أُعلّل بالمُنى ... كم ذا أُسوّف بالمحال
أين التزوُّد للرحيل فقد ... دنَا وقت ارْتحالى
ياليت أحْبَابى الذين هُم ... من الدّنيا سؤالى
يرثُون لى من علّة ... قد صرت بها كالخلال
قال الحبيب وقد رأى ... مابى من الدّاء العضال
من داؤه الهجران لا ... يشفيه منه سوى الوصال

* * *

الداء والدواء الشافى

قد ثبت فى الحكمة أن شفاء الأمراض قصد أسبابها، فمن استشفى لمرضه بغير ذلك فقد أتى البيوت من غير أبوابها .

فمن كان داؤه المعصية فشفاؤه الطاعة، ومن كان داؤه الغفلة فشفاؤه اليقظة، ومن كان داؤه كثرة الاشتغال فشفاؤه فى تفريغ البال.

من تفرغ من هموم الدنيا قلبه قل تعبه، وتوفر من العبادة نصيبه، واتصل إلى الله مسيره، وارتفع فى الجنة مصيره، وتمكن من الذكر، والفكر، والورع، والزهد، والاحتراس، من غوائل النفس، ووساوس الشيطان.

ومن كثر فى الدنيا شغله، اسودّ قلبه، وأظلم طريقه، وكثر همه، ونصب بدنه، وصار مهون الوقت، طائش العقل، معقود اللسان عن الذكر، مقيد الجوارح عن الطاعة، من قلبه فى كل وادٍ شعبة، ومن عمره لكل شغل حصة.

فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم، فكل ماشغل العبد عن الرب فهو مشئوم، ومن فاته القرب من مولاه، فهو لو جازت يداه نعيم الخلد محروم.

كل العافية في الذكر والطاعة، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة، وكل الشفاء في الإنابة والتوبة. متى أردت أن تعلم: أى الدارين أولى بك؟ فانظر أى الحالين أغلب عليك، فإذا أصحاب الطاعة الجنة أولى بهم، وأصحاب المعصية النار أولى بهم.

ولا تخادع نفسك فى صحة النظر، فجهل الإنسان بنفسه أضر الضرر، وأعظم الخطر.

وانظر بعين التفكر والاعتبار: لو أن طبيباً نصرانياً، عفاك عن شرب الماء البارد، لأجل مرض من أمراض الجسد لأطعته فى ترك ما نهاك عنه، وأنت تعلم أن الطبيب قد يصدق وقد يكذب، ويصيب ويخطىء، وينصح ويغش.. فما بالك لاتترك مانهاك عنه أنصح الناصحين وأصدق القائلين؟ لأجل مرض القلب الذى إذا لم تشف منه فأنت من أهلك الهالكين.

لاتقدر على التخلص من بلوى المعصية إلا بالتخلص من سجن الغفلة ولاتتخلص من الغفلة إلا بتضمير البطن (١)، وتفريغ القلب، ومواصلة الذكر.

فجّوع بطنك، وارفض شغلك، واذكر ربك، يعتزلك شيطانك.

إن الشيطان حامل على العصيان، والعصيان جنون، ومن لم يحضره الشيطان فليس بمجنون.

طوبى لمن كان كلامه مناجاة الله، وعمله معاملة مع الله، وفكره فى تدبر الله، والاعتبار بصنع الله، ونيته خالصة لوجه الله، يزاحم العلماء بركبتيه، ويقبض على العلم بكلتى يديه، عبادته مؤسسة على القواعد، وعلى تصحيح العقائد.

* * *

ألا رُب من قد أنْحل الزُّهد جسمهُ ... كثيرُ صلاةٍ دائم الصوم عابد

---

(١) تضمير البطن: أى أضمارها بالجوع.

يرومُ وصـــالاً وهو بالطُّرْق جـــاهل   إذا جهل المقصود قد خاب قاصد
قليلٌ من الأعـــمـــال بالعلم نافع   كثير من الأعْمال بالجهل فاسد

* * *

فضل العلم النافع والعلماء المخلصين

من أحب أن يكون للأنبياء وارثاً، وفى مزارعهم حارثاً، فليتعلم العلم النافع، وهو علم الدين..

ففى الحديث: «**العلماء ورثة الأنبياء**» (١)، وليحضر مجالس العلماء، فإنها رياض الجنة. ومن أحب أن يعلم مانصيبه من عناية الله، فلينظر مانصيبه من الفقه فى دين الله.. ففى الحديث: «**من يرد الله به خيراً، يفقهه فى الدين**».

ومن سأل عن طريق تبلغه الجنة، فليمش إلى مجلس العلم..

ففى الحديث: «**من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة**».

ومن أحب ألا ينقطع عمله بعد موته، فلينشر العلم بالتدوين والتعليم ..

ففى الحديث: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

وفى الأثر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه: إذا مات العالم انثلم فى الإسلام ثلمة، لايسدها إلا خلف مثله.

وعن أبى الأسود، قال: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

وقال فتح الموصلى: أليس المريض إذا منع من الطعام والشراب والدواء

(١) البخارى فى راجع مفاتيح القارى لأبواب فتح البارى تأليف طه عبد الرءوف سعد.

يموت؟ قيل له : بلى. قال: فكذلك القلب، إذا منع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: من حدّث بحديث فعُمِل به، فله أجر مثل ذلك العمل.

وقال الحسن (١): لولا العلماء لصار الناس أمثال البهائم.

فيا من خلقه الله إنساناً، لاتجعل نفسك بقلة العلم بهيمة، ونافس فى إعلاء قيمتك بالعلم.

من ليس له علم فليس له قيمة.

اغتنم تعلم العلم، واحضر مجالسه، فمن ليس بعالم ولا متعلم.. فهو بمنزلة البهيمة، وليست فطرته سليمة.

* * *

يا طالبَ المجْد والجلالة ... والرّقعة والمكْرُمات والشرف

تعلّم العِلْم واحتسبه لوجه ... الله لا للْمعاش والحرَف

وخذه من فوقِ فالعلُوم لنا ... أنفعه ما رُوِى عن السلَف

العلم درٌّ إذا أفادك ... فى الدين ومالم يفيد كالصدف

* * *

إن جهلنا العلم.. فما نحن بجهله معذورين.

وإن تعلمنا ولم نعمل به.. كنا على ذلك مؤاخذين.

وإن علمنا وعملنا وأخلصنا.. لم نكن بالقول واثقين.

فما لنا عن التنبه لهذا الخطر العظيم غافلين، فكأننا بصحائف أعمالنا عند حضور آجالنا وقد طويت، ثم كأننا بها يوم القيامة وقد نشرت، وكأننا

---

(١) هو الحسن بن يسار من فقهاء التابعين ـ رحمه الله .

بسوءاتنا يوم القيامة وقد كشفت، فيا خجلتنا يوم الوقوف بين يدى الله، وياحسرتنا على ما فرطنا فى جنب الله.

كفى بالمسئ جزاء على إساءته أن يفوته بياض وجوه المحسنين، وعلو درجات المقربين.

فكيف وقد أوجب لنفسه سوء الحساب، وأليم العذاب، والفضيحة على رءوس الخلائق، والتوبيخ على التقصير بين يدى الخالق.

واغوثاه بالله! يفوتنا الخير ونحصل على الشر، وتدركنا العقوبة ولا نحصل الأجر، هذا والله هو الخسران المبين.

اللهم.. يامن لايرضى لنا بدون رضاه عنّا، ولايحب لنا إلا مايحبه منّا: أنقذنا من ورطات الهالكين، وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين، ونجنا بمفازات المتقين، برحمتك ياأرحم الراحمين.

* * *

المجلس الرابع

دعاء له تعالى

اللهم.. إنك افترضت علينا ما لا نطيق أداءه إلا بتوفيقك، فوفقنا لأداء ما افترضته. وحرّمت علينا ما لا نمتنع من مواقعته إلا بحفظك، فاحفظنا عن مواقعة ما حرّمته، فلا نعتمد إلا عليك.

اللهم.. ارحمنا برحمة تغنينا بها عن رحمة الراحمين، وارض عنا رضىً لاتسخط علينا بعده أبد الآبدين.

***

يا طالبَ الْخـــيـــرات أيْن أنتَ   عن بابِ الغَنيّ الحـــمـــيـــد
يا خائَف الشـــرّ هلاَّ لجـــأْت   إلى رُكْن القـــويّ الشـــديد
يامن قَد اعْتكرت على قلبه الهموم   لم لا تروّح بذكر الحميد المجيد

***

استغاثة يا ألله

يامن قد أخطأت وتجاوزت الحد: استغث بمن هو أقرب إليك من حبل الوريد، هو الذى يفعل مايشاء ويحكم بما يريد، من حكم بشقاوته فذاك الشقى، ومن قضى بسعادته فذلك السعيد.

رب الآخرة والأولى، ليس لأحد سواه مولى.

إذا حكم فلا معقب لحكمه، وإذا قطع فلا مسبب لقطعه، يقضى فلا دافع، ويعطى فلا مانع، وهو الصانع لكل صنعة وصانع.

كلٌّ الوُجــودِ لعــزِّ قــهــرك خــاضعٌ ... والكلُّ في صــدقــات جــودك طامعُ
يـا مــــعشرَ الـفقــــراء أُمُّوا بابَه ... فـــهناك فـــضلٌ لـلبـــرايا واسع
يُعطى العطَاء فـــلا يمـــانع مـــانعٌ ... يَقْضى القـــضـــاء فـــلا يدافع دافع
مـــا للعـــبـــاد عليـــه حق واجب ... كـــلاّ ولا مـــســـعى لديه ضـــائع
يا ســـائلى عن رتبـــة الحب الذى ... من حلمنا فـــهـــو الإمـــام البـــارع
الْزمْ طريق الذكـــر عمـــرك دائبـــاً ... فـــالذكـــر فى القلب المحـــبـــة زارع

* * *

من شرطان للذكر

الذكر لله له شرطان: حضور القلب فى تحريره، وبذل الجسد فى تكثيره. فإن أحببت أن تكون فى الراسخين الأقدام فى هذا المقام، فحرر الذكر على الإحسان، وكثّر بقدر الإمكان.

* * *

يا للرجـــال الذين ســـموْا إلى ... نيـل العُلا لا يزهيــــــه مطامع
قـــدم همـــام مـــاجـــد مـــتـــقـــدم ... بهم جســـور فـــاتك مـــســـارع
يغـــشى بصـــدره بنحـــره والوجـــ ... ـــه منه أبلغ مـــســـتنيـــر ســـاطع
ســـمع العـــدو بذكـــره فـــتـــزعـــزعت ... أركـــــانه وعـــــراه ذل قـــــامع
هذى صـــفـــات الذاكـــرين ونيلهـــا ... صـــعب المرارة على النفـــوس وشـــامع
فـــتـــتـــبلوا للذكـــر وانتـــدبوا له ... فـــالذكـــر درع فى الكريهـــة مـــانع
ومـــتى عـــقلتم فـــاعلمـــوا وتحـــقـــقـــوا ... أن العـــدو على حـــمـــاكم طالع

* * *

اللهم.. نوّر بصائرنا بنور هدايتك، حتى ننظر بعين الاعتبار فى عجائب

صنعتك. فكم فطرت من بدائع النسم، وأبرزت إلى الوجوه من بحر العدم. فنشهد أن لا إله إلا أنت، كما وحّدت نفسك فى قديم القدم.

* * *

وحّدوا الله مَعْشَرَ العَارفينا ... فلتوحيده الشواهد فينا
وصفوه بكل ماهو أهل ... أنّ تكونوا به واصفينا
وإذا ما رجوتموه فكونوا منه ... أيضاً مع الرّجا خائفينا
وبأبواب برّه لا تزالوا ... فوق أقدام شكره واقفينا
لتكونوا من بحر معروفه ... الزاخر مهما أردتم غارقينا

* * *

جزاء المنقطعين إليه تعالى

يلزم العبد منابات عبدٍ مثله متردداً بسعيه إليه، عاكفاً بخدمته عليه، فلا يلبث أن يعرف حق ملازمته، وبحقه بألطاف كرامته.

فكيف لمن انقطع إلى الله الذى له ما فى السموات والأرض ومابينهما وما تحت الثرى.

لقد حاز المنقطع إلى الله كنوز الغنى وفاز الطالب من الله بلوغ المنى.

يا سائلى عن مطلبها من حازه حاز المنى اسع فديتك ما سأوضحه وضحاً بيناً، وجدّ ولاشريك وكن بضمان ربك موقناً، وانقد لطاعته تقدك إلى المسّرة والهنا.

من أدخل الله على قلبه مسرة رضاه فقد تمت أفراحه.

ومن ستره الله بستر التوبة النصوح فقد أمن افتضاحه.

* * *

يامن له النّعم الغِزَارُ ... على الخلائق ليس تُحصى
هَبْ لى رضاك فيها ... مدى أَملى وأقْصى

معرفة الله تعالى تتحقق بأصول ثلاثة

لاتطلب الحياة إلا بالعافية، ولا تتم العافية إلا بالرضا، وإنما يرضى الله على من تاب من مخالفته، من أهل موافقته.

من لم يلزم نفسه بتقوى الله فهو لئيم، ومن لم يرض بما قسم الله له فهو عديم. الشأن كله في أن تفهم عن الله ثلاثة أصول:

- أولها: أن تعرف الله بما تعرف به إليك بما هو أهله، وتعرف ما فرض الله عليك معرفته من أحكام شريعته.
- ثانيها: أن تطيعه في فعل الواجبات وترك المحرمات.
- ثالثها: أن تشتاق إلى ماشوق إليه، وتخاف ماخوف منه.

فإذا أحكمت هذه الأصول، لم يتأخر عنك الوصول.

لأن العالم بصفات الله وأحكامه أعلم العالمين، والعامل بطاعة الله فيما أمره ونهاه أعمل العاملين.

ذهب الزاهدون بالراحة، وحصل العابدون على المثوبة، ونجا الورعون من المناقشة، وتخضر المتقون من العقوبة، وفاز المتقربون من القرب، والقرب من الله نظام رغائب الطالبين، وغاية مطالب الراغبين.

وليس للقرب من الله نهاية تنتهي إليها المساعي، فطالب القرب على قدم الجد في الدنيا ساع، لاتستقر به دار، ولايقر له قرار، كلما بلغ من القرب غاية علم بأن وراءها عليه أخرى، فهو سائر إلى الله أبداً لايفتر.

اللهم.. عطشنا بالشوق إلى لقائك، وأسلكنا في سلك أوليائك، وأعقبنا جبراً لايعقبه كسر، واغننا غنى ليس معه فقر، وخر لنا واختر لنا في كل

ماتقضى من أمر، واحفظنا فى أنفسنا، وأهلينا، وذرياتنا، وأهل ملّتنا من كل مايسوؤنا. واجعلنا فى كل انواع الطاعة إليك مقربين، وفيما عندك راغبين، وإلى ماأعددت لأوليائك متقبلين، وصل على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

المجلس الخامس
حكمة الله تعالى

الحمد لله.. الذى ما زالت أحكامه على نظام الحكمة جارية، وأقداره فى جميع خلقه نافذة، وعليهم قاضية.

مكرم من اتقاه، ومُهين من عصاه، ويعزّ من انقطع إليه، ويذل من تمرد عليه. يداوى كل ذى داء بدوائه الذى هو له أوفق، ويقيم كل ذى قدر فى مقامه الذى هو له أليق.

فمن كان السقم أنفع لقلبه ابتلاه الله بالإسقام، ومن كان العُدم أصلح لحاله ارتضى له الإعدام.

يدبر عباده بحكم التدبير فى مجارى التقدير، ﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدرٍ مايشاء إنه بعباده خبير بصير** ﴾ (١).

فلا تتهموا الله فى قضائه، فإن قضاءه بزمام الحكمة مزموم.

وسلّموا له بالانقياد لأمره فى حلو القضاء ومُرّه، فإن المُسَلِّم له ليس بمحروم. وقابلوا إحسانه إليكم بدوام حمده وشكره، وانسبوا عدله عليكم إلى تقصيركم فى القيام بواجب أمره، فإنه سبحانه على الدوام يعامل عباده بإحسانه وفضله، فإذا استعانوا بإحسانه على عصيانه أدّبهم بسوط عدله، حتى لايزال المخلوق مراقباً لخالقه، والمرزوق شاكراً لرازقه، متأدباً فى معاملته، مقتدياً فى السلوك إلى ربه بأوليائه وأهل طاعته، فمن رزق مايحب فليشكر الرازق، ومن أصابه ما يكره فليتهم نفسه فى معاملة الخلاّق.

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه المبين: ﴿**ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون**﴾. (١)

سورة الشورى . الآية: ٤٢ .

ابتلاهم الله تعالى بالقحط ليخلعوا أردية كبريائهم، ويرجعوا إلى طاعة أنبيائهم.

فالواجب على كل قوم انقطعت عنهم متصلات الأرزاق أن يعودوا باللوم على أنفسهم ولا يتهموا الرزّاق.

ويستغفروا ربهم من ارتكاب معصيته.

ويتوبوا إليه من الإصرار على مخالفته.

ويتحللوا غرماءهم من أهل المظالم.

ويتصدقوا من فاضل ما أنعم الله عليهم على من أحوجه الله إليهم.

ويقيموا دين الله كما أمر.

ويحذروا تمام نعمة الله فيهم فهو حق الحذر.

وينكسروا بين يدى الله عساه يجبر كسرهم.

ويبتهلوا إليه بالاستعانة والتضرع لعله يكشف ضرّهم ويصلح أمرهم.

* * *

يا جَابر العَظْم الكَسـ ـير ومُطلق العانى الأسير
يا مُنشئ الطّفل الصّغير وراحم الشـ ـيخ الكبير وغافر الأوْزار
يا شَافى الدّنف (1) السّقيم ومحيى الـ ـعظْم الرّميم وواضِح الأصّار(2)
يا مُنقِذ الغرْقَى قد أشرفوا على حـدّ الهلاك بلجّة التّيار
يا مَن يغيث العبد وهو فريسة فى قبضة الأسد الهَرير الضّارى
ارْحَمْ بفضْلك جهْلنا واقبل بعفـ ـوك عذرنا يا قابل الأعْذار
وافْتح لنا أبواب رزْقك شُرّعاً أبداً وبَدّل عسرنا بيسار

(1) سورة الأعراف. الآية: ١٣٠ .
(٢) «الدنف» المريض.
(٣) «الإصر» الذنب.

جزاء المخالفين عن أمر رب العالمين

مخالفة الأمر توجب سخط الآمر، والإصرار على المخالفة أعظم منها.

ما أسرع العقوبة إلى المسارع إلى المعصية، وما أبعد الفلاح عمن لا تؤدبه العقوبة.

كيف يطمع فى الزيادة من هو مضيع للشكر، وكيف تدوم التوسعة لقوم كلما اتسعت أرزاقهم ضيقوا على فقرائهم.

المستعين بالنعم على المعاصى مستوجب السلب، ومن لا يتأدب بالرزية فى ماله أدّبته الرزية فى نفسه.

ألا ترون كيف يعاتبنا ربنا تعالى بتضييق مجارى أرزاقنا، وتسليط أقويائنا على ضعفائنا، فما لنا لا نعتب ربنا إذا عتب علينا، ولا نجيب داعيه وقد أشار بطاعته إلينا، فهل ننتظر بعد لطيف العتاب إلا عنيف العقاب.

فتوبوا إلى الله مما أنتم عليه من العصيان تبصروا، فإنكم عما قريب إليه صائرون، فهل أنتم على عذابه صابرون، أو على رفع بأسه قادرون.

فاتقوا الله بفعل ماأمركم به،وترك مانهاكم عنه،وإدامة الذكر له،واستشعار الخشية منه، ولاتكونوا ممن ينام تحت الضرب ويظهر الجلد،فإنه الله،إذا عاقب لم يقم لعقابه أحد. غضب بعض الملوك على بعض من هو تحت يده، فلم يحبسه فى دار سجنه، وأجرى عليه رزقاً واسعاً، ثم سأل عنه، فقيل: إنه متجلّد غير مكترث، فأمر بنقله إلى ماهو أضيق منه وأشدّ، ثم لم يزل كذلك كلما أخبروه عنه بقلة مبالاته بعقوبة الملك نقله إلى ماهو أضيق منه وأشدّ، حتى أمر بقتله.

فكذلك العبد إذا عصى ربه وجه إليه أخف عقابه، فإن هو استقال واستغاث بربه أقاله وأغاثه. وإن هو أصر على ذنبه واستهان بعقوبته، شدّد الله عليه، وزاده مما يوجهه إليه من العذاب كذلك أبداً حتى يكون أحد أمرين: ـ إما أن يتوب إلى الله من معاصيه، ـ وإما أن يتمادى فى طغيانه، ويصر على كفره

وعصيانه. ففى الأول يعافيه الله ويصطفيه. وفى الثانى يخلده الله فى دار نقمته، ولا يؤنسه من رحمته.

العذاب مصبوب على أهل سخط الله، والسخط حالّ على أهل معصيه الله، والمعصية لازمة لمن الشيطان له ملازم، وإنما يلازم الشيطان من غشى عن ذكر الله.

فاحذر الغفلة عن ذكر الله فإنها أصل كل بلية، وجالبة كل رزية.

* * *

أَحبّه قـلـبـى لا تُخيّب الأَمَلْ ... وهذا أوانُ اقـتـراب الأجل

فَوَا أَسَفـا ووَاحسرَتا لـقُبـ ... ـح اقْتـرافي وفـرط الزّلل

لقـد خـاب ظنّى فـيـمـا رجوتُ ... وسدّت عـلـىّ وجوه الحـيـل

عـسى ترقمـون على قـصـتى ... غفَرْنا لذا العـبـد ذاك الزّلل

وكنت أُحمل ثقل الغـرام ولم ... يبق فى عبْدكم محـتـمـل

ومـا كُنت أُحْسبُ أن البعـاد ... يبـلـغ قتْلـى فهَا قـد قتَل

فـبـالله جودوا ولا تبْخلوا ... وحـاشاكمو سادتـى من بخل

فَمَعْروفـكـم عمّ كـل الـورَى ... إلى طـلّ دانٍ وقـاصٍ وصل

فـمـالى حرمتُ وكـان الوصـا ... ل علىّ حـرام وللغـيـر حل

* * *

دعاء الله تعالى

اللهم: بعلمك بحالنا، وقدرتك على إصلاحنا، ورحمتك التى لم تزل تعاملنا بها منذ خُلقنا، أتمم علينا نعمتك، وأوجب لنا رضاك ورحمتك، وأجزل نصيبنا من جزيل لطفك، وخَفىّ عنايتك.

اللهم: وفقنا للعمل بموجبات رضاك، ولاتحرمنا عطاءك، ولاتقطع لنا بنا.

دونك، ولا تخيب رجاءنا فيك، ولا تولّنا أحداً غيرك، ولا تحرمنا خيرك، يامن خير الدنيا والآخرة في خزائنه وأهل السموات والأرض مفتقرون لرحمته.

اللهم: إننا ظلمنا أنفسنا، وأسأنا في معاملتنا، وغفلنا عن التيقظ من ذنوبنا حتى غلب على قلوبنا رينها، وقد ندمنا على قبح ما فعلنا وارتكبنا، وبدا لنا سيئات ما كسبنا.

اللهم: اغفر لنا مغفرة من عندك يحسن لنا بها توفيقك، وتكشف بها عنا عذابك، وتغشينا بها رحمتك.

يامن أظهر الجميل وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك السريرة.

ياحي ياقيوم، برحمتك نستغيث، لاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك، وأصلح لنا شبابنا كله، برحمتك ياأرحم الراحمين.

وصلِّ على محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كبيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس السادس
سبحان الله العظيم

الحمد لله .. ماسبحت بحمده ألسنة الذاكرين، وسبحان الله .. ما أشرقت أنوار ذكره وجوه العابدين، وما امتدت إلى عطائه أكف السائلين.

سبحان الله.. ماحنت إلى لقائه قلوب العارفين.

سبحان الله.. إله الأولين والآخرين، ورب الخلائق أجمعين، ﴿**يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾ (١) . أنزل إلينا كتاباً أوضح به منازل السالكين، وأيقظ به عقول الغافلين، أنزل به الروح الأمين، على قلب محمد سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، صلاة وسلاماً دائماً باقياً أبد الآبدين، ودهر الداهرين.

سبحان من أذن لأوليائه في مناجاته إذا أرخى ستور الليل البهيم.

سبحان من فتح أقفال القلوب بمفاتيح الذكر الحكيم.

سبحان من عاد على رحيق فصاله أن نشر بها إلا كل حدٍّ كريم.

سبحان من أجزل نصيب أوليائه من خالصة الود القديم، فلو شهدت أيها المحروم نفاسة ماوصلوا إليه لزهقت نفسك حسرةً عليه.

***

لكن جَهِلت فــمــا وَصَلْتَ وكل   من جَهِلَ التّواصُل لا يَحنُّ إليــه
مــا بالُ رَكْبِ العــارفين ســرّوا إلى   مــولاهم وحظوا الغــداة إليــه
وأرَاكَ عنهــم بالتّخلف راضــيــاً   يا نــقــص حــظّك مــن نَوالِ يــديــه

***

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

سَهِرَ العابدُون فى إحـراز رغـائب العبـادة وأنت راقـد
ونهض العارفون إلى تشـيـيـد مـعـاقل السـعـادة وأنت قـاعـد
وذاب المُشـتـاقـون من توقّد حـرارة الصبـابة وأنت جـامـد
فـلا إلى مـا وصلوا إليـه أنت واصل ولا على مـاوفـدوا عليـه أنت وافـد

* * *

تأنيب للغافلين

ما الذى فاتك يامحروم من نيل مناك، أمتّ قلباً كان حيّا أحسن الله عزاك، فإنك إن ساعدك الدمع والا فتباكا، إنما يحصد الزرع من بذر البذور فما أنت حاصد، وإنما يروج الحور من نقد المهور فما أنت ناقد، كل امرىء على ما قدم فاقدم، وفيما شيد خالد. فما الذى قدمت لنفسك يا جاهلاً فى صورة عاقل، وغائباً فى مظهر شاهد.

* * *

أسَفى ومـا أسَفى عليك لأنّنى ضيّعت من أمْرِى ولا تضـيـيـعك
وقعدت مـثلَكَ عن عـبـادة خالقى من غفلتي وصنعت مـثل صنيـعك
أنا فَدْيتك دمـاً لتـفـريطى فنُح يا صـاح وابْك دمـاً على تفـريطك
واعـلـم بـأن بُكـاك لايغـنـى إذا لـم تتـمـسك بالطوع أمـر مليكك

* * *

لقد ألزمك الله بكتابه المنزل قاطع الحجة، وبحجج نبيه واضح المحجة تدعى إلى ساحل النجاة وأنت من الهلاك فى لجة.

حـاسب نفـسك، هل صليت على شرط القـبـول صـلاةً واحـدةً ؟ أو حججت إلى بيته حجة.

هيــــــا إلى مَعْشَرٍ تَجَافَوا عـن   الدُّنيـا وخلُّوا حـرامـهـا والحـلالا
كلمـــا أقـــبل الظَّلام عليــهـم   قـــــابلوه بـأوجـــــــه تَتَلألا
أسْقـمـوا بالجـوع والسُّهـاد أجسـا   دهم ليـصـحّحـوا الأعـمــالا
هـــذه حَال مـــن يروم الـــ   ـمـعـــالى هكذا وإلا فَلاَلاَ

***

مناصحة خالصة جليلة

كل عمل فى غير خدمة الله باطل، وكل بداء على غير عنا الله ليس له حاصل.

فنافسوا فى اقتناء مايبقى ولا يزول، وفرغوا قلوبكم من فضول أشغال الدنيا وكلها فضول.

كيف يثق بالحياه الدنيا من المنية رائضه إلى جنبه؟ كيف يرجو راحة الدنيا من لا راحة له دون لقاء ربه؟ والله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل شائب، ميسرة المطالب لكل طالب، باقية علينا لا يسلبها منا سالب، لكان الزهد فيها هو الفرض الواجب، لأنها تشغل عن الله، والنعم إذا شغلت عن المنعم كانت من المصائب

***

أيا رَاضِعَ الدُّنيـا انْفطمْ عن فطامـهـا   فـقـد آن تَنْهَاك عنهـا الشَّوائب
ألا عَاملٍ فـيـهـا سـينفـذ زاهدٌ   ألا مُومن فـيـهـا سـيَخْلد راغب
ألا مُذْنب مـسـتـغـفـرٌ من ذنوبه   ألا نائحٍ فى مـآتم الحـزن نادب
ألا خـاشعٌ خـوفـاً من الله خـاضع   ألا ناحلٌ شـوقـاً إلى الله ذائب
ستلقـون ماقـدمـتم اليـوم فى غـدٍ   وكل امرىء يجزى بما هو كاسب

قل متاع الدنيا قليل

الثواب في الدنيا قليل، ولنا عليها حساب طويل، فتهيأ للنقلة عنها قبل أن يزعجك الرحيل، ليس لك في سفر الآخرة زاد إلا ماقدمت ليوم المعاد، لا تمسك عن النفقة في طاعة الله فما يليق بالمؤمن إمساك ، لقد شهد القرآن بأن الممسكين عن الانفاق قد ألقوا بأيديهم إلى الهلاك.

ياأصحاب الأسماع الواعية، والعقول الصاحية: الله هو الموجود الذى استغنى عن إيجاد موجد، الله هو الواحد الذى لايفتقر توحيده إلى توحيد موحد، الله هو الأول الذى ليس لأوليته أول، والآخر ليس لآخريته آخر، الله الذى كلما ظهر فهو باطن، وكلما بطن فهو ظاهر، الله الأحد الذى لم يكن له كفواً أحد، والصمد الذى كل من سواه إليه صمد، كل معبود تحت عرشه باطل، وكل ظل تحت ظله زائل.

مستغن عما سواه، وكل ماسواه إليه فقير، يجير على كل أحد، وما أحد يجير عليه.

هو القاهر فوق عباده، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولايتأخر عن مراده.

لاتدركه الأبصار، ولاتحويه الأقطار، ولاتتمثله الأفكار، كل الخلائق عن إدراكه قاصرون، وفي تيه معرفته حائرون.

له مقاليد السموات والأرض، وبيده البسط والقبض، والرفع والخفض، نصب الجبال فأرساها وفجر المياه وأجراها، وسمك السماء وأعلاها، ووضع الأرض ودحاها، وسخر الشمس والقمر دائبين، وجعل الليل والنهار متعاقبين.

الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل من هيبته مطرقون، والجبابرة لعظمته صاغرون، وله من في السموات والأرض كل له قانتون.

سبحان الله كما هو أهله، تبارك الله وتعالى جده، كيف يحيط المخلوق

بوصف خالقه؟ متى يقوم المرزوق بشكر رازقه؟ تعالى الله عن قول من يقول فى القرآن فلا تحيط به دائرة عقله، ستكتب شهادتهم ويسألون، يوم لا ينفع الظالمون معذرتهم ولا هم يستعتبون.

لو أردنا وأراد أغزرنا عقلاً أن يصف نفسه التى بين جنبيه ببعض ماجبلها الله عليه لخرس لسانه، وخرّ جنانه، ولم يهتد فى وصفها إلى صواب، إلا أن يتمسك بالسنة والكتاب: ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ (١)، وليحذر المجادل فى ذات الله بغير علم يوماً يسأل فيه القائل، ويجازى فيه العامل، قال الله عز من قائل: ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون**﴾ (٢)، ويسأل الله تعالى فى ذلك اليوم العود: لم خدش العود؟ فكيف لا يسأل المخالفون فى معتقدات أصول الدين عما خالفوه فى إجماع المسلمين.

والله لو أن مؤمناً عاقلاً قرأ سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، وآية الكرسى، وسورة الإخلاص، بتفكير وتدبّر، لتصدّع من خشية الله قلبه، وتحيّر فى عظمته الله لبُّه.

* * *

(١) سورة النور. الآية: ٦٣ .

(٢) سورة الحجر. الآية: ٩٢، ٩٣ .

المجلس السابع
فى التفسير وفضائل القرآن وفضل وحملته

ـ قال الله عز وجل: ﴿ **سبّح للّه ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾(١): لما كان الله عزيزاً حكيماً، عزيزاً فى ملكه، حكيماً فى أمره، استوجب على أهل سماواته وأرضه أن يقدسوه ويسبحوا بحمده.

ـ ﴿ **له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو علي كل شيء قدير**﴾ (٢) : ومن قدرته على كل شيء إحياء كل ميت، وإماتة كل حى، وهو سبحانه الذى لايموت، المنفرد بالبقاء، والدوام، والعزة، والجبروت.

ـ ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**﴾ (٣) : أوّل: سبق وجود كل موجود. آخر: يدوم بقاؤه بعد فقد كل مفقود. ظاهر: بعلوّه وقهره فوق كل شيء. باطن: بنفوذ علمه فلا يشذ عن إحصائه شيء.

ـ ﴿ **هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوي علي العرش**﴾(٤): فى خلق السموات والأرض. آيات أكبر من أن تدركها عقول المتأملين، وأكثر من أن يحصيها ضبط الحاصرين، ولو لم يكن إلا اختراعها على غير مثال سابق، وقيامها على الدوام بلا اضطراب ولا اختلال لاحق لكان فى ذلك مايحير ألباب الرجال.

ـ﴿ **يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج**

(١) سورة الحديد الآية : ١ .
(٢) سورة الحديد الآية: ٢ .
(٣) سورة الحديد الآية: ٣ .
(٤) سورة الحديد الآية: ٤ .

فيها﴾(١) : الولوج: الدخول. أى يعلم مايدخل فى الأرض من مياه أمطارها، ومايخرج منها من نابتة تنبت فيها من عشبها وأشجارها، وما نزل من السماء ملك ولا صعد إليها إلا بعلم الرب الذى ليس فى الوجود ذرة إلا وهو رقيب عليها.

- **﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾** (٢): أى أنه تعالى معنا بعلمه وقدرته، مشاهد لأعمالنا وأقوالنا وأحوالنا، فقال تعالى: **﴿الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين﴾** (٣). وقال تعالى: **﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾** (٤) : فمن كان موقناً أن الله سبحانه معه ومشاهده أينما كان يصير بعمله كائناً ما كان، استحيا من الله أن يخطر على قلبه، أو يجرى على جوارحه ما لاشرعه الرسول ولانزل به القرآن، واستحيا أن يلبس معصية أينما كان .

- **﴿ له ملك السموات والأرض وإلي الله ترجع الأمور﴾** (٥): الملك كله لله وهو غنى عنه، والأمر كله خيره وشره يرجع إليه يوم الجزاء، ولم يكن شيء غائباً عن علمه ولا خارجاً عن محكمه.

- **﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾** (٦): سلط سبحانه الليل على النهار بإدخاله فيه، وانتقاصه منه، فيسترد منه ماسلبه ومثله معه، بحكمة لا يعلم سرها غيره.

- **﴿وهو عليم بذات الصدور﴾** (٧): ليس فى صدر مخلوق خير ولا شر إلا والله تعالى عالم ،ومطلع عليه وناظر إليه.

---

(١) سورة الحديد الآية: ٤ .

(٢) سورة الحديد الآية: ٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية: ٢١٩، ٢٢٠ .

(٤) سورة يونس الآية: ٦١ .

(٥) سورة الحديد الآية: ٥ .

(٦) سورة الحديد الآية: ٦ .

(٧) سورة الحديد الآية ٦ .

- ﴿يعلم السر وأخفى﴾ (١)، ﴿يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ (٢): لا يخفى عن علمه شيء، فرحم الله امرىء طَهّر باطنه مما يكره أن يطّلع عليه خالقه وبارئه.

وبعد.. فهذا بعض ما اقتضاه الكلام على تفسير أول هذه السورة (سورة الحديد) من تعظيم الحميد المجيد. فالويل ثم الويل لمن هو عن تعظيم الله غافل، وبصفاته العلية جاهل، وفي أثواب المعصية رافل، مصرّ على الخطايا غير ثابت ولا آفل.

«عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن بين الله وبين الخلق سبعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى جبريل وميكائيل واسرافيل، وبينهم وبين الله أربعة حجب: حجاب من نار، وحجاب من ظلمة، وحجاب من غمام، وحجاب من الماء**» (٣)، « وعنه وعن عبد الله بن عمر قالا: قال رسول الله ﷺ : **دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وما تسع من نفس شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت**» (٤). فإن قيل: ما الحكمة في هذه الحجب والله سبحانه وتعالى غني عنها؟ فالجواب: إن من بعض فوائدها رأفة الله تعالى بعباده، وشفقته على خلقه. ولولا احتجاب عن عوامله إلا خرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه جلت عظمة الله وتعالى جده، فهو سلطان الله وغلب جنده.

توحدت ذات الله، وتقدست أسماؤه، سبقت مقادير الله ونفذ قضاؤه، عزّ جناب الله وعزّ جلاله، صدعت حجة الله وصدق مقاله، قوله الصدق، ووعده الحق، ونوره الساطع، وحرزه المانع. سبحانه أنزل كتاباً أحكمت آياته، وأرسل رسولاً بهرت معجزاته.

---

(١) سورة طه الآية ٧ .

(٢) سورة القصص الآية ٦٩ .

(٣) رواه الدارقطني عن سهل بن سعد مرفوعاً وفي اسناده مقالر
وقال العقيلي في كتابه الضعفاء وامجروحين: في سنده موسى بن عبيدة .

(٤) أورده الإمام السيوطي في جمع الجوامع وضعفه وعاب على ابن الجوزي ايراده له في الموضوعات .

فيا من أحياه الله على الإسلام اسأل أن يتوفاك مسلماً، ويا من سربله الله قميص الإيمان اجتهد أن يكون بالنقاء معلماً، ويا من استحفظه الله القرآن كن بمتشابهه مؤمناً، وبحكمه عاملاً.

حامل القرآن راية الإسلام، وفي كل خصلة من خصال الخير لأهلها إمام، لا يقنع بأداء الفرض وترك الحرام.

يشبع الناس وبطن حامل القرآن جائع، ويضحك الناس وطرفه دامع، قد درجت النبوة بين كفيه، فهو نبي غير أنه لا يوحى إليه.

***

ما بين من يقرأ الكتابَ وبين من	يُوحى إليه سوى النّبوة وحدها
للأنبياء مراتبٌ خصُّوا بها	والقارئون مراتبٌ من بعدها
طوبى لمن يرعى أمانة ربه	بالبر والتقوى ويحفظ حدّها
أنفتْ من الدّنيا الدّنية نفسُهُ	فلم يَكُ قطّ يوماً عبدها
وسَمَا بهمته إلى الدّار التى	ربّ العباد لمن أطاعَ أعدّها
لم يخلُق الرّحمن أحسن منظراً	منها سوى عبد تبوّأ كلدها

***

بابٌ منه

القرآن يقدمنا إلى المتاجر الرابحة ونحن عنها متأخرون، والقرآن يزهدنا في الدنيا الفانية ونحن فيها راغبون، ما راعينا حق نعم الله علينا حق رعايتها، ولا تلقيناها بما لزمنا لها من كرامتها. هذا رسول الله ﷺ تروى أخباره فليتنا اتبعنا، وهذا كتاب الله تتلى علينا آياته فبأيها انتفعنا .

***

يا نعمـاً طالما كَفَرنَاها	بهـا قـوينا أن نعـصى الله
ويا نفوساً لو أنهـا رَحـمتْ	لـم نَكُ فـي شَهْوة أطَعْنـاهـا
ويا علوماً مـا كـان أنفعـهـا	لو أننا فى الهدى اتبعناها
قـد حَفِظْنَا العُلوم متـقـنة	لكن بأعمـالنا أضـعناها
طوبَى لنَفْسٍ بعلمـهـا عـملت	واتخـذته دليل مـسـراها
فَنَادت إِلى أَنْ بربِّهـا اتصلت	ثـم أناخـت بـه مـطـايـاهـا
وآثَرتْ قُربـه فـآثـرهـا	كـذالك لما ارْتضـتـه أرضـاها

* * *

غاية المحب الوصال إلى محبوبه

المسلمون قوم انقادوا لله بالدخول فى دينه، فلما تمكن التوحيد من قلوبهم التزموا بطاعته وتمكنت من قلوبهم وجوارحهم، سلت أرواحهم عن كل حب سوى حبه، فلما أحبوه لهجوا بذكره وتنافسوا فى قربه، فلما قدموا عليه حلّوا عرى الترحال، وألقوا عصا السفارة، لأنهم لم يكن لهم سواه مطلوب، وإنما غاية المحب الوصال إلى المحبوب .

* * *

مـا لِلْمُحِبِّ سـوى المحبُوب مطلوبُ	إذ قلبُه عن سِـوى ذكْراه مَحْجُوب
فـالصَبـر منتـزح والسر مـفـتـضح	والدمِ مُنسَفِح والقلب مـسلوب
إن روَّحتَه أمَانى الوصل فـقـد	يرتاح شَـيـئـاً وإلا فـهـو مكروب

* * *

أصدق الشواهد على محبة العلى الماجد

إن من أصدق الشواهد على محبة العلى الماجد: متابعة رسوله، ومواظبة تلاوة تنزيله. فإن الهادى الرشيد، والقرآن المجيد. ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ (١) . قال الحسن البصرى رحمه الله: التزموا كتاب الله، وتتبعوا مافيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل النظر .. رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله عز وجل، فإن وافق ما فيه حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالفه استعتب ربه ورجع إليه من قريب .

وقالت أم الدرداء: سألت عائشة رضى الله عنها عمن يدخل الجنة من قراء القرآن، ما فضله على من لم يقرأه؟ فقالت: إن عدد درجه بعدد آى القرآن. فمن له أن يحسن كلام ربه مع القرآن، ويجتهد فى العمل بما فيه وإلا كان يوم القيامة من الخاسرين .

وقد رُوى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله عليه أنه قال: الزبانية يوم القيامة أسرع إلى حملة القرآن يعصون الله بعد قراءته منهم إلى عبدة الأوثان، غضباً عليهم حين عصوا الله بعد القرآن.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه.

وروى فى الحديث: «من كان فى قلبه آيه من كتاب الله وصب عليها الخمر يحيا كل حرف منها حتى تأخذ بناصيته، حتى يوقفه بين يدى الله تعالى يوم القيامة فيخاصمه، ومن خاصمه القرآن خصم»

فالويل كل الويل لمن كان يقرأ القرآن يوم القيامة وهو المصر على الزنا وشرب الخمر والرياء وظلم العباد وأكل الحرام والربا .

وقال الفضل بن عياض: حامل القرآن راية الإسلام، لاينبغى أن يلهو مع من يلهو، ولا يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، تعظيماً لحق القرآن.

---

(١) سورة فصلت الآية: ٤٢ .

قال ابن مسعود رضى الله عنه: ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون يختالون، وبصمته إذ الناس يخوضون .

* * *

أهلُ القرآن أئمةٌ بهم اهتدى ... أهل السُّلوك إلى رضا الجبار

لكن عليهم أن يقوموا بالذى ... فيه من المشروع للأبرار

صدقٌ وإخلاصٌ وحسن عبادة ... وقيامُ ليل مع صيام نهار

وتورعٍ وتزهد وتعفف ... وتشبه بخلائق الأخيار

وديانة وصيانةٌ وأمانةٌ ... وتجنب لخلائق الأشرار

وأداءُ فرض واجتناب محارم ... وإدامةُ الأوراد والأذكار

يا حاملِ القرآن إن تَكُ هكذا ... فلك الهنَا بفوز عقبى الدار

ومتى أضعت حدوده لم تنتفع ... بحروفه وسكنت دار البوار

* * *

اللهم كما علمتنا كتابك فوفقنا للعمل به حتى يكون شاهداً لنا عندك، وقائداً إلى جنتك، ومؤنساً لنا فى وحشة الألحاد (١)، ومركباً لنا يوم يقوم الأشهاد. اللهم اجعلنا بالقرآن عاملين، ولأوامره، متبعين، ولنواهيه مجتنبين، واجعلنا لك كما تحب، فإنك لنا كما نحب. اللهم بدل سيئاتنا حسنات، ولاترنا أعمالنا حسرات، وأقبل بقلوبنا إليك، ولاتخزنا يوم الوقوف بين يديك، برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) جمع لحد وهو ما يقبر فيه الميت.

المجلس الثامن
متابعة المؤمنين الرسول صلى الله عليه وسلم

الحمد لله كما يليق بحقه، والصلاة والسلام على محمد خير خلقه، الصلاة والسلام عليك ياسيد الأنام، الصلاة عليك يانبى الإسلام، جزاك الله عن أمتك أفضل ما جزى نبيًا عن أمته، وجعلنا ببركة متابعتك فى دار كرامته.

***

أيها السيّد الذى ليس للخَلْـ ـق على غير جاهه تعويل
بك يستشفع الخلقُ يوم العر ض حتى موسى وحتى الخليل
أنت لله مرسلٌ وعلى صد قك عند اللبيب قام الدليل
أى عذرٍ للجاحدين وقد دلّـ ـت عليك التوراة والإنجيل
إن قلباً لم يشفه طبُّك المنـ ـجح من سقمه لقلب عليل
ليس للطّالب السبيلَ إلى الله سوى شرعك الحنيف سبيل
كلُّ من رام من سواه وصولاً ما لديه إلى الوصول وصول
أنت باب الخلق الذى من يحدْعنـ ـه يفتْه إلى الجناب الدخول
كلُّ مدح يقال فيكَ وإن أطْنَبَ فيه لدى علاك قليل
ماعسى المادحون أن يبلغوا من وصف معناك ما عسى أن يقولوا
جملة القول فيك أنك لله رسولٌ وصفوة وخليل
وعلى نسبة الجلالة والرفعة من مرسل يكون الرسول

***

محمد صفوة الرحمن ما حملت ... أنثى ولا وضعت شبهاً لغدته
محمد خير كل العالمين وما ... بدا لنا منه مغنٍ عن أدلته
كل الشرائع منسوخ بشرعته ... وشرعه خالد باق بحدته
لو قيست الأمم الماضون ... بالفضل لكانوا دون أمته
إن كاثروا كثروا أو فاخروا فخروا ... يدنون فضلاً وهذا من فضيلته
يكاد يغضب خزّان العذاب لما ... يقل حظهم من أهل ملته
ووارد النار منهم بالذنوب له ... سيمامن الحسن لايذرى بخلقته
بياض وجه وتحجيلٍ من ... الوضوّ لألأ نور فوق جبهته
ولا يخلد فى نارٍ معذبهم ... ولو أتى بجبال من خطيته

* * *

الخير كله فى متابعة الرسول،والبركة فى حفظ كلامه المنقول.

ماوعظ الواعظون بمثل التخويف من الانقطاع عن الوصول،ولا أطرب الحادون بمثل التشويق إلى النظر إلى جمال وجه الله،ومرافقة رسول الله،ولا يسمع السامعون بمثل حسرة المحجوبين يوم القيامة عن الله،وعن شفاعة رسول الله ﷺ .

الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، الله هو الذى إليك فى كل وقت ناظر، وعليك فى كل حال قادر. أين يفر الفارّون من الله والكل فى قبضته؟ كيف يشكر الشاكرون من سوى الله والكل على مائدته؟ إلى من يلجأ الخائفون إلى غير الله والكل محفوظ برعايته؟ لو علم الراقدون إذ نعسوا ماذا أضاعوا؟ وعلى خط من يخشون غير خط أنفسهم؟ عن قيامٍ ببابه جلسوا. تكلفوا عنه سلوة فسألوا، ثم تناسوا عهودهم فنسوا.

كم من قريب أبعده التباعد؟ وكم من قائم أقعده التقاعد؟ لا يزال رجالٌ يتأخرون حتى يؤخرهم الله يوم القيامة .

ينبغى للحاضر أن يكون سامعاً، وللسامع أن يكون واعياً، وللداعى أن يكون بما دعا عاملاً، وللعامل فى عمله أن يكون مخلصاً. واعلم ياابن آدم أنك مريض القلب من جهتين: إحداهما: مخالفتك أمر الله. والأخرى: عفتك عن ذكر الله. ولن تجد طعم العافية حتى تكون على طاعة الله مقيماً ولذكر الله مديماً. فعالج مرض المخالفة بالتوبة، ومرض الغفلة بالإنابة، وإلا فاعلم عما قليل أنك هالك ومتنقل من أهلك ومالك إلى قبضة ملك مالك.

* * *

قدّم لنفسك فضْلَ مالكَ ... وامهدْ لها قبل انتقالك
خُذْ للتأهّب للرحيل فقدْ ... دنا وقتُ ارتحالك
واعمل على تخليص نفسك من ... سُبالة سوء حالك

* * *

سبحان من أنعم على أوليائه بالعافية من أسقامنا، سبحانه مكن لهم فى مقامهم وزحزحهم من مقامنا، الإصرار والغفلة مقامنا ومقامهم التوبة والإنابة: **﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا﴾** (١) . لو بكينا على نفوسنا حتى تجرى السفن فى دموعنا، ما بلغنا ما يوجبه سوء صنيعنا. اخترنا ما يفنى على ما يبقى، واختار أولياء الله ما يبقى على ما يفنى، يا طول حسرات الغافلين، يافرط ندمات المفرطين.

* * *

يا طول حزن الغافلينا ... عن ذكر رب العالمينا
ياحسرة يطوون جمرتها ... حيارى نادمينا

* * *

(١) سورة الفرقان الآية : ٢٤ .

ذم الدنيا الدنية

ليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله وقلبه مصرٌّ على الذنوب، وإنما الذاكر من إذا هم بمعصية ذكر مقامه بين يدى علام الغيوب. كما قال بعض السلف: ليس الذاكر من هَمْهَمَ بلسانه، وإنما الذاكر من إذ جلس فى سوقه، وأخذ يزن بميزانه، علم أن الله مطلع عليه، فلم يأخذ إلا حقّا ولم يعط إلا حقّا.

فما ينبغى للعباد أن ينشغلوا عن المنعم بشيء من نعمه، ولا يلتهوا عنه بشيء من كرمه. الله أحق أن نختاره على سواه. الله مولانا، وما أولى بالخير من كان الله مولاه. ياليتنا عقلنا عن الله ولو حرفاً من خطابه، ياليتنا قربنا من الله ولو عرض شعرة من عزيز جنابه، إنما يفهم ما أقول أرباب الفطن والعقول، إنما يشرب من هذا الشمول هو برداء التوفيق مشمول.

اسمع ماأقول فهو جميل، لايضر عنه مايقول الجهول: كل شيء شغول فهو للنفس عول، عن ذكرٍ لمولى ملكه مايزول.

قال رسول الله ﷺ: « ملعونة هى الدنيا ملعون مافيها إلا ذكر الله، وعالماً، ومتعلماً » (١). كيف لاتكون الدنيا ملعونة وهى عن ذكر الله شاغلة؟ ولمن نظر إليها فاتنة، ولمن ركن إليها قاتلة، ولمن استحبها غاشة ولمن استنصرها خاذلة.

الدنيا حَب، والمعصية فخ، والشيطان صياد، والإنسان طائر. فمتى أكب الإنسان على التقاط حلالها فيوشك أن يقع فى حرامها، ومتى وقع فى حرامها فقد استحوذ عليه قنّاصه، وتعذر عليه إلا من جهة التوبة خلاصه. فكيف السبيل إلى الخلاص منها، ورضيعها لا يمكنه الفطام عنها؟ والجواب عن هذا

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد باب ماجاء فى هوان الدنيا على الله عز وجل (٥٦١/٤) وقال:
* وأخرجه ابن ماجة فى الزهد باب مثل الدنيا.
* وأخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (٣٣/١) وابن أبى عاصم فى الزهد (٥٧).

السؤال :أن تستغيث بالكبير المتعال. فالراجع إلى الله مستريح بالله مما سواه، لأنه يستريح من الدنيا وأشغالها، ومن الشياطين ووسواسها، ومن الأفكار وغمومها، ومن الأشغال وهمومها، وغير ذلك مما الناس به فى هذه الدنيا مفتونون ومعذّبون، وعليه فى الآخرة محاسبون ومعاقبون. فأريدوا وجه الله بكل أعمالكم، وجاهدوا فى سبيل الله بأنفسكم وأموالكم، وأقبلوا عليه يقبل عليكم، فإنه لايعرض إلا عمن أعرض عنه. ولا تجعلوا طلب الدنيا أكبر همّكم فيطول فيها همّكم، وفى الآخرة يطول حسابكم على قدر مالكم.

قال أبو الدرداء رضى الله عنه: ذو الدرهمين فى الآخرة أشد حساباً من ذى الدرهم.

وفى الحديث: « التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غنى، ومؤمن فقير، كانا فى الدنيا، فأدخل الفقير إلى الجنة، وحبس الغنى ماشاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة. فلقيه الفقير فقال: ياأخى ماأحبسك بعدى؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك! فقال: ياأخى والله لقد احتبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً، وما وصلت إليك حتى سال منى العرق ما لو ورَدَ ألف بعير كلها أكلت حمصا لعددت عنه رواء » (١).

واعلموا أن لله عباداً شغلهم الاهتمام به عن الاهتمام لهم، وتلك مرتبة المقربين الذين يتبتلون إليه تبتيلاً. ومنهم من لايرفع قصة الشكوى إلا إليه، وذلك مقام أصحاب اليمين الذين لم يتخذوا من دونه وكيلا.

اجتهد أن تكون عارفاً بالله، فإن عجزت فاجتهد أن تكون مريداً من الله، ولاتكن الثالث تكن من الخائبين.

اجتهد أن تكون عارفاً بالله، فإن عجزت فكن عالماً بأمر الله، ولاتكن الثالث تكن من الجاهلين.

---

(١) رواه أحمد : قال : حدثنا حسن حدثنا دويد عن مسلم بن بشير عن عكومة عن ابن عباس : وفيه : دويد قال الحافظ ابن حجر . الخرساني مجهول وقال الهيثمى فى الزوائد : غير منسوب فإن كان هو الذى روى =

اجتهد أن تكون ممن يحبه الصالحون فى الله، فإن عجزت فكن ممن يحب الصالحين فى الله، ولا تكن الثالث تكن من الممقوتين.

هذه وصية مناصحة، من اهتدى بهديها اهتدى. هذه سفينة سلامة. من اعتصم بركوبها نجا.

المؤمنون قوم باعوا لله أنفسهم وأموالهم، ولم يقدموا عليه بسوى افتقارهم إليه، فعُوِّضوا بما هو أعوض عليهم وأبقى لهم، عاملوه رغبة فيه لا فى شيء سواه، فجازاهم بجنته ورضاه.

والله لو أن محبًا صادقاً يسأل بذل روحه وماله حتى ينال نظرة فى نومه يسخو بها الحبيب من خياله، وجدته لنفسه مهيناً لنعم باله. والرب تعالى يستقرض منا ربع عشر ماخوّلنا من مقتنى أمواله، فلا نجود، ثم نرجو حظوة لديه بالنعيم فى وصاله. هذا هو المحال، والمحال لامطمع للعاقل فى مناله. إنما أمركم الله سبحانه بإنفاق أموالكم فى سبيل مرضاته، ليمتحن ماله فى قلوبكم من محبته وإجلاله وخشيته ومقامه ﴿ **والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ (١).

وفقنا الله وإياكم لمرضاته، ووهبنا وإياكم من جزيل هباته، وجمعنا وإياكم فى دار النعيم، وجنبنا وإياكم أفعال أهل الجحيم، إنه جواد كريم، صلى الله على سيدنا محمد أفضل الصلاة والتسليم.

* * *

= عن سفيان فقد ذكره العجلى فى كتاب الثقات وإن كان غيره لم أعرفه راجع كتاب الثقات تحقيق دكتور قلعجى .

– وسلم بن بشير: قال الهيثمى فى الزوائد (١٠/ ٢٦٤) مسلم بن بشير وهو ثقة.

وقال ابن حجر فى التعجيل: فى من اسمه سالم: سالم بن بشير ... ثم قال:

قلت: هذا غلط نشأ عن تحريف وإنما هو سلم بسكون اللام بعدها ميم وقال فى سلم تقدم فى سام اهـ.

قلت فكأنها عنده واحد.

راجع: تخريج أحمد شاكر للحديث فى مسند الإمام أحمد(٢٧٢/٤) حديث: ٢٧٧١.

(١) سورة محمدﷺ الآية ٣٨ .

المجلس التاسع

تسبيح وحمد وثناء له تعالى

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نطفة فجعله سميعاً بصيراً ، وألزمه الحجة بإيضاح المحجة ، إما شاكراً وإما كفوراً . فمن شكر لأنعمه لقاه من كرمه نضرة وسروراً ، وسقاه من مدام ديمه شراباً طهوراً ، ومن كفر أعد له سلاسل وأغلالاً وسعيراً واستقبل به يوم حشره بعد عذاب قبره يوماً عبوساً قمطريراً . ذلك أنه اتبع غير سبيل المؤمنين ، وابتدع من رأيه ماليس من شرائع الدين ، وترك الاعتصام بسنن المرسلين . فويل له إذا قام يوم حشره من حفرته حاسراً حسيراً ، ولقي حساباً قدحرره عليه الحاسبان تحريراً ﴿ **وكل إنسان ألزمنا طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً** ﴾ (١)

سبحان من تسبح بحمده الحركات والسكون وتشهد بحكمته الحياة والمنون ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾ (٢)، يخرجون حفاة عراة غرلا ، يرجو محسنهم من ثوابه فضلاً ، ويخاف مسيئهم من عقابه عدلا ، فيومئذ لا يظلمون نقيراً ﴿**وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً**﴾ (٣) خضع لهيبته كل صعب وذلول، وافتقر إلى توفيقه كل عليم وجهول ، إذا حكم فبالعدل يحكم، وإذا قال فبالحق يقول ، وإذا سامح فالأمر يسهل ، وإذا ناقش فالحساب يطول .

فطوبى لمن كان له من سوء الحساب مجيراً ؛ لقد سعد سعادة الأبد وفاز فوزاً كبيراً.

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٣ .

(٢) سورة الروم الآية ٢٥ .

(٣) سورة الإسراء الآية ١٧ .

أحمده وأشكره ، ولم يزل بالحمد والشكر جديراً ؛ وأشهد ألا إله ألا الله وحده لا شريك له ، شهادة أشرب بها سلسبيل الجنة عذباً نميراً ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الخلق كلهم بشيراً ونذيراً ، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كبيراً .

اللهم اهد من صلاتنا وسلامنا إليه ، وإلى آله وأصحابه الذين جاهدوا بين يديه ، ما يكون حسن الجزاء عندك ؛ خصوصاً : على الصديق الأفضل، والخليفة الأول ، والإمام المبجّل ، أبي بكر الصديق الذى سبق إلى الإسلام أحراراً وعبيداً ، وإناثاً وذكوراً . وعلى الفاروق الأكبر ، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الذي أصبح به الإسلام ظاهراً، وقد كان مستوراً . وعلى جامع الأمة على القرآن بعد اختلافها ، والباذل نفسه دون دينه حتى أوردها موارد تلافها : أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، الذى ابتلى في كتاب الله وكان على البلاء صبوراً . وعلى أبي السّبطين السيدين، أبي محمد الحسن، وأبي عبد الله الحسين ؛ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الحائز من آيات الفرقان نصيباً موفوراً ﴿ **وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً** ﴾ (١).وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وعلى سائر عباد الله الصالحين . صلاة متصلة ، صباحاً ، ومساءً ، ورواحاً ، وبكوراً .

اللهم ونحن من جملة عبادك الفقراء إلى مزيد فضلك ، ودوام مددك ، فاجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، حتى نجاورك في جنة عرضها السموات والأرض، حَشَوْتَهَا برحمتك، وجعلت لباس أهلها حريراً ﴿ **متكئين فيها علي الأرائك لايرون فيها شمساً ولازمهريراً** ﴾ (٢)وأشركنا فى صالح دعاء المسلمين وأشرك المسلمين فى صالح دعائنا، يامن لم يزل بكل شيء خبيراً، وعلى كل شيىء قديراً.

(١) سورة الفرقان الآية ٥٤.
(٢) سورة الإنسان الآية ١٣.

وبعد : فإن تنبيه العقول العاقلة، يورث حرث الآخرة على حرث العاجلة. بالاستقامة على السيرة العادلة، تظهر جواهر النفوس الفاضلة. فطالب الاستقامة محتاج إلى طريق السلامة، من سلكها بعدما عرفها وصل إلى دار الكرامة. فمن عزم على سلوك طريق الجنة، فليجعل دليله علوم الكتاب والسنة. وإنما يهتدى بالعلم لمراد قائله خبير، فلهذا ألزم أئمة السلوك الاشتغال بعلوم التفسير.

* * *

تفسير أوائل سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ (١) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **آلر** ﴾ قال: أنا الله أرى. وقال سعيد بن جبير :﴿ **آلر** ﴾ ، ﴿**حم**﴾، ﴿ **ن** ﴾: هو اسم الله الرحمن.وقيل: (الألف) آلاؤه و(اللام)لطفه.و (الراء) ربوبيته . وقوله ﴿ **أحكمت آياته** ﴾: أى لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب التى قبله .﴿ **ثم فصلت**﴾:أى بينت بالاحكام والحلال والحرام .وقوله تعالى :﴿ **من لدن حكيم خبير** ﴾: أى من عند حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها ، خبير بما تؤول إليه عواقبها .﴿ **ألا تعبدوا إلا الله**﴾أى لاتوحدوا ولاتطيعوا إلا الله.﴿ **إنني لكم منه نذير وبشير**﴾(٢): أى قل يا محمد إننى من عند الله ﴿ **نذير** ﴾ أنذركم عقابه على « وبشير» أبشركم بثواب الله على طاعته و إخلاص عبادته.﴿ **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه** ﴾ (٣): أى اطلبوا من ربكم مغفرة سالف ذنوبكم ، وتوبوا بالرجوع عن مخالفته فى بقية أعماركم .﴿ **يمتعكم متاعا حسنا إلي أجل مسمي** ﴾ (٣) :أى إذا استغفرتم ربكم وتبتم إليه بسط لكم من الأرزاق ، ومد لكم فى الأعمار إلى وقت الموت وهو الأجل المسمى وقيل: المتاع الحسن هو أن يرضيهم بما أعطاهم .وقيل :هو استعمالهم بطاعته ومعرفة حقه ، فإن الله منعم يحب الشاكرين، وأهل الشكر فى مزيد من الله تعالى ،وذلك قضاؤه الذى قضى، وذلك يعنى أنكم أيها المسلمون قد أطعتم ربكم فى الاستغفار والتوبة وقد أنجز لكم ما وعد المستغفرين و التائبين من المتاع الحسن ، فإنه سبحانه قد عفا

(١) سورة هود . الآية ١ .

(٢) سورة هود الآية ٢ .

(٣) هود الآية ٣.

عنكم فى أبدانكم ، ووسع لكم فى أرزاقكم ، وأمنكم فى أوطانكم ،وأعلاكم على عدوكم ، وشرفكم على أهل الملل ، وعصمكم من الردة المخبطة للعمل .وستركم وجبركم ،وآواكم ونصركم ، فاعرفوا لله حق نعمته عليكم ،وطالبوا أنفسكم بواجب طاعته .﴿ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ (١). قال الضحاك : ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ من عمل سيئة ، كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنه كتبت له عشر حسنات ، فإنه عوقب بالسيئة التى كان عملها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات ،فإن لم يعاقب بها فى الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة ، وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول هلك من غلب آحاده أعشاره .

ثم قال تعالى : ﴿ وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾ (٢) أى وإن تعرضوا عما دعوتكم إليه من اخلاص العبادة لله والاستغفار والتوبة، فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير، أى كبير هوله و هو يوم القيامة .قال مقاتل إن لم يتوبوا فى الدنيا حبس الله عنهم المطر سبع سنين حتى أكلوا العظام الميتة . وقيل :معنى قوله ﴿ أخاف ﴾ بما يعلم . وإنما عبر عن العلم بالخوف لأن العلم يوجد الخوف وأ شد العصمة.

***

على قدر علم المرء يعظم خوفه فلا عالم إلا من الله خائف
فآمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف

***

﴿ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ﴾ (٣) : وصف لهم نفسه بالقدرة حتى لا يعتقدوا بجهلهم عجزه ، يخالفوا أمره فسيتوجبوا عقابه فأعلمهم بقدرته قبل حلول نقمته من جملة بره و لطفه وقدرته و رأفته ، فإذا كان هذا لطفه بأعدائه ، فكيف يكون عطفه مع أوليائه .قال الضحاك بن قيس رضي الله عنه : قال ﷺ « يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم لله ، فإن الله لا

(١) (٢) سورة هود الآية :٣.

(٣) سورة هود الآية ٤ .

يقبل من العمل إلا ما خلص لوجهه ، ولا تقولوا : هذا لله وللرحم ، فإنه للرحم وليس لله منه شيء ، ولا تقولوا هذا لله ووجوههم ، فإنه لوجوههم وليس لله منه شيء» (١). وعن أنس رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فرق ـ فرقة يعبدون الله خالصاً .ـ وفرقة يعبدون الله رياءً .ـ وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس.فإذا جمعهم الله قال للذي كان يستأكل به الناس : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادي ؟ قال : بعزتك وجلالك أستأكل بها الناس قال : لم ينفعك شيء مما جمعت ، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبده رياءً : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي ؟ قال: بعزتك وجلالك أردت بها رياء الناس . قال : لم يصعد إلي منه شيء ، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبدخالصاً:بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك مني ، أردت بها وجهك وذكرك . قال : صدق عبدي ! انطلقوا به إلى الجنة » (٢)

وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال : « يا رسول الله أوصني . قال : اخلص دينك يكفك القليل من العمل » .(٣)

وقال يحيى بن معاذ : كونوا عباد الله بأفعالكم ، كما زعمتم أنكم عبيد الله بأقوالكم . وقال البناجي : ما التنعم إلا في الإخلاص ، ولا قرة العين إلا في التقوى ، ولا راحة إلا في التسليم .

حدث القوم عن حقيقة الأمر فصدقوا ، ونظروا في الأعمال فدققوا ،

---

(١) لم أقف عليه وإن كان معناه صحيحا .

(٢) لم أقف عليه وإن كان معناه صحيحا .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين عن أبى العباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى يحيى بن أيوب المصرى عن عبيد الله بن.زهر عن الوليد بن عمران عن عمرو بن مرة الجملى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال لرسول الله ص حين بعثه إلى اليمن .
قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أى البخارى ومسلم فى صحيحيهما .
قال الذهبى فى التلخيص (٣٠٦/٤ بهامش المستدرك) . قلت : لا. أى لم يوافق الحاكم.
وأخرجه أبو نعيم فى الحلية بسند الحاكم نفسه إلا أنه قال بدلا من الوليد بن عمران «ابن أبى عمران» .
(راجع جمع الجوامع للسيوطى)

ونصحوا لنا في وصاياهم ، وعلينا أشفقوا ، وتأدبوا بالعلم والعمل ، فلم أحكموه فضلوا ، فإن تقتدوا بهم تهتدوا ، وإن تسابقوهم تسبقوا ، أين البطال من الأبطال ؟ متى يدرك الأطفال مساعي الرجال .

***

بلغ الرجال نهاية الآمال في سيرهم بالشد والترحال
نالوا المنى لما سَمَتْ لمناله من عزمهم هم هناك عوال
لم ينكلوا في قصدهم ومسيرهم حتى أناخوا بالجناب العالي
هذا هو الأمر الرشيد ومنتهى المرمى البعيد وغاية الآمال

***

فضل التواضع وذم الكبر

ألا ذو طبع كـريم يسمـو إلى هذا الفـضل العظيم ؟ ألا ذو قلب سليم يراعي حفظ العهد القديم ؟ إنما يقدر على الوفاء بعهد يوم الميثاق من كان طبعه كريماً . من نسي عهود ربه فقد استحوذ الشيطان على قلبه . من خالف سنة نبيه فقد نظمه الشيطان في حزبه .

قال الإمام أحمد رحمه الله : ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان . قيل : ولم ؟ قال: ظهرت بدع فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : إن لله تعالى ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك ، فلا يكون مع صاحب بدعة . لو أن المبتدع تواضع لكتاب الله وسنة نبيه لاتبع ما ابتدع، ولكنه أعجب برأيه فاقتدى بما اخترع ، فالتواضع أصل كبير يتفرع منه شيء كبير .

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول رسول الله ﷺ يقول : «ما من رجل يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تحل له الجنة أن يريح ريحها ولا يراها » (١) وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل ينازع الله رداءه الكبرياء ، وإزاره العزة . ورجل في شك من أمر الله . ورجل يقنط من رحمة الله » (٢) . وعن سليمان بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« أرأيتم سليمان بن داود عليه السلام، وما

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه بمعناه عن « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » الايمان باب تحريم الكبر وبيانه حديث ٢٤٩ وأخرجه أيضاً أبو داود في اللباس باب ما جاء في الكبر (٥٩/٤) والترمذي في جامعه كتاب البر والصلة باب ما جاء في الكبر وأحمد في مسنده راجع فهارس صحيح مسلم بشرح النووى ط دار الغد العربى تحقيق دكتور قلعجى .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد كاملاً ولفظه «ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصياً فلا يسأل عنه وأمة أو عبد أبق من سيده وامرأة غاب عنها زوجها وكفاها مؤنة الدنيا فتبرجت وتمرحت بعده وثلاثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله رداءه فإن رداءه الكبرياء وإزاره العزة ورجل=

أعطاه الله من الملك ، فإنه لم يكن يرفع رأسه إلى السماء تخشعاً حتى قبضه الله »

وقال الفتح بن شخوف رحمه الله : رأيت علي بن أبي طالب رضى الله عنه في المنام، فسمعته يقول : التواضع يرفع الفقير إلى الغنى، وأحسن من ذلك تواضع الغنى الفقير . إنما جعل ترفع الفقير على الغنى من التواضع، لأن الفقراء قوم فرغ الله قلوبهم، وجعل رحيق محبته مشروبهم، وأطال على باب خدمته وقوفهم، وجعل رضاه وقربه مطلوبهم، وغضبه وبعده مخوفهم، فهم من خشيته مشفقون، ومن هيبته مطرقون؛ إن توضعوا فلرفعته، وإن تذللوا فلعزته، وإن طمعوا في صدقته، وإن خضعوا فلعظمته، إلى الله افتقارهم، وبالله افتخارهم، وإلى الله استنادهم، هو كنزهم وعزهم وفخرهم وذخرهم ومعبودهم ومقصودهم.

ومن كان بهذه الرتبة فمتى تواضع لغير الله أخل بمركز الأدب، واستبدل الخزف بالذهب. من كان رب العباد مقصوده فهو لكل العباد مقصود. قل للعاملين لغير الله : يا عظم خسرانكم !

وقل للواقفين بغير باب اللّه : يا طول هوانكم ! وقل الآملين لغير فضل اللّه : يا خيبة آمالكم ! وقل للعاملين لغير وجه اللّه : يا ضيعة أعمالكم !

الأسباب كلها منقطعة إلا أسبابه ، والأبواب كلها مغلقة إلا أبوابه .

جناب اللّه أعلى مرتقى تسمو إليه همم المرتقين ، ليس دونه مقنع للطالبين ، ولا وراءه مذهب للسالكين .

سلام اللّه ورحمته وبركاته على همم لا يرضيها إلا قرب اللّه ومرضاته، ما حلا لها غير ذكره ، ولا انقادت لسوى أمره ، فهي الدهر في طاعته وشكره، على حلو العيش ومره ، ويسر الأمر وعسره .

= شك في أمر اللّه والقنوط من رحمة الله .. راجع كتاب الأدب الفرد أعاننا الله على إخراجه .

وأخرجه أيضاً أحمد (٦/ ١٩) في المستدرك والألبان في السلسلة الصحيحة رقم ٥٤٢ : وأخرجه أيضاً الحاكم دون الشطر الثاني (١١٩/١) .

أولياء اللّه لا يحبون ولا يبغضون إلا فى اللّه ، ولا يشتاقون ولا يحبون إلا للّه ، ولا يتوكلون ولا يعتمدون إلا علي اللّه.

إذا صفا مشرب معاملة اللّه لم ينالوا كدر المشارب ، وإذا أينع لهم مذهب السلوك إلي اللّه لم يهتموا لضيق المذاهب ، وإذا ظنوا أن اللّه عنهم راض لم يكترثوا بغضب غاضب ، وإذا لم يكن رسول اللّه ﷺ عليهم عاتب لم يشغل قلوبهم عتب عاتب .

رضا رسول اللّه ﷺ علامة على رضا مرسله ، والعمل بالقرآن دليل على الإيمان بمنزله ، فاتلوا كتاب اللّه وتدبروه ، وعظموا رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم ووقروه .

اللهم صل على سيدنا محمد وآله الكرام ، ما نسخ النور الظلام . واضرب سرادقات حفظك علينا ، ولا تقطع عنا مواد إحسانك إلينا ، واحرسنا من فوقنا ومن تحتنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن خلفنا ومن بين أيدينا ، إفعل اللهم بنا ذلك وسائر المسلمين ، ولا تخلنا وإياهم من رحمة تذكرنا بها ، يا أرحم الراحمين .

* * *

المجلس العاشر

غوائل الشيطان وشره

الله أكبر ، ما تعاقبت الأيام والليالي

الله أكبر ، في كل مقر ، وفى كل سافل ، وعلى كل شرف عالٍ.

الله أكبر ، ما أقبل عام ، وأدبرعام .

الله أكبر ملء بياض النهار وسواد الظلام.

الله أكبر ، فى بطن كل واد ، وعلى ظهر كل شرف

الله أكبر ، تكبيراً يوجب النجاة ، وينقذ من التلف .

كل العباد إلى رحمته فقير ، وفى نعمتهِ مغمور ، محتاج إلى خفي لطفه وخفي عنايته . هل لكم من إله سواه يجبر كسركم ، ويكشف ضركم ، ويمدكم بأموال وبنين ، ويحييكم علي تعاقب السنين ، حتى تبلغوا من العمر غاية آجالكم ، وقد أراكم عجائب الآيات فى تصرف حالاته ؛ فارحموا أنفسكم من متابعة هواها ، ومساعدتها علي نيل مشتهاها.

* * *

بُليت بنفس لا يزال هِواهِا ... يقودإلي نارٍ تدورُ رحاها

ومال النفس للشيطان إلا مساعد ... على عصمتي حتى تحل عراها

ومن يُحلل الشيطان عصْمة دينه هَوى في سَعير لا يُطاق لظاها
أخي إن أَرَدْت النّجحَ والفَوْز بالمنى فخالف من النّفسِ الكَنود (١) هواها
ولا تتبعها في السّلوك فإنها تضلّل عن نهج الهدى بعماها

* * *

ما احترس الإنسان من غوائل الشيطان بمثل نهي النفس عن الهوى، ولا استعان على قمع هوى النفس بمثل الزهد في الدنيا .

متى أردت أن تعرف أن الدنيا والآخرة ضُرتْان فاعتبر ذلك بجوارحك، لأنها أبواب دنياك ؛ فإن دخلت عليك من لسانك : أطلقته في الباطل وفيما ليس له حاصل ، وشغلتك عن التلاوة والذكر ، وأوقعتك في لغو الكلام والزور وقول الفجور ؛ وإن دخلت عليك من بصرك : أرسلته في النظر إلى المحرمات المردية ، وشغلتك عن النظر في المصحف وكل ما فيه عبرة للناظر ونور للخاطر؛ وإن دخلت عليك من سمعك : أمالته إلى سماع كل لهو وباطل ، وشغلتك عن سماع ما نفعه إلى القلب واصل ؛ وإن دخلت عليك من بطنك : كسلت عن الطاعات ، وأبسطت إلى الشهوات ، وأعمت عن الفكر والذكر بصيرة قلبك ، وقادتك إلى كل ما فيه سخط ربك ؛ وإن دخلت عليك من فرجك : فإن كان حلالاً : أوهن القوة ،وبلد الفطنة ــ وإن كان حراماً : ما زاد على ذلك إلا زوال النعمة وحلول النقمة.

وجملة القول في ذم الدنيا : أنها لا تدخل على أحد قط إلا أدخلته بحرامها في عقاب ، ومنعته بحلالها عن ثواب.

سبحان اللّه .. ما أهون الدنيا عليه ، وما أبغضها إليه . أهل الدنيا بحرامها مغرورون ، وبخداعها مغبونون ، وبتحيلها عن الآخرة مغمورون شاغلون .

---

(١) «الكنود» : كفر النّعمة .

﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [1] .

* * *

أهلُ المَشَاغلِ بالدّنيــا وزينتــهـــا عن ذكـــر ربّهم ســاهون لا هونا
لـوأنّهـم قـنـعوا مما يبلغـــهـم لعـــجّلوا راحـــةً مما يقــاســـونا
تفـوت ذي الدار الأُخرى وهي فـانيـةٌ يا ويلَ عشّاقـــهــا مما يُلاقـــونا
لا دار لـهم في الدّهر باقـــيـــة كـــلاً ولا هم لما في الدهر باَقـــونا

* * *

أسباب الغفلة وكيف تتجنبها

اغتنم مواسم الأرباح فقد فاتت أسواقها ، وداومو ما دامت أبواب التوبة مفتحة فقد حان إغلاقها ، وانتهزوا فرصة اليسار في دار القرار ففد آن من أقمار الأعمار محاقها ، وبادروا هجوم الآجال فشمس المنية قد أزف إشراقها ، وأعدوا ليوم الحساب صواب الجواب فإنما يحاسب الخليقة خلاقها .

واغوثاه باللّه من ثقل هذا الرماد،ما أخوفنا أن تستمر غفلتنا إلى يوم التناد.

أعظم الأسباب في توليد الغفلة أمران : أخدهما ـ امتلاء البطون .والآخرـ معاشرة البطّالين . فعليك بالرجوع والعزلة إن أردت العتق من رق الغفلة .

إذا أردت أن يعتـزلك الناس فـاصـمت عن محـادثتـهـم ، فـإن أكـثـر مواصلات الناس بينهم بالكلام ، فمن صمت عنهم اعتزلوه .

لا أضر على العبد من أمرين: ـ غفلته عن.ذكر الله ـ ومخالفته لأمر الله.

الغفلة تحرم الربح ، والمعصية توجب الخسران . الغفلة تغلق أبواب الجنة ،

---

(١) سورة الروم الآية : ٧ .

والمعصية تفتح أبواب النار .

خلق الله سبحانه تعالى الجنة والنار للأبد ، وخلق السماء والأرض إلى أمد؛ فمن عوفي من رقاد الغفلة وسقام المعصية خرج عن النار وأدخل الجنة؛ ومن بقي برقاد غفلته فليس له في الجنة ولوج ؛ ومن بقى بسقام معصيته فليس له من النار خروج . فأما السماء والأرض فمحكوم لهما بالبوار ، وليس لأحد في واحد منهما قرار . ففروا إليا لما يشغل عنه كل الفرار ، واستجيروا به من الغفلة والمعصية ، فهما فوات الربح وإلحاق الخسران .

* * *

يا طول حـــزن الغـــافلينا عن ذكـــر رب العـــالمينا
يا هضـــمهم يومـــاً يرو ن ثواب ذكـــر الذاكـــرينا
ســـتطول حســـرتهم لما كـــانوا به مـــتـــشـــاغلينا
يتـــحـــســـرون على فـــوا ت من فـــعـــال الطائعـــينا
هذاك حـــال الغـــافليـــن فكيف حـــال الخـــاملينا
يا ويلهم يومـــاً يجـــازي الله فـــيـــه العـــالمينا
يا حـــســـرة يصلون جـــمـــرتهـــا خـــزايا نادمـــينا

* * *

يتلهفون على فوات دخولهم في الصالحين . يا سامعاً هذا الكلام اسمع مصاب الهالكين ، واعمل على تخليص نفسك من شباك القانصين [1].

نبهنا الله وإياكم من رقدة الغافلين ، ورزقنا وإياكم مجاورة الصالحين ، ونوّر بصائرنا وبصائركم بما نور به بصائر الموقنين ، وزودنا وإياكم التقوى فإن العاقبة للمتقين .

---

(١) أي الصائدين .

ونسأله سبحانه أن يضاعف صلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين .

* * *

المجلس الحادي عشر
ذكر الموت

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالدين القيوم الصواب، واختصه الله بالكتاب المنير الثاقب ، وحباه بالفضل المبين الراتب ، وأحله من منازل الشرف في المراتب.

بمحمد تصفو الموارد هماءً على الصماء المقارب ، عبدٌ حباه ربه بنفيس مخزون المواهب ، أعطاه من إحسانه فأفاق همه كل طالب ، وحمى أباه وأمه من كل ما للعرض ثالب ، آباؤه من عهد آدم كلهم في المجد راتب ، يتنزهون عن الفواحش والمعايب والمثالب ، حتى أقروه بأشرف منصب من آل غالب، قوم لهم شرف يفوق المناسب والمناصب ، حملت به البكر بطالع في السعد ثاقب، حتى إذا ما حان مولده المفرج للكرائب ، جاءت به بدراً أضاءت له المشارق والمغارب ، وجلا بطلعته المنيرة دجي الكفر الغياهب ، وتباشرت بقدومه الأفلاك حافلة الكواكب .

يا رب بلغنا به ولجميع من في الخير راغب :

عفواً ومغفرة وفوزاً بالمواهب والرغائب ، حتى نرافق أحمد بالخلد في أعلا المراتب .

سبحان من كتب الموت على من تحت عرشه . سبحانه من تفرد بالوجود الأزلي، والبقاء السرمدي ، دون خلقه.

سبحان من ساوى بين البرية في ورود حياض المنية ، فلا القويّ يعتصم منها بقوته ، ولا العزيز يرتفع عنها بعزّته ، قضاء وفصل سبقت به إلاهيته

والأقدار ، وحكم عدل حكم به من كل شيء عنده بمقدار ؛ فمن سخط فله السخط ، ومن رضي فله الرضا ، لأن القدير إذا طلب أدرك ، وإذا حكم أمضى.

سكرة الموت لا تحيا إلا بالحق ، والرضا بالحق واجب على جميع الخلق.

إن لملك الملوك قدرة دائرتها محيطة لا يخرج عنها أى أحد سكان البسيطة.

فالحمد لله على رحمته فيما منّ به من الحياة وعلي حكمته فيما حكم به من الممات ، والحمد لله الذى يحيينا بعد الوفاة ، ويجمعنا بعد الشتات ؛ إن عاملنا بما نحبه فمن خزائن الرحمة والفضل ، وإن فعل بنا ما نكرهه فمن باب الحكمة والعدل ، فشكره واجب علينا إذا ذكرنا بفضله ، والرضا عنه لازم لنا إذا عاملنا بعدله ، وكل ذلك مما سطّرته أقلامه وشرّعته أحكامه .

تقدس الذى صنع فأتقن ولم يكن له فى صنعته مشير ، وخلق فأحسن ولم يكن له على خلقه ظهير ، **﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾** (١).

- أما بلوى الحياة : فإن راميها يصلح لكسب الخير والشر ، فكاسب الخير صابر على مصير أهله ، وكاسب الشر سيجزى على فعله بمثله .
- أما بلوى العباد : فإذا حضرتهم الوفاة انقسموا إلى محب وكاره للفناء،وراض وساخط للقضاء ؛ فمن مات على حال من هذه الأحوال ختم عمله بها وألحق بأهلها . فقوله : **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾**معناه ـ يختبركم فينظر أيكم له أطوع ، وإلى رضاه أطلب وأسرع .

وفى الحديث : عنه ﷺ أنه كان يقول : « إن الله أذل ابن آدم بالموت»(١).

---

(١) سورة الملك الآية ١ ، ٢.

وعن قتادة في قوله تعالي : ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ﴾ قال: أذل الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دارحياة ودار فناء ، وجعل الآخرة دار جزاء ودار بقاء .. فقد اتضح بهذا الحديث والأثر أن في الموت حكمة لمن أراد التدبر، وعبرة لمن اعتبر .

ـ فمن الحكمة فى الموت : وضع عماد المتكبرين ، وتنغيص حياة المترفين ، وتكذيب ظنون الآملين ، وتنبيه عقول الغافلين ، وإزعاج قلوب المطمئنين ، ورفع أيدي المتسلطين وتخفيف أثقال العبادة عن العاملين ، وفوز المحبين بلقاء من كانوا إليه مشتاقين .

ولو لم يكن فى الموت إلا أنه قضاء رب العالمين ، لكان الرضا به فرضاً لازماً لجميع المؤمنين .

الموت انقطاع عن دار الفناء ، واتصال بدار البقاء ، وخروج من دار العمل، ودخول في دار الجزاء .

الموت راحة المسيء والمحسن ؛ أما المسيء فينقطع عنه استمرار طغيانه ، وأما المحسن فينقضي إلى دار الجزاء على إحسانه . الموت فيه لقاء الأحباب ، وإحراز الثواب فليس يكرهه إلا مريب مرتاب .

* * *

الموتُ فيه تواصلُ الأحباب	وبه حياةُ المؤْمن الأوّاب
يشتاقه البرُّ المطيعُ لأنه	يفضي إلى زُلفى وحُسن مآب
يحلُو المماتُ لمن رجَا بمماته	لُقيا الكريم الماجد الوهاب
ويحيد منه كافرٌ أو فاجرٌ	قد يشرده سخطه وعقاب
فامهدْ لنفسك قبل موتك موقناً	أن الممات مقطع الأسباب
واعلم بأنّك عن قريب خالدٌ	في دار خلد أو أليم عقاب

* * *

(١) لم أجده فى كتب الحديث المعتبرة .

سيصحو السكران من سكره ، حين لا يمكنه تلافي أمره .

سيندم المضيّع على تضييعه ، وإذا قابله أمر صنيعه ، سيقصر الأمل من أمله، وقت هجوم أجله ، ونفاد أكله ، وتعذر الزيارة في عمله ، والخروج من أهله وماله ؛ هنالك يستحيل حلو العيش مرًّا ، وينقلب عرف الأمر نكراً، ويعلم جامع الحطام أن الباقيات الصالحات أنفع ذخراً .

ليس في ظل الدنيا مقيل ،ولا على هذه الحياة تعريل،كيف يطمع في الإقامةمن هو في دار الرحيل ؟كيف يضحك من هو محفوف بموجبات العويل.

أسمعنا الغير فتصاممنا ، وأيقظتنا الغيَرُ فتناومنا ، ورضينا بالحياة الدنيا من الآخرة ، واشترينا ما يفنى بما لا يفنى فتلك إذاً صفقة خاسرة .

أين الآذان الواعية ؟ أين الأعين الباكية ؟ قول بلا فعال ، وأمرٌ بلا امتثال؛ رسل ملك الموت على أنفسنا في كل نَفَسٍ واردة ، وأجساد أحبتنا تحت أطباق الثرى هامدة ، قد أوحشت منهم ديارهم ، ودرست رسومهم وآثارهم، وحالت اللحود أحوالهم وتقطعت بالبلاء أوصالهم ، ومحت أيدي الحوداث والغِيَرِ والقبور محاسن تلك الصور ، وأطبقت عليهم ظلمات تلك الحفر ، فلا شمس فيها ولا قمر ونحن عمّا قريب إلى ما صاروا إليه صائرون ، و بالكأس الذى شربوا منه شاربون ، ثم مع هذا اليقين إلى دار الغرور راكنون !فإذا الذنوب قد رانت على القلوب ، وقلة حياء من مراقبة علام الغيوب.

فيا ويح نفس عما يراد بها غافلة ، لا تستعد لما هى إليه صائرة ، وعليه حاصلة ، ولا تزهد فيما هى له مفارقة ، وعنه زائلة .

نور العارفين لا يطفأ

* * *

إلى من أشكو ألوم نفس شحيحة ... على الخير قد أضنى فؤداي علاجها
إذا سألتني شهوة منعتها ... أدامت سؤالي واستمرت لجاجها
وإن سمتها خيراً تفوز بنفعه ... غداً نفرت منه ودام أمر انزعاجها
فقد ضقت يا مولاي ذرعاً وأظلمت ... عليَّ الأرض الفضاء فجاجها
فهَبْ لي يا نور السموات فطرةً ... يضيء لعيني في السلوك شراحها

* * *

الله نور السموات والأرض ، فمن لم يستر قلبه بالله فهو في ظلمات بعضها فوق بعض.

من كثرت رؤيته الأنوار في منامه فالغالب عليه الذكر ، ومن كثرت رؤيته المصابيح النارية فالغالب عليه الفكر .

أهل الذكر يستمدون من العقل ، والإيمان أشرف من العقل ، فمزيّته عليه كمزيّة ضوء النور على ضوء النار في الفضل .

قال بعض العارفين : نمت ليلة وعندي قنديل مسرّج ، فرأيت النبي ﷺ وقد جاء في صورة المنكر عليّ وهو يقول : أما علمت أن النور للمحمدي والنار للموسوي ، ثم أشار إلى القنديل بيده فأطفأه فانتبهت والقنديل قد أطفىء؛ فاشكروا ا يا أتباع محمد المصطفى ، فنوركم بمتابعته نور لا يطفأ .

جعل الله دينكم أسهل الأديان وأسمحها ، وكتابكم أوضح الكتب وأحكمها، ونبيكم أرحم الأنبياء بأمته وأنصحها .

جعلنا الله من أتباعه المفلحين باتباعه ، وجعلنا من العاملين بكتابه وحشرنا في جملة أحبابه ، فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا به .

* * *

المجلس الثاني عشر

الميثاق الغليظ

في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ (١) :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (الميثاق) العهد . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد بأنه إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : أخذ الميثاق على النبيين وأممهم ، فاكتفى ربكم بالنبيين .

وأما : ﴿ الإصر ﴾ فهو العهد .

وقوله : ﴿ فاشهدوا ﴾ أي فاشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم بذلك فالمستشهدون هم الأنبياء . وقيل : الملائكة .

فصلوات الله صاحب المقام المحمود ، المأخوذ على الأنبياء بنصرته العهود، والله وملائكته على ذلك لشهود .

وهذا من أقوى البراهين ، على تفضيل محمد ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين . ومن كان أفضلهم فهو أفضل الخلق أجمعين .

* * *

---

(١) سورة آل عمران . الآية ٨١ .

زار في جُنحِ الدُّجى طيف الخيـال   من بديعِ الحُسن فـتّان الجـمـال
زورة أحـيت كـئـيـبـاً شـفّهُ   مـضض العـذل وتبـريح المطال
عـاشِ بالوَصْلِ وقـد كـان قـضى   وقـتـيل الهـجـر يحـيـا بالوصـال
يـا لـه من زائرٍ حـلّ الـدجـا   منه إشـراق جـبينٍ كـالهـلال
مـثل مـا حلّ بأنوار الـهُدى   مـولدُ الهـادي دياجـيرُ الضـلال
أحـمـد المختـار ذو المجـد الذي   سَادَ بالعـزّ منيـفـات المعـال
شـرّع الشّرع لنا من بعـد مـا لم   نك نَدْرِي حـرامنـاً من حـلال
نسخت ملّتـه مـا قـبلهـا وأحـا   لت حَالَ أصْحـاب المحـال
بكتـاب حيّرت آيـاته بالـكلا   م الفـصل ألبـاب الرجـال
كـان أهل الأرض في سجن العمى   من ظلام الكفـر والدّاء العـضـال
فـتـبـدّت لـهم أنواره كـمـا   البـدر بدا عنـد الكمـال
فلهـذا قُلت في مـدحي له   عـزٌّ لا يشـبـه منظوم الهـلال
زار في جنح الدجـا طيف الخيـال   من بديع الحسن فـتّان الجـمـال

* * *

المجلس الثالث عشر

هول بوم الوعيد

الحمد للّه ما انتظمت بتدبيره الأمور ، واعتقبت بتصريفه الدهور ، ووسع المقترفين عفوه وغفرانه ، وعم المفتقرين بفضله وإحسانه . خرّت لعظمته جباه العابدين ، فطوبى لمن عبد . واعترفت بوحدانيته قلوب العارفين فويل لمن جحد.

لا راتق لما فتق، ولا فاتق لما رتق ، ولا رازق لمن حرم ، ولا حارم لمن رزق.

فإذا افتقرت إلى الرزق فقل : يا مغني المفتقرين . وإذا ضللت فقل يا دليل المتحيرين .وإذا تعاظمت عليك أهوال القيامة فقل حسبي أرحم الراحمين .

الإيمان بيوم القيامة يخف به النطق على اللسان ، ويثقل العمل به على الجوارح ، ويسهل الإقرار به على من يدّعي الإيمان ، ويعسر استقراره بين الجوانح .

كم من مقر بالعرض على الديان وهو مرتكب للقبائح ، يزحف إلى الطاعة زحفاً بطيئاً ، ويجري إلى المعصية جرياً حثيثاً ، ﴿ **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾ [1]

لو كنت من المصدقين بيوم القيامة لكنت من أهواله خائفاً ، ولو سلكت سبيل طلاب السلامة لم تكن للأمر خالفاً ، ولو رغبت فيما أعد الله لأوليائه من الكرامة لم تزل في الخدمة واقفاً ، ترجو رجاءً طيباً وتعمل عملاً خبيثاً ﴿**الله**

(١) سورة النساء الآية ٨٧ .

لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾ .

المصدقون بيوم القيامة أكياس دانوا أنفسهم وعملوا لما بعد الموت ؛ ثبتت عقائدهم في قلوبهم بالنص والقياس ، فشمّروا خشية الموت ؛ أيقظوا عقولهم من رقدة النعاس حين أسمعهم الصوت ، علموا أن ما بأيديهم من الدنيا سيصبح تراثاً موروثاً ، وهباء مبثوثاً ﴿ **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾ .

* * *

خليليَّ أعدوا مطايا الرحيل وَسيروا إلى الله سيراً حثيثاً
وإيّاكم أن تكونا كمن يبدّل بالطيبات الخبيثا
ولا تخدعا بأماني النفوس فقد صدق الناصحون الحديثا

* * *

من لم يكن شغله بأمر آخرته ، ولا مصلحة دنياه فشغله فضول.

فإياك والتفرغ لثلب أعراض الناس ، فالعاقل عن ذكر الخاطئين مشغول . والعاقل عن ذكر الورى مشغول ، قد أيقن أنه غداً مسئول .

من أيقن أن ربه سائله ، فالصارم فوق رأسه مسلول .

إذا أحببت أن تعلم العبد لا تسمعه التفرغ لغير ذكر ربه ونفسه ، فتأمل أحوال العباد يوم القيامة ، الكل فى ذلك مهتمين بنفوسهم ، ومحمد ﷺ مشغول بربه يسجد السجدة بعد السجدة بين يديه ، يمكث فى كل سجدة ماشاء الله يحمده ويثنى عليه ، وسادات المرسلين ينادون نفسى نفسى ، ومن سواهم مشغول بكربه لا يعيد ولا يبدى .

كم فى القرآن من ذكر يوم الوعيد ، ولو لم يكن إلا سورة التكوير

والانفطار ، لكان كافياً لذوى الأسماع والأبصار. فليت شعرى،هل أنتم بالقيامة مصدقون ؟ أم الموعود بها قوم آخرون ؟ ران على القلوب صدأ الذنوب ، ومن ران الذنب على قلبه فهو من الآخرة محجوب .

* * *

عين جودى بدمعك المسكوب قد أمات القلوب كسب الذنوب
كيف ترجو الحياة للقلب والعب د مصر على إرتكاب الحوب
أدعى باللسان أنى آمنت وحالى تومى إلى تكذيب
أى عذر عددت يا نفس للموقب يوم الفقر والتكريب
يوم يجثو موسى وعيسى وإبرا هيم من هول تلك الخطوب
يظهر الحق ذلك اليوم للخلق خفايا مستودعات القلوب
يومهم بارزون لا شيء يخفى من بعيد منهم ولامن قريب
كيف يخفى شيء على الله منا ومنهم علام خافيات الغيوب
يتولى الحساب رب البرايا غير مسرور ولا منستنيب
يا حياء المقصرين المسي ئين يوم فتح الغيوب
حسبنا ربنا وليس سوا ه يرجى لفاقة المذنوب

* * *

إذا كنت أيها العاصى ساقطاً عن غير الله ، فيكفيك سقوطك من عين ربك ، وإن كنت من أهل الكرامة على الله فقدر كرامتك عليه يمقتك على دينك ، وإن كنت من أهل القربى ، اشتد عتبه عليك من أجل قربك ، وإن كنت من أهل البعد اشتد هوانك عليه من أجل بعدك .

* * *

ما اشتد عليكم في جفاكم عتبي ألا لعلو قـــدركم في قلبي
الحب حـــرام عند أهل الحب ما أوجع سوط البعد بعد القرب

* * *

من خصائص الذكر

بذكر الله تستنير القلوب وتحيا، فكل غافل عن ذكر الله فهو في ظلام. الليل أغشى ولو أشرقت لعينيه شموس الضحى **﴿الله نور السموات والأرض﴾** فلهذا لا تستنير إلا القلوب التي هي بذكره ملأى.

* * *

صبّ تقلبُه على فَرشِ الضّنا مُذْ غبتُم عدم المسـرة والهنا
ما اشتدّ عنكم بعد بعدِ مَزاركم إلاّ الصبـابة والكآبة والعنا
لكن أمـاني الوصْل تنعشُ قلبه فيعيشُ أحيـاناً بترويح المنا
وتهبُّ مِن ذكـراكم لفؤاده نسمـات ألطافٍ تفرج ما عَنَا
فالذّكر أغنى ما لفـاقَة قلْبه ما لليتيم مَن تذكركم غنا

* * *

كيف يستغني المحب عن ذكر الحبيب زمان البعد والحجاب ؟ والذكر هو العوض لفقد الأحباب عما فقده من نعيم الرؤية ولذيذ العتاب .

المحب الصادق إما أن يكون إلى المحبوب ناظراً ما دام له عن وجهه سافراً، وإما أن يكون له ذاكراً إذا لم يكن له في حضرته حاضـرا .

* * *

كنت من قـــرب دراهم فى نعـــيم　　وأنا اليـــــوم فى العــــذاب الأليـم
أنا أشكو إليكم حـــرقــة الذكــرى　　فــأنا من وقـــودها فى جـــحــيـم
أجـمع لكم من طبـيب خـبـيــر　　ولبـــــــــيـب ونـاصح وحـكـيـم
إن هجـر الأحـبــاب سـوط عــذاب　　ووصل الأحـــبـــاب رأس النعـــيم

* * *

عباد الله .. اذكروا الله ذكر من هو إلى وجهه الكريم ناظر، جنابه العزيز حاضر ،فخير الذكر ما كنت فيه غائبا كحاضر، ومحجوباً كناظر .

لو تحقق الذاكر بما هو له من الأدب لازم عليه واجب، لنظر إلى شيطانه **﴿ويقذفون من كل جانب ٭دحوراً ولهم عذاب واصب﴾** (١)

ذاكر الله لايستطيع الشيطان فى ذكره مقيلا. ذاكر الله لا يجد الشيطان إلى إغوائه سبيلاً. ذاكر الله لايزال شيطانه مدحورا ذليلاً. ذاكر الله قد تكفل الله بحفظه، وكيف يضيع من كان الله يحفظه كفيلاً.

* * *

اذكـــروا الله بكرةً وأصـــيـــــلا　　وتبـــتلوا لذكـــره تبــتـــيـــلاً
اذكــروا الله ذكـــر صب مـــشـــوق　　واجـعل الذكــر للوصـال سـبـيـلاً
ارض بالله مـــؤنســـاً وجليــســـاً　　واتخـــذه دون العـــبـــاد وكـــيـــلاً
فـــر مما ســـواه والجـــأ إليـــه　　واســـمـــحـــه تجـــده براً وصـــولاً
الزم الذكــــر واتخـــــذه تجـــــد　　الذكـــر بالوصـــال كـــفـــيـــلاً

* * *

(١) سورة الصّافات الآية ٨، ٩

فضل الاستغفار

المعاصى سلسلة فى عنق العاصى، لا يفكه منها إلا الاستغفار والتوبة .

والصراط كثير الاضطراب تحت أقدام السالكين، لا يسكنه إلا قول: رب سلّم سلّم. والنار مسعرة الضرام، لايطفيء لهيبها إلا نور الإيمان. والموقف شديد الحر، لايكن منه إلا ظل العرش. والقبر مطبق الظلمة، لاينوره إلا مصباح اليقين. والجنة مغلقة الأبواب فى وجوه طلابها، لايفتحها إلا كلمة الإخلاص وشفاعة الرسول والشيطان جاثم على قلب الإنسان لايمشى عنه إلا بالذكر.

اذكر البر الرحيم كما يذكر الأحباب العشاق، مسّة الشيطان ليس لها غير ذكر الله ترياق.

يا فرسان ميدان ذكر الله أطلقوا الأعنة، يا فرسان ميدان ذكر الله أشرعوا الأسنة وأسقطوا الأجنة.

لا تطمعوا فى وجدان حلاوة الذكر وقلوبكم مشغولة بوسواس الفكر. كيف يكون حبيب الرحمن، من هو للشيطان سمير. كيف يطمع فى الوصول من لايجدُّ فى المسير .

* * *

لا ينال العلى رخى البال	إنما تلك رتبة الأبطال
خاطروا بالنفوس والأموال	هكذا هكذا تنال المعالى
وإعلموا أن فى، حدود جنان الـ	ـخلد حورا لها مهور غوالِ
ووراء السور سجف ستور	مسبلات على قصور عوالى
فوق تلك القصور وادى التجلى	والكراسى منصوبة للرجالى
هم رجال لم يلههم عن مجا	لس الذكر شيئ من هذه الأشغال
فانفضوا عن قلوبكم كل هم	من هموم الأولاد والأموال
واحملوا حملت الهزبر[1] إذا	حامى حذار الردى عن الأشبال

(١) «الهزبر» اسم من أسماء الأسد.

من لوازم ذكر الله تعالى

أول ما يحتاج إليه العازم على ذكر الله التفرغ من الشواغل الظاهرة، ثم تسكين جوارح البدن عن الحركات الشاغلة، ثم قطع الفكر عن قلبه، ثم إشعار نفسه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه ثم استفراغ الوسع في تجويد الذكر ، ثم إطالة المجلس ما أمكنه إطالته ، ثم التحفظ بالحالة التي استفادها قلبه من الارقة باجتناب الملهيات من حين يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه ؛ فهذه الشرائط السبع ، من راعاها حق الرعاية ، بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية.

من أحب شيئاً أكثر ذكره ، ومن أجلّ أمراً أعظم قدره ، ولا حبيب أحب من الله إلى أهل ولايته ، ولا جليل أجل عند الله من أهل معرفته ، فاذكروا الله ذكر المحبين ، وأجلوه إجلال العارفين ، لتشربوا كؤوساً من شرابه رحيقاً مختوماً ، ثم تلحقوا بمن رفعهم الله عن الرحيق حتى صار كل شرابهم تسنيماً .

* * *

لعلك تشتهي صرفا حلالاً ... لا صداع ولا خُمارا

شرابُ المسلمين فلا يهودُ ... حوتها في الدِّنان ولا نصارى

عليكَ بقُرْب مجالس أهلِ الذكر ... تجد قوماً من الذكر سكارى

تدور عليهم كاسات خمرٍ ... من التوحيد قدس من أوزارا

فزرهم لا تخف فليس يشقى ... طوال الدهر من للقوم زارا

عساك تصيب بينهم نصيباً ... من الحس إذا ما الكأس دارا

* * *

أهل ذكر الله وقت صفاء الأوقات يشربون من شراب المصافاة كؤوساً

مترعات،ويجنون من غروس الذكر ثماراً يانعات،ويخلع عليهم من ملابس القرب حلل فاخرات﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون* بأكواب و أباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون*وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون ﴾ (١)كل هذا يناله أهل مجالس الذكر ، والناس ينظرون إليهم ، وهم لا يبصرون .

* * *

أهلُ ذكــرِ الله قــد يُتْحــفُونَا ... بنَوالاَت بهــا يكرمــونا
فــتــراهم منعَّمين وهم فــيــمــا ... اشتهت أنفســهم راتعــينا
تعرج الأرواحُ منهم إلى العــرش ... وهم بين الورى قــاعــدونا
وحــسان الحور تجــلاَ على أبصــا ... رهم والنــاس لا يــبصــرونا
وكــؤوس دائرات بهــا ... الولدان يســقونَ فــلا ينزفــونا
وثمــار يانعــات بأطبــاق لُجَيــ ... ن (٢) هم بهــا يطوفــونا
والرّياحين تميــد اهتــزازاً ... برياض هم بهــا يمــرحــونا
وبحــار الخــمــر والماء والشّهــد ... ومــا يقْنى لواجــدونا
وثيــاب السّندس الخضرعــاليـ ... ـهم فــهم في حسنهــايرفلونا
كــل هــذا وهــم بــعد فــي ... ديناهم بين الورى يرزقــونا
كــيف لو فــارقوا هذه الدا ... ر إلى دار لهــا يعــملونا
قــوم جــدُّوا في اللّحــاق بهم ... كــيف تحــوّزوا مــا هم حــائزونا
واذكروا الله علي كل حــال ... وانظروا كــيف تذكــرونا
لا يتمّ الذّكــرحــتى تكونوا ... كلمــا في وســعكم تبــذلونا
فــأذيبوا الأنفس في طلب العــيش ... بدارِ لا ترون فــيــهــا المنونا
والزموا ذكــر الجليل فــبــا ... لذكــر إليــه وصل الواصلونا

---

(١) سورة الواقعة الآيات من ١٧ - ٢١.
(٢) «لجين» الفضّة.

اللهم إنا نسألك يامن جاد على عباده الصالحين بالقوة والمعونة حتى قاموا لك بحق القيام بالطاعة ، أن تمن علينا بما مننت عليهم . ونسألك أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وأن تجمع بيننا وبينهم فى دارك ، دار النعيم ، إنك جواد كريم .

وصل اللهم على محمد وآله وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيراً .

* * *

المجلس الرابع عشر

تقوى الله

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يجب على العبد في عبوديته، وكما يحبه الرب ويرتضيه ، أنعم بما لا يحصره الحساب ولا يحصيه، ولا يسعه الكتاب ولا يحويه .

كم ذنب قد غفره ، ولولا الغفران لحاق العذاب بجانبه .

أحمده على اللاحق والسابق من أياديه ، حمداً يوجب المزيد من كرم الحق لحامديه .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، أزاحم بها على باب الجنة داخليه.

واشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه الله من خلقه ، فسبحان مصطفيه ؛ وارتضاه لتبليغ رسالته فتعالى جد مرتضيه ، فشمّر عن ساق الجدّ في مجاهدة أعداء الله ومعانديه ، حتى اتّسق قمر الإيمان في فلك الإسلام ووضح الحق لناظريه.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وحزبه ومحبيه ، خصوصاً على الإمام أبي بكر الصديق ، خليفة رسول الله ﷺ على أمته ، وصديقه ومواليه .

وعلى الإمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ولي رسول الله ومصافيه

وعلى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، صهر رسول الله ومواسيه .

وعلى الإمام علي بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله ﷺ ومواخيه.

وعلى سائر الصحابة ، وتابعيه .

* * *

قال تعالى في كتابه أمراً لعباده المؤمنين بالتقوى بقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ (١) .

جاء في التفسير معناه : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى .

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار : ياكعب، حدثني عن التقوى.

فقال : يا أمير المؤمنين ، هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال : نعم . قال : فما صنعت ؟ قال : حذرت وشمّرت . قال : فكذلك التقوى .

وقال النبي ﷺ : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذر إلى مابه بأس ».

لباس التقوى أحصن جنة يحصن بها الخائفون ، وخشية الله أوثق عروة يمسك بها المتمسكون، وأداء فريضة الله، واجتناب محارم الله أنجح وسيلة توسل بها إلى الله المتوسلون .

طوبى لمن كانت الجنة مثابه ، وهي مثاب المتقين

وشراب الرحيق والتنسيم والكافور والزنجبيل شرابه ، وهو شراب الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهم رفقاؤه وأصحابه.

إنما يجازى بمثل هذا الجزاء من هو من المتقين ، الذين أقاموا الدين بشرائطه المشروعة ، واقتدوا في الملة الإسلامية بآياتها المتبوعة؛ فإذا صلى أحضر قلبه مع بدنه في تذكر وتدبر أذكاره ، وأحسن أدبه بين يدي عالم أسراره، وإذا تصدق أخرج الطيب من كسبه ، لا يريد عليه جزاءً إلا ابتغاء وجه ربه ، وإذا حج أخلص النية لله في قصده قبل الخروج من أهله ، وأنفق إلى مرجعه من

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .

طيب المال وحلّه ، واجتنب الحرام ، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال « من حج بمال حرام فقال : لبيك . قال الله له : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك، حتى ترد مافي يديك » . (١) وإذا صام صان نظره عما لا يحل عليه النظر، وصان لسانه عن الكلام الزور والهذر ، وصان سمعه عما يحرم الاستماع إليه ، وصان لسانه عن تمزيق أعراض المسلمين .

فكم أفسدت الغيبة من أعمال الصالحيين ، وكم أحبطت من أجور العاملين ، وكم جلبت من سخط رب العالمين ، فالغيبة فاكهة الأرزلين، وسلاح العاجزين ، مضغة طالما لفظها المتقين ، نغمة طالما مجّها أسماع الأكرمين . فرحم الله امرءاً لم يفسد عبادة يهديها إلى حضرة العزيز الرحيم، بلقمة حرام تعقب طعام الزقّوم وشراب الحميم ، فهى كلمة ما استحلاها إلا طبع لئيم ؛ وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (٢) ؛ في هذا الحديث دليل على أن العامل قد يكون بصلاح ظاهره معموراً ، وقد سقط عن عين الله حتى ما يزن عنده نقيراً ، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من أمره ما كان مستوراً ، وظهرت مخبآت الصدور على صفحات الوجوه رقماً مسطوراً ، ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً** ﴾. (٣)

* * *

(١) أخرجه الديلمى عن أنس بلفظ « من حج من مال حلال أو من تجارة أو من ميراث لم يخرج عن عرفة حتى تغفر ذنوبه وإذا حج من مال حرام قال الرب لالبيك ولاسعديك ثم تلف فيضرب بها وجهه. (جمع الجوامع للسيوطى : ١/٧٧١)

(٢) أخرجه البخارى فى الصوم باب من لم يدع قول الزور والعمل به فى الصوم والترمذى فى الصوم باب ما جاء فى التشديد فى الغيبة للصائم .
وأبو داود فى الصوم باب الغيبة للصائم . وأيضا أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع وأشار إلى أن أحمد أخرجه فى المسند راجع لنا كتاب مفاتيح القارى لأبواب فتح البارى.

(٣) سورة الإسراء الآية ١٣ .

ليت شعري مـاذا أقول إذا مـا وقفت في القيـامـة مكبلاً مأسورا
ثم قدمت للحسـاب ذليـلاً وأتيت كتـاباً مسطراً منشـورا
وأتي بالأعـمـال توزن بالذر فـمـا غـادروا هناك نقـيـرا
وبدا لي من فـوق وجـهـي سوء فعلي محـرراً مسطورا
ثـم نودي علـى هـذا فـلان كـان لله عـاصـيـاً مستورا
فضحته اليـوم الذنـوب وحـسـاب محـرر تحـريرا
وأتـى بالسعـيـر أسـمع منهـا تغيظاً وزفـيـرا
مـا احتيـالي في ذلك الموقف المهـول ومن ذا يذود عني السـعـيـرا
ليس لى غـيـر حسن ظني بربي خـائفـاً من عـذابه مـسـتـجـيـرا
وتعطف بجبر كـسـرى فـقـد أصـبـح قلبي مما جنا مكسـورا

* * *

صفة جهنم أعاذنا الله منها

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » (١). وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: يؤتى بجهنم يوم القيامة وهى تمايل على الخزنة، حتى توقف عن يمين العرش، ويلقى عليها الذل، فيوحى الله إليها ما هذا الذل؟ فتقول: يارب .. إنى أخاف أن يكون لك فيّ نقمة. فيوحى الله إليها: إنما خلقتك نقماً، وليس ليس لى فيك نقمة. فتزفر زفرة لا تبقى دمعة فى عين إلا جرت، ثم تزفر أخرى فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبى مرسل إلا صعق، إلا نبيكم نبى الرحمة يقول:

(١) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب شدة حرّ جهنم...وأخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود من طريق حفص بن غياث فى كتاب صفة جهنم باب ما جاء فى صفة جهنم راجع فهارس صحيح مسلم ط دار الغد العربى وضع دكتور قلعجى .

يارب.. أمتي، أمتي[١]

عباد الله .. فاستجيروا بالله من شر هذه النار التي لا يرحم ولا يغاث باكيها، واسألوه الإقالة من ذنوبكم قبل أن لا يقال غيره، وتوبوا إلى الله من قريب، واستحيوا ممن هو عليكم رقيب، واحذروا أن يأتيكم الموت وأنتم على المعصية مصرّون، ولا تخلدوا إلى الدنيا فإنكم عنها منقلبون ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾[٢].

وأكثروا من ذكر الله تعالى واستغفاره، واسألوه أن يرزقكم الفوز بالجنة والنجاة من ناره، واغتنموا العمل الصالح في نهار العمر وليله، وتمسكوا بما في أيديكم من حواشي ذيله، وتزودوا ما أطقتم من البر فستجدونه يوم توفية الأجر، واستحيوا من الله حق الحياء فهو رقيب عليكم في كل ما أنتم له عاملون فإنكم على بساط كرمه قاعدون، وفي بحار نعمه عائمون، وإلى دار جزائه صائرون، ولكريم عفوه وجميل صفحه آملون.

فاذكروه يذكركم، واشكروه يزدكم، واتقوا الله لعلكم تفلحون، اتقوه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

اللهم .. يا من ليس في الوجوه سواه، يا من عليه يعتمد، ومن فضله يُسأل، وإليه يسند، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا كثير الخير، يا دائم المعروف، يا من الملائكة في خدمته صفوف، وعلى طاعته عكوف .

يا جار المستجير، ومن هو على كل شيء قدير.

يا غياث الملهوف، يا من بيده القبض والبسط، وبيده تقوم السموات والأرض.

يا من امتدت لمسألته أكف السائلين، وخرّت لعبادته وجوه الساجدين،

(١) لم أقف عليه في الكتب المعتبرة وراجع تذكرة القرطبي من تحقيقنا ط دار إحياء الكتب العربية فهناك أحاديث بمعناه.
(٢) سورة الزمر. الآية ٥٤.

وعجت بتلبيته أصوات الملبين، وطمحت إلى معروفه أبصار الآملين. يا عالم السر والنجوى، يا من إليه المشتكى. يا من عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات.

يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. يا من إذا انتهت الشكوى إليه فقد بلغت المنتهى. يا فالق الحب والنوى.

اللهم. نشكو إليك ما نحن فيه من طاعتك مقصرون، وعلى معصيتك مصرون، وبعظمتك جاهلون، وبحكمك مغترون، وعن القيام بما يلزمنا فى حقك عاجزون.

اللهم اجعلنا من الذين يعاملونك بما تحب، وتعاملهم بما يحبون، وينصرفون عما تكره، وتصرف عنهم ما يكرهون. وألحقنا بالذين وجهوا إليك وجوههم ،وأخلصوا لك أعمالهم، ولم يعتمدوا على أحد إلا عليك، ولم يستندوا إلا إليك، ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾[1]

واختم لنا بخير، ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين. وصل على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

* * *

(١) سورة البقرة الآية ٢٠١.

المجلس الخامس عشر

جزاء التّائبين

الحمد للّه، بجميع ما حمد به الحامدون، على كل نعمة وصل إليها من كرامته الواصلون، لدى خلقه كلهم من نحن به عارفون أو جاهلون.

ومن أولى بالحمد من منعم من بحر أنعمه أنعم المنعمون، ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون** ﴾ (١)

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من لم يزل عبده، ولا رأى إلا رفده، ولا يخاف إلا وعيده، ولا رجا إلا وعده.

عسى بكلمة الإخلاص أن نحصل على الإخلاص، ولات حين مناصٍ إلا للموحدين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى عبده حتى أتاه اليقين، ورسوله الذى جاء بالحق وصدّق المرسلين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، رضوان الله عليهم أجمعين؛ خصوصاً على الخلفاء الراشدين: أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، الأئمة الهداة المهتدين؛ وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم .. ونحن من جملة عبادك المفتقرين إلى نوالك، الباسطين أكفهم لسؤالك، منتظرين ما تذكرنا به من إحسانك، وتغمرنا به من أفضالك .

اللهم .. فأجرنا بما تجير به المنكسرين، واغننا بما تغنى به المفتقرين،

(١) سورة الروم الآية ١٧، ١٨ .

وأشركنا في دعاء الداعين ، وأشرك في صالح دعائنا إخواننا فيك من المسلمين

معاشر الإخوان الحاضرين بظواهر الأبدان ، احضروا ببواطن القلوب عسى تمطر سحائب الرضوان بتفسير شئ من القرآن ، نستدعى به كرم الكريم ، ورحمة الرحمن الرحيم : يقول عز وجل في كتابه المبين : ﴿ **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** ﴾(١)

سبب نزول هذه الآية : أنه لما نزل قبلها ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾(٢) قال رجل : يا رسول الله ، وإن زنا وإن شرب الخمر وإن سرق ؟ ونزل بعدها ﴿ **التائبون** ﴾ فكأنه تعالى يقول : الجنة حاصلة للمؤمن ولو أتى الكبائر وغشى الفواحش . ولكن إذا تاب . لأن المؤمن إذا عمل الذنوب فلابد له ولو عند موته أن يتوب ، وهذا من كرم الله تعالى بعبده المؤمن أنه إذا تاب إليه قبل موته قَبِل الله توبته ، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال«إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر»(٣).

* * *

كـريمٌ إذا يَممت بالصِّدق بَابَه فـإنَّك لا تلقى على البـاب حـاجبـا وإن كنتَ ذا ذَنبٍ فتُبْ منه واعتذرْ كأنَّك لم تُذنبْ إذا جِئتَ تائبا

* * *

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٢ .

(٢) سورة التوبة ١١١ .

(٣) أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمر في كتاب الزهد باب ذكر التوبة ورواه الإمام أحمد في مسنده (١٣٢/٢ ،١٥٣) وفيه مكحول .

وأخرجه أحمد أيضاً بسنده عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن البيلمانى قال: أجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم سمعت رسول الله يقول : « إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم» فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال : نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة » فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه ».

فأما من مات عن غير توبة من أهل الكبائر فقلّ أن يسلم من العقوبة، لكنه لا يخلد مع الكافرين . وفي الجملة : من دخل النار ولو ساعة من نهار فقد ذاق العذاب الأليم . وليجرب العاصي بنار الدنيا فهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم : هل له طاقة أن يضع فيها أصبعه أو شيئاً من جسده لحظة واحدة ؟ فالواجب على العبد العاصي أن يبادر إلي التوبة قبل هجوم أجله وانقطاع أمله .

* * *

إذا كنت يا عَاصي علي النار لاتقوى　　فبادرْ إلي التّوبة واستعمل التقوى
ونُحْ أسَفاً من أجل ذنْبك دائماً فما　　في غدٍ يغني نواحٌ ولا شكوى

* * *

وقد رُوي في أثر أن أكثر استغاثة أهل النار من (سوف) كانوا يقدمون على المعصية ويؤخرون التوبة ويقولون سوف نتوب ، فاختطفهم الموت على شر حالةٍ ، فألقوا في نار الجحيم ، ونعوذبالله منها

ـ تفسير آية من سوزة التوبة ـ

قال ابن جرير في قوله تعالى : ﴿ **التائبون** ﴾ أي الراجعون عما يكرهه الله ويسخطه ، إلى ما يحبه ويرضاه .

وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ **التائبون** ﴾ قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها . وقيل : تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق .

والتائبون على ثلاث طبقات :

ـ فأدناهم : التائبون من الكفر .

ـ وأوسطهم : التائبون من المعصية .

ـ وأعلاهم : التائبون من الغفلة .

وأمـــا ﴿ **العـــابدون** ﴾ فقال ابن جرير : الذين ذلّوا لله خشية وتواضعاً له،وجدُّوا في خدمته .

وقال قتادة : ﴿ **العابدون** ﴾ قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم وعدادهم .

وعن ابن عباس : إنهم المقيمون الصلاة .

وقال الحسن : هم الذين عبدوا الله باتباع أمره .

والعابدون أيضاً على ثلاث طبقات :

ـ أدناهم : الموحدون .

ـ وأوسطهم : المطيعون.

ـ وأعلاهم : المتبتلون .

وأما ﴿ **الحامـدون** ﴾ فعن ابن عباس : إنهم الذين يحمدون الله على كل حال وقال الحسن : ﴿ **الحامدون** ﴾ على الإسلام .

والحامدون أيضاً على ثلاث طبقات :

ـ أدناهم : القائم بالحمد الواجب ، وكقراءة سورة الحمد في المكتوبة .

ـ وأوسطهم : الحامد في كل موضع يشرع فيه الحمد ، كالفراغ من الأكل والشرب والعطاس .

ـ وأعلاهم : الحامدون على كل حال كما، كان نوح عليه السلام، فسمّاه الله عبداً شكوراً .

وأمـــا ﴿ **السـائحـون** ﴾ ففيهم أربعة أقوال : قيل : هم الغزاة . وقيل : المهاجرون . وقيل : طلاب العلم .

وقال الأكثرون : هم الصائمون.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿**السائحون**﴾

هم الصائمون» (١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كلما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام (٢).

وقال الحسن : الصائمون شهر رمضان (٣).

وقالت عائشة رضي الله عنها : سياحة هذه الأمة الصيام .

وهو مروي عنه ﷺ قال : « سياحة أمتي الصيام » .

وأما ﴿ **الراكعون الساجدون** ﴾ : فقال الحسن : هم المصلّون الصلوات المكتوبات .

وأما ﴿ **الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر** ﴾: فقال ابن جرير الذين يأمرون الناس بالحق ، ونهوهم عن كل قول أو فعل نهى الله عنه . والناهون عن المنكر : عن الشرك . وعنه : الآمرون بالمعروف ، قال : إما أنهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتي كانوا من أهله. والناهون عن المنكر ، قال : إما أنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه.قال أبو العالية :كل ما في القرآن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهي عن عبادة الأوثان والشياطين .

وقال عطاء الآمرون بالمعروف : بفرائض الله وحده وتوحيده . والناهون عن المنكر : ترك فرائض الله وحدوده وعن الشرك به .

وأما ﴿ **الحافظون لحدود الله** ﴾ : فقال ابن عباس : يعنى القائمين على طاعة الله، وهو شرط شرطه الله على أهل الجهاد ، إذا وفّوا له بشرطه وفّى لهم بشرطهم . أى أن بعض المجاهدين يرتكبون المحرمات من زنا وشرب خمر وغير ذلك ، فإذا أنكر عليهم قالوا : نحن مجاهدون ، والجهاد يطهّرنا . فردّت الآية عليهم : أي كونوا مع الجهاد في سبيل الله ، حافظين لحدود الله .

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى قال حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ص واسامة (مج ٧ج ١١ / ٢٨) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره وأخرج أيضاً عن ابن عباس بسنده قال « السائحون الصائمون» .

(٣) رواه أيضاً الطبري فى تفسيره مجلد انظره ط دار الغد العربى من مراجعتنا .

ثم قال تعالى : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ أى المصدّقين بوعد الله لهم . وقيل معناه : وبشّر من فعل التوبة ، وسائر هذه الأفعال ، وإن لم يكن من المجاهدين .

عباد الله .. فصححوا الأعمال تلحقوا بالرجال ، واحذروا الرجاء الكاذب فإنه محال ،أترجو أن تكون من الرجال بقول أو بفعل أو بحال .

* * *

وأنت منِ المَفَاسد في جـــمـــيـعِ الأَوَامـــر والنَّواهي غـــيـــر خـــال
ومن طَلَبَ الوُصــول بغــيـــر سيرِ على نـهـجِ فذَاكَ من المُحـــــال

* * *

اللهم .. يا ذا الجلال والإكرام ، والعزة التي لا ترام ، يا بديع السموات والأرض ، ويا من بيده القبض والبسط : نسألك أن تتوب علينا وعلى العاصين، وأن تجعلنا من عبادك المتقين ، وأن تجنبنا أفعال الفاسقين ، وأن تختم لنا بخير ولجميع المسلمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

* * *

المجلس السادس عشر

صلاة القاعد وفضل صلاة القائم

هذا تفسير حديث متفق على صحته من الأحكام ، اتفق على صحته علماء الإسلام ، وهو ما راوه عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة أحدكم وهو قاعد مثل نصف صلاته وهو قائم »(١).

القائم في الصلاة له مزية على القاعد فيها من سبعة أوجه :

ـ الأول : المشقة ؛ لأن القائم يلحقه من التعب مالا يلحق القاعد .

ـ الثانى : الأدب ؛ لأن القائم فى الخدمة أحسن أدباً من القاعد.

ـ الثالث : النشاط؛ لأن القائم أنشط في الخدمة وأبعد من الكسل والنعاس .

ـ الرابع : التمكن ؛ لأن القائم أقدر على فصاحة الكلام في المناجاة وتحسين هيئات العبادة.

ـ الخامس : كثرة التنوع فى فنون الخدمة ، لأنه إذا صلى قائماً فقد عبد ربه بالقيام والركوع والسجود والقعود ، وإذا صلى قاعداً فات نوع من الأربعة.

ـ السادس :أن من صلى قائماً أخذ نصيباً من ترويح القلب،بسبب تنقله من حال إلى حال أكثر نصيباً من القاعد، وترويح القلب يعين على جودة الذكر.

(١) أخرج مسلم فى صحيحه من كتاب صلاة المسافرين .وقصرها باب جواز الناغلة وقاعداً وقائما قال : عن عبد الله بن عمرو قال وحدثت إن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة » قال فأتيته فوجدته يصلى جالساً فوضعت يدي على رأسه فقال : مالك يا عبد الله بن عمرو قلت حدثت يا رسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعداً على نصف الصلاة . وأنت تصلى قاعداً قال « أجل . لكنى لست كأحد منكم » راجع ط دار الغد تحقيق دكتور قلعجى .

ـ السابع : أن من صلى قائماً فقد أطاع الله تعالى بقوله : ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾ (١)، وطاعة الأمر موجبة الأجر ، ولو لم تكن حكمته مفهومة فكيف؟ وقد ظهرت الحكمة في القيام في الصلاة من وجوه كثيرة (١) .

وأما الفريضة : فلا تصح صلاتها قاعداً مع القدرة على القيام ومن صلى قاعداً في الفريضة مع قدرته على القيام فهو عاص ، واختلف العلماء في كفره، وأما النافلة فجائز فيها الجلوس مع القدرة على القيام ، لكن القيام أفضل لما تقدم من الوجوه وأجره نصف أجر القائم ، وإن كان عاجزاً عن القيام لم ينقص أجره لأنه عاجز عن القيام .

وأنشد بعضهم في الحض على عبادة الله تعالى تطوّعاً :

* * *

اعبُدُوا الله رُكّعاً وسُجوداً	وقياماً وطوراً قعودا
واذكروه في كلّ حالٍ فزاد	من ذكر اسمه يلاقي السعودا
إن في اسم الحبيب في القلب	طمعاً من يذقه يودُّ منه المزيدا
لا يزال الحبيب غيباً فإن أنت	ذكرت اسمه يرى مشهودا
فترنم باسم الحبيب لأسما	ع محبيه واتخذهم عبيدا

* * *

(١) وهذا في صلاة النافلة .

الذكر المقبول منه تعالى

لو جرى ذكر العزيز الحكيم كما ينبغي له من الإجلال والتعظيم لسعى بذكره كل سقيم ، ولكن عزّ على أكثر الخلائق توفية الإجلال عند ذكر اسم الخالق .

فلذلك ترى أكثر المتعبدين ، لذكر الله مديمين ، ولا تراهم إلى المذكور واصلين ، ولا على وصاله بحاصلين ؛ لأنهم يذكرون بألسنتهم من ليس بقلوبهم عارفين .

نديم الذكر ، والذكر عظيم الشأن والقدر ، وما بنصر للذكر على الذاكر من أثر . وما الآفة إلا جهل من يذكر بالأمر ، إذا لم يعرف المذكور ، ما يصنع بالذكر .

كل مطلوب لا يعظمه الطالب لا يبلغ منه شرف المراتب . عبادة الله حرفة لا يحذّق فيها إلا المتبتلون إليها ، ومعرفة الله غاية لا يبلغها إلا المقلبون بكل وجوهم عليها ؛ وكيف لا تكون سلعة غالية ، وجنة الله عالية ، وإليه في كل شرف المنتهى الذي ليس وراءه مرمى .

* * *

ابذل الروح إن أردت الوصال ... فوصال الحبيب أغلى وأغلى
ليس من يلتقى إذا زار بالطرد كمن ... يلتقي إذا زار بأهلا وسهلا
من شفيعي إلى الحبيب كلما ... رمت وصله قال كلا
لو رآني أهلاً لجاد ولكن ... ما رآني لما رمت أهلا

* * *

إذا نفع الوعظ ـ وأسفاه ـ كلام من لا إله سواه : ﴿ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم

القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ (١).

إذا أعضلتكم الحاجة ولم تجدوا معطياً بهبة ولا قرض ، فاسألوا من له ما في السموات والأرض ؛ الذي كتب على نفسه الرحمة فهي لعباده على نفسه فرض ﴿ **وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم** ﴾ (٢) .

كان رسول الله ﷺ من الحطام الفاني فارغ اليد ، ومن كنوز المعرفة مملوء القلب ؛ فلما نظر الجاهلون بالله إلى تجرد ظاهره ظنوا أنه بحاجة إلى دنياهم . فقال لهم كفار مكة : قد علمنا إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة ، فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه؛ فنزلت هذه الآية : ﴿ **وله ما سكن في الليل والنهار** ﴾(٣) أي إذا كان الذي له ما يحتوي عليه الزمان ، فكيف تكون محتاجاً إلى عطية إنسان ؟

* * *

عِلْمُكَ يا سيِّدي بحالي بأَغْنَى لساني عن المقال
جَبَرْتَ كَسْرِي كَشَفْتَ ضُرِّي أَغْنَيْتَ فقري سترت حالي
لا تجعلْني عبداً لِمَن سِوَاكَ يا سيِّد الموالي

* * *

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢.

(٢،٣) سورة الأنعام الآية : ١٣ .

من كلام المصطفى الحبيب (ﷺ)

في فضل الدعاء المقبول وبعض الأدعية المختارة

قد استنزلنا الرحمة بتلاوة شيء من محكم التنزيل ، فلنستدع البركة بذكر أحاديث من كلام الرسول : قال ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»(١) [مخرّج في الصحيح] .وقال ﷺ : « من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء » (٢)

وقال لمعاذ بن جبل : « يا معاذ لا تدعنّ أن تقول في دبر كل صلاة : ألهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » (٣)

---

(١) أخرجه الترمذى في الدعوات وقال : حسن صحيح غريب من حديث عمرو بن عبسة وغزاه الحافظ المنذرى إلى أبي داود والحاكم وقال قال الحاكم فى المستدرك: صحيح على شرط مسلم

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسند فيه أبو صالح وقال : حديث صحيح الاسناد اصبح النجاري بأبي صالح ووافقه الذهبي [١/٥٤٤] . قال الألباني فى سلسلته : وفيه نظر فإن ابن صالح فيه ضعف من قبل حفظه .

يقول محمد : في السند اثنان كل منهما هو ابن صالح وهما : عبد الله بن صالح كاتب الليث ويكنى أبا صالح ومعاوية بن صالح شيخه والأخير منهما قال فيه ابن حجر في التقريب : صدوق له أوهام وأما الأول وهو أبو صالح كاتب الليث فأرجح أن الحاكم كان يقصده بكلامه فهو ذكره بكنيته بينما قال الالبانى « ابن صالح » وقد استشهد به البخاري وأخرج له تعليقاً وقال الحافظ في التقريب صدوق كثيرة الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة. وقد نقل ابن حجر في التهذيب [٥/ ٢٥٦] عن أبي حاتم أنه قال : سمعت أبا الأسود النضر بن عبد الجبار وسعيد بن عفير يثنيان على كاتب الليث وعنه أيضاً قال : سمعت عبد الملك بن شعيب بن الليث يقول أبو صالح ثقة مأمون قد سمع من جرى حديثه وكان أبى يحضره على التحديث وكان يحدث بحضرة أبي. وقال الذهبى فى الكاشف راجع لنا مفاتيح القارى فى مجلدين كان صاحب حديث فيه لين.

(٣) أخرجه أبو داود عن معاذ فى كتاب الصلاة باب الاستغفار والنسائى فى كتاب الصلاة باب الدعاء بعد الذكر وأحمد (٥/٢٤٥ ، ٢٤٧)، والحاكم فى المستدرك على الصحيحين (١/٢٧٣) وقال صحيح=

وقال : من قال حين يأوى إلى فراشه : « أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأتوب إليه ـ ثلاث مرات ـ غفرت ذنوبه ، وإن كانت عدد ورق الشجر ، وإن كانت عدد رمل عالج ، وإن كانت عدد أيام الدنيا » (١)

وقال «ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب» (٢)

وقال : « اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »(٣)

وقال : « ادعوا الله أنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعوة قلب غافل لاهٍ » (٤).

وقال : « ما من عبد يرفع يديه، حتى يبدو بياض إبطيه، يسأل الله مسألة، إلا أتاه إياها، ما لم يعجل». قيل: يا رسول الله، كيف تكون عجلته؟ قال: «يقول قد سألت ربى، وسألت، فلم أُعط شيئاً »(٥).

= على شرط الشيخين ولم يخرجه ووافقه الذهبى وأخرجاه الهيثمى فى زوائد ابن حبان وابن القيم فى زاد المعاد راجعه من تحقيقنا ط مصطفى الحلبى .

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات باب ما جاء فى الدعاء إذا أوى إلى فراشه وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الرصافي وعبيد الله بن الوليد. وأخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : « من قال إستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفرت له ذنوبه وإن كا ن ناراً من الزحف .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة ما جاء فى دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب. وفيه عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم الأفريقى. قال الترمذى: يضعف في الحديث. وقال ابن حجر فى التقريب فى حفظه.شئ وقال فى تهذيب التهذيب [١٧٣/٦] : أحمد: منكر الحديث.

(٣) هذا جزء من حديث معاذ بعث إلى اليمن وهو حديث طويل أخرجه البخارى ٢٤ كتاب الزكاة ٦٣ باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا.

وأخرجه بلفظه مسلم فى الإيمان ٧ باب الدعاء إلى الشهادتين الاسلام فالحديث صحيح .

(٤) أخرجه الترمذى عن أبى هريرة فى كتاب الدعوات (٥١٨/٥) وقال هذا حديث غريب لا نعرف من لها من هذ الوجه.

والحاكم فى المستدرك [٤٩٣/١] وقال: مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد أهل البصرة ولم يخرجه البخارى ولا مسلم وتعقبه الذهبى فقال: صالح المري متروك. وقال المنذرى فى الترغيب صالح المري لاشك فى.

وقد عزاه الشيخ الألباني فى السلسلة الصحيحة [رقم ٥٩٤] إلى ابن عساكر وإلى أبى بكر الكلاباذى فى مفتاح معانى الآثار وقال الألباني أيضاً: لكن له شاهد بسند ضعيف أورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة وقال فى صحيح الجامع: حسن (٢٤٣).

(٥) أخرجه الترمذى فى الدعوات عن أبى هريرة وأخرج أيضاً حديثاً فى معناه عن عبادة بن الصامت =

وقال رسول الله ﷺ : « من لم يسأل الله، غضب الله عليه » (١).

وقال: « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله الملح لأهله، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع » (٢)

وقال: « الدعاء مخ العبادة » (٣) أو قال: « هو العبادة » وقرأ قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (٤).

الدعاء باب من الأبواب المدخلة على العزيز الوهاب، وطريق من الطرق الموصلة إلى ذلك الجناب، ووسيلة من أنجح الوسائل، ورسالة من العبد إلى حضرة الرب، من أبلغ الرسائل؛ فإن كان مدادها الدمع السائل، فهو الدعاء الواصل.

* * *

لا أسمعُ الدَّهر عذْلَ عازِلِ	فى حبٍّ من ماله مماثل
يشهد لي أنني محبٌّ دمعٍ	على الوجنتين سائل
والوجدُ بين الضُّلوع نازل	والنوم عن مقلتى راحل
راسلْهم بالدُّموع دهراً فما	أرى أغنت الرسائل
وكنت أعتاض بالطَّيف فى منامي	إذا كان ذاك غير باخل

= ولفظه ما من على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله اياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم مالم يعجل يقول: قدعوت ودعوت فلم يستجب لى .. وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه حديثاً عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل » قيل: وكيف يعجل؟ يا رسول الله! قال: « يقول: قد دعوت الله فلم يستجب الله لى ».

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين فى كتاب الدعاء والذكر عن أبى هريرة وفيه أبو صالح الخوزى وأبو المليح الفارسى قال الحاكم: حديث صحيح الاسناد .
وأخرجه الترمذى فى الدعوات باب ما جاء فى فضل الدعاء عن أبى هريرة أيضاً

(٢) أخرجه الترمذى فى الدعوات عن ثابت البنانى مرسلاً (جمع الجوامع للسيوطى).
وأخرجه أيضاً بلفظ ليس فيه ليسأله الملح لأهله عن أنس.

(٣) أخرجه الترمذى عن أنس فى الدعوات باب فضل الدعاء (حديث ٣٣٧١) وقال هذا حديث غريب

(٤) سورة غافر الآية ٦٠ والحديث:
أخرجه الترمذى وابن ماجه من طريق الأعمش عن ذر بن عبد الله الهمدانى عن يسع الكندى عن النعمان بن بشير فى الدعوات عند الترمذى والدعاء عند ابن ماجه.

قَدْ حَنَا النوم جَفْن عـــيـــني صَار لي الطَّيفُ غـــيـــر واصل
عـــســـاكُم ترحمُونَ صـــبًّا مـــا فـــاز من قُربكم بطائل
لـيس لـه حـــاصل ســـوى أن العمْرَ ولَّى بغـــيـــر حـــاصل

* * *

أقوال وحكم ومأثورات

– حسرة الفوت أشد من سكرة الموت .

– أوجع الألم حرقة الندم .

– أشد العذاب فرقة الأحباب .

– ما طرق أسماع السامعين أقطع من : ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ (1) .

– لا أستر للعورات من لباس التقوى، ولا أغنى للفاقات من القناعة والرضا .

– مجالسة العقلاء تزيد فى العقل ، ومجالسة الجاهلين تزيد فى الجهل، ومخالطة المساكين تذهب الكبْر .

– الترياق المجرب لزوم الاستغفار ، ووصل الحبيب اسم الترياق ، وقربة الأسير البعيد إطلاق .

* * *

فـــدينٌ لا أُدينُ به وكـــيـــف يسلُوا عن الأحْبـــاب عـــشـــاق
وكـيـف يحـمـدُ بى سلو جـمـالكم وبيننا في الهـوى عـهـدٌ ومـيـثـاق
قليب القـريح عليكم حـشـوة حـرق ولـوعـــة وصـــبـــابات وأشـــواق
لا غَروَ أن كـان قلبي شـيّقـاً قلقـاً قلب المحب إلى الأحـــبـــاب توّاق
إن أبعـــدونى فـــأهلٌ للعـــبـــاد أنا وإن هموا قربونى فإن القلب مشتاق

* * *

(1) سورة المؤمنون الآية ١٠٨ وهذا آخر كلام يقال للمعذبين المخلدين فى النار.

الواجب على كل عبد أبعده المولى عن جنابه أن يعترف بذنبه لربه، ويعتقد أن البعد أولى به .

من كان مؤمناً بأن اللّه هو العليم الحكيم ، علم أنما أخّره اللّه فحقّه التأخير ، وما قدّمه فحقّه التقديم ؛ فالحمد للّه على كل حال ، ونعوذ باللّه من سوء المآل ، ونسأله الاستقامة فى جميع الأحوال ، وأن يبلغنا بفضله أشرف المنازل ، إنه جواد مفضال .

* * *

المجلس السابع عشر

كَلامُ السّلَف الأعلام

في ذكر نبذة من كلام السلف الأعلام ، ففي كلامهم جلاء الهمهوم وشفاء الأسقام :

- من أراد أن يسلم له دينه ويستريح قلبه وبدنه فليعتزل الناس ، ومن لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم ، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز .
- من قله الصدق كثرة الخطأ ، ومن علامة الاستدراج الحمى عن عيوب النفس ، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله .
- قلوب المغترين معلقة بالسوابق ، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم .
- من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه .
- من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه .
- ثلاث من كن فيه استكمل الايمان : من إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق . . وإذا رضى لم يخرجه رضاه إلى الباطل . . وإذا قدر لم يتناول ما ليس له .
- وكان بعضهم يقول: اللهم ما عذّبتنى به من شيء فلا تعذبنى بذل الحجاب.
- احذر أن تكون ثناء منشوراً ، وعيباً مستوراً .
- أمس أجل ، واليوم عمل ، وغداً أمل .

ـ حرامٌ على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع ، وحرام على عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذه المتقون إماماً .

ـ إليك أشكو بدناً غُذّي بنعمك ، ثم توثّب على معاصيك .

ـ المؤمن إذا زاد ماله زاد سخاؤه ، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده .

ـ أجمع عقلاء كل أمة أنه مَن لم يجر مع القدر لم يهنأ بعيشه .

ـ معاشر الفقراء . . إنما عُرفتم بالله ، وإنما مكرمون لله ، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه .

ـ علامة إعراض الله عن العبد ، أن يشغله بما لا يعنيه .

ـ الطريق إلى الله مسدود على الخلق . إلا على المتقين .

ـ أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه .

ـ إذا نزل بك أمر من الله فاستعمل الرضا ، فإن لم تجد للرضا سبيل فاستعمل الصبر ، فإن لم تجد فعليك بالتحمل .

ـ من علم أن الله هو الضار النافع ، أسقط مخاوف المخلوقين .

ـ اتقوا الناجد من العلماء ، والجاهل من العبّاد ، فإنهما فتنة لكل مفتون .

ـ يا عجباً لمن لم ير محسناً غير اللهّ كيف لا يميل بكليته إليه .

ـ إذا بكت عين الخائفين فقد بايعوا الله بدموعهم .

ـ إنما جمل كلام السلف في مذاق الأسماع ، وعظمت فيه البركة وحَسُن به الانتفاع ، لأنهم كانوا به عاملين ، وفي نشره مخلصين .

اللهم . . فعمّنا ببركة أعمالهم الصالحة ، وانفعنا بمقاصدهم الصادقة ، فهم القوم لا يضل من اهتدى بهداهم ، ولا يضيع من تمسك بعراهم .

كـيف ضَلالي عن سـواء السَّبـيل ... وأنت لى في طريق سـلاى دليل
يا فـرحـةَ القلب ويا منيـة الصـّـب ويـا برد غـلـيـل الـغَـلـيـل
وصـفك لا تبلغـه مدحـتى ... ففـهـمى بليـد ولسـانى كليل
كـيف لي بصـبرٍ جمَـيل وقـد ... حَجبْتَ عن مرآى المحيا الجـميل
مالـي إذا غيّبـت عـن نـاظـري ... غـيـر مـخـيّبى والبكاء والعـويل
جُدْ لي ولو بالطيف إن كـان لي ... إلي غمـوض الجـفن يومـاً سـبـيل
وابـذل ولـو وعـــداً ولـو نـظـرة ... فـمـا قليلٌ منك لي بالقـليل

* * *

رب العزة أعظم فى صدور العارفين من أن يناجوه فى مخاطبتهم بأشعار المتغزّلين، ولكن ما خلا قلب من حرقة، ولا سلم مواصل من فرقة، وكل مسلم له نصيب من محبة مولاه على قدر معرفته بما أولاه. فإذا ترنم المنشد بما يناسب أغراض المحبين، تحركت القلوب على قدر ما فيها من الشوق إلى لقاء حبيب العارفين، وتحرقت النفوس حزناً على التخلف عن مرافقة الصالحين.

* * *

إلى مـتى أنت فى تـوانـى ... تجـري إلى اللهـو فى عنان
الموت حقٌ لا ريب فـيـه ... مـالـك فـى رفعه يـدان
والبـعـث من بعـده تـراه فى ... غـاية البعـد وهـو دانى
يوم يقـوم العـبـاد كل ... عليـه فى الحـشـر شـاهدان
إلى حـسـابٍ قـد سطّر ... ته الأقـلام يمليـه حـافظان
ثم يضمُّ العـبـادَ بعـد الحـسـاب في الحـشـر منزلان
منزل خـوف لا أمن فـيـه ... ومـنـزل الأمـن والأمـان

* * *

الإيمــــان بيوم القيامة لصدقه على أهله علامة التسارع إلى اكتساب الحسنات ، والتورع عن ارتكاب السيئات ، وانسكاب العبرات ندماً على مافات.

* * *

أيهـــا المدّعى المحــبــة مــهـــلاً	أين آثار صـــدق مـــا تدّعـــيـــه
أين ســفح الدّمــوع فــوق خدودٍ	حــذراً أن يفــوت مـــا ترجّـــيـــه
أين وقـد الأحـشـاء[1] شــوقـاً إلي	مــا كنت من لذة التــواصل فــيــه
أين بذْلُ المجــهــود في طاعــة المحبو	ب من فــعل كلمـــا يرتضــيـــه
تــدّعـــي حبّه ومالَكَ مـــن دعوْ	اك غـــيـــر المحـــال والتــمـــويه
تدّعي الحبَّ عـــارياً عن شـــهــود	حظه منه مـــا يقـــول بغـــيه

* * *

طالبوا أنفسكم بالصدق فى دعواها محبة الله ، واصمدوا بكل وجوهكم فيما يوجهكم إلى الله .

كل النعيم فى التلذذ بمناجاة الله ، كل الراحة فى التعب بخدمة الله، كل الغنى فى تصحيح الافتقار إلى الله .

كل مطالب الدنيا والآخرة فى خزائن غيب الله ، ومفاتيحها بأيدي رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

* * *

(١) وقد الأحشاء : ألتهابها حرقةً .

وحقّ هواهُ ليس لي عنهُ مـــذهبٌ ... ولا لي فيــمــا دُون لُقْيــاه مطلبُ
يقــول اجــتنب بابي ولا تغش مرتعي ... وهل حشد عن روحــه يتــجنبُ
إذا لم تكن لِي عند غيـرك حـاجـة ... فكيف إلِى أبواب غــيــرك أذهبُ
وإذا لم أجـد مـعطِ سـواكَ بمطلبي ... فكيفَ سِوى مـعـروف جُودك أطلبُ
عـذُولِي فـيــه مـا أرى مـا رأيتـه ... فــيكثــر مِن لومي عليــه ويطنبُ
سلكت سبيـلاً مـا أهتـدى لسلوكـه ... فــأعــجب منه وهو مني يعــجبُ
وكيف سلوى عن جمـال محجبٍ ... أياديه عن كل الورى ليس يحــجبُ
إذا دارت الكَاسَاتُ من خمــر حبِّهِ ... على كل أهل العـقل فـالكل شربوا
وان زمــزمَ الحـادُون للركب باسـمـه ... فكلـهم حــتى الركــائبُ تطربُ
يطيب ويحلو للمــحـبّين ذكــره ... فـــلا طيبَ إلا وذكــــره أطيبُ
فإن قلت شـهداً فـهـو أحلى مذاقـه ... وان قلت مـاء فـهـو أصـفى وأعذبُ
سـألتك يا حـاديَ الرّكـائبِ حـاجـةً ... إذا مـا بدت يومـاً لعــينيك يشربُ
فــبلّغْ ســلامــي مِن حوته قبــابُهــا ... وشرعــتــه في الكون تملى وتكتبُ
نبيُّ الهدى شمس الضحى قمر الـ ... ـهدى لمنصبه فوق السّماكين منصبُ
مــحــمـدُ المختــار والماجـدُ الذي ... إلِى فــخــره كل المناسب تنسبُ
بنهــجــه كلُّ الأئمــة تهــتــدي ... بمـورده كـلُّ الموارد تعـــــذبُ
هو الصّادقُ الدّاعي إلى الله وحــده ... فـمن لم يجبه فـهـو في الحشريندبُ
فـصلوا عليــه دائمـاً فـصـلاتكم ... جـزاؤكم فــيـهـا على الله واجبُ
وأكـثـركم يا أهلَ ملّةِ أحـمـدِ عليـ ... ـه صـلاة منه في الحشرِ أقـربُ

* * *

اللهم صل على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون ، وصلي عليه كلما تعاقبت الليالى والأيام ما دامت الشهور والأعوام ، وعلي صحبه السادة الكرام، وسلم تسليماً كثيراً لا انقضاء له ولا انفصام .

* * *

موعظة مفيدة فى تعليم القرآن الكريم

الحمد لله الذى جعل القرآن لقلوب أهل الإيمان ربيعاً ، فكل من لا يغذى القرآن فى الدنيا كان غذاؤه فى الآخرة ضريعا .

لا يزال الإنسان صريعاً تحت الشيطان حتى يذكر الله ويتلو القرآن، فحينئذ يستوى الإنسان قائماً ويخرّ الشيطان صريعاً .

فمن شاء أن يكون العدو عن لحاقه بطيئاً ، فليكن إلى الذكر والتلاوة سريعاً.

استظهر بشرب ترياق القرآن على سُم أفعى الشيطان قبل أن تموت لسقياه؛ ما زال أبو البشر آدم ﷺ من سكنى الجنات فى حصن حصين ، حتى دخلت عليه الجنه وقد اختبأ فى فمها الشيطان اللعين ، فخرج على آدم من شدقها ذلك الكمين ، فضربة بقى من حرّها ألف سنة فى البكاء والأنين ، ثم لم يكن خلاصه وخلاص عشر العشر من ذريته إلا بكتاب الله الذي جاءت به المرسلون ﴿ **وقلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتيكم مني هدى ممن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾(١)

متابعة الكتاب منْقذَة من العذاب ، وتعظيم الحرمات مخرج من الظلمات، ورعاية الأدب رفعةَ فى الرتب .

لولا العلم لكان الإنسان بهيمة ، ولولا اللطف لكانت البلية عظيمة .

فاسألوا الله لطفه فى جميع الأحوال ، وليكن تعظيم القرآن منكم على بال ؛ فبوجود اللطف وعدمه سعد من سعد ، وشقي من شقي ، وبالتقصير لقي المقصر ما لقي .

* * *

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٨.

لا تسألوا عبدكم ماذا لَقِي ... من البُكَاء والأَسَاءة والحرق

ليس عجيباً ما لقي بعد التؤى ... من الأنين والبكاء والأرق

بل العجيب أن من فارقكم كيف ... حيي من بعدكم كيف بقي

إذا توجهت إلى غيرك ... تعثَّرت بى قدمى فى طريقي

إن السَّعيد من رجاء فضلكم ... ومن رجا غيركم فهو الشقي

قد كان شملي كله مجتمعاً ... قد بعدتم آه واعرقي

يا ليتني متُّ ولم أبق إلي ... أن ذقت طعم الهجر والتفرُّق

يا لائمي لو ذقت ما ذقت ... من الحنين والأنين والتشوُّق

ولو رأت عيناك ما رأيته ... من الجلا والجمال المُونق

عذرتنى فى قلقي ولمتني ... على بقايا ما بقى من رمقي

* * *

العجب ممن يسمع بصفة الجنة وهو مخلد إلى الدنيا ، وأعجب فيه من صدّق نعيم الحضرة ثم يعمل لجنة المأوى ، والعجب ممن يسمع نوازل البلوى وهو مخدر فى دنياه منها ، وأعجب فيه خوّفه الله بغضبه عليه، واحتجابه عنه ، ثم هو يخاف الجحيم واللظى .

كل عزيز وإن عز وجل ، فالله أعز منه وأجل ؛ وكل فائت وإن عظم وكثر ، فهو بالنسبة إلى ما يفوت من الله أصغر وأقل .

* * *

حتى متى ذا القلبُ ساهي عن كلِ ما مُغْنيه لاهي
والنفس معرضة عن القبر آن سامعة الملاهي
إن الملاهي سوف تر مي سامعها بالدّواهي
كم ذا تنافس في الحطام وجمعه كم ذا ساهي
ما عذر من شاب العذار منه وقبح سيرته كما هي
إن قيل دع عنك التكبر قال أخنى هدم جاهي
قد خالف القرآن في كل الأوامر والنواهي
من كان لا ينهاه فعل القبائح ذجرناهي
العمر منه قد وهي والدين أيضاً منه واهي
فاصبر له فالأمُّ هاوية وما أدراك ما هي

* * *

يا من سلب الملك الكبير ولم تشعر بسلبه ، يا من أمره ربهُ بالتوبة وهو مصر على ذنبه،قد خلت صحيفته من الحسنات لماخلا صدره من تعظيم ربه، وتخلت الملائكة عن نصرته فقد استحوذ الشيطان على قلبه .

يا غافلاً عن ذكر ربه ، يا مغفلاً لصلاح قلبه ، يا من سباه عدوه يوماً ولم يسعد بسلبه، هذا جزاء مقصر جهله فى حق ربه.

من رام خصالا لاتحل فجائع الأعداء بجنبه، فليعتصم بالله وليعمل على السكن بقربه .

العارف بركن الله فى حصن حصين ، واللائذ بجناب الله فى حرم أمين، والعامل بكتاب الله متمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين ، والمقاتل تحت لواء رسول الله مؤيداً بالنصر العزيز ، مضمون له الفتح المبين .

حصّن بحصن التقوى نفسك من أسباب الردى ، حصن التقوى حصن

حصين، واستمسك بحبل القرآن فى الشدائد كلها فكل حبل سوى هذا الحبل فهو غير متين . لله أهلون وهم جملة أهله ، وكل من لا يكرم أهل القرآن فهو مهين .

* * *

احذر تهين فقيراً لأجل رثة هيئة أكثر ملوك الجنة فى هيئة المسكين
متى أردت أن يعلو قدرك وتعلو فى الرتب فى حضر الله معظم أهل التقا والدين
ولا يغرك ذل الـ ـفقير فى دار الفناء دار البقي هي داره فى العز والتمكين
ترى الفقير فى الدنيا كأنه طير حذر وفي القيامة وافي قرير عين أمين
خذ لك إيادي معهم غداً ترى الدولة لهم مقبل أحدهم وجاهه عند الملك متين
لا فخر كالفقر هذا الرسول بالفقراء مفخر وهو الذي دفين فى الطين
ومع جلالة قدره دعا بأن يحيا هنا مسكين ويقبر ويحشر يوم مع المسكين

* * *

اللهم ارزقنا ما رزقت أولياءك وفقراءك ومساكينك من الاستغناء بك والافتقار إليك . وأكرمنا بما تكرمنا به من كرامة أوليائك يوم القدوم عليك ، يا كريم .

* * *

المجلس الثامن عشر

تفسير آية

الحمد لله . . وأنجح ما توسل به إليه المتوسلون إدامة حمده ، وأقرب ما تقرب به إليه المتقربون أداء فرضه .

من أدى فرائض الله فهو عبد الله حق عبده ، ولا يزال عبده يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه ، فإذا أحبه أدخله فى حزبه ، وأيده بجنده .

فسبحان من كل الخير فى يده ، وذا الفضل من عنده ، إذا رفد فلا تسأل عن حسن حال عمر من رفده،وإذا طرد فيا كسرة القلوب من ذل طرده، وإذا حد حدّاً لم يسع أهل سمائه وأرضه تجاوز حده .

* * *

أُتُرَى أفوزَ بنيلِ رفْده   أتُرى أحُوزُ كريمَ وعدِهِ

أُتُرَى يمنّ بقربه   من بعد بلواه يبعد

يا بهجتى بوصاله   يا ودْعتنا من ذكر صده

أنا عبده ومحبُّهُ   ما شاء فيلصنع بعبده

* * *

قد دلت الأدلة القاطعة على أن صرخة البين لأكباد المحبين قاطعة ، وإنما يحسن بوجعة فراق المحين أولو الألباب وأرباب القلوب .

فأما مَنْ نور الهدى عن بصيرته محجوب ، فكيف يعرف إعراض الرب عن المربوب ، فسبحان من كل أحد من خلقه إلى عطفه فقير ، وشكره واجب على القليل والكثير ، والجليل والحقير .

كل جليل وحقير في قبضته أسير ﴿ له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴾ (١)

* * *

يا واحداً ما لهُ نظير	يا قاضياً ما له مشير
بذكره تشرحُ الصدورِ	بأمره تُصلحُ الأمور
أحَاطَ علماً فلا صغير	يعزب عن علمه ولا كبير
ما أحدٌ دونه غنيٌّ	فكلٌّ من دونه فقير
ما أحدٌ دونهُ كبير	فكلٌّ من دونه صغير
إن نحن نِلْنَا رِضَاهُ يوماً	فكلٌّ ما فَاتنا حقير

* * *

أحمده وأشكره، وأحق عباده بمزيد فضله، الحامد الشكور، أرضى بقضائه، وأصبر على بلائه، وما ذاق العيش إلا الراضى الصبور.

وأشهد أن لا إله إلا الله العلى الكبير؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى أهل السهول والوعور، والشفيع المشفع يوم يتأخر عن الشفاعة كل مقدام جسور، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وكل من فى حضرته حضور، خصوصاً على الشيخين الإمامين المفضلين، والصهرين المخصصين، والعمّين المبجلين، والسبطين الريحانين الحسن والحسين، صلاة يتصل تكرارها بالرواح والبكور.

اللهم .. إذا قسمت فى عبادك الصالحين ما تقسمه من خير الدنياوالآخرة، فاجعل لنا من الحظ الأكبر والنصيب الموفور، وبارك لنا فيما

---

(١) سورة الحديد الآية ٢ .

تحيينا له مدى الليالى والأيام والشهور والأعوام، إنما فائدة أقطرت البركات لمدركيها أن تغتنموا بركتها بطاعة الله فيها، وكل من لا يعظم حرمتنا ولا يراعها فقد حرم بركة مساعيه، يوم تعود على الفرقة الناجية بركات مساعيها.

* * *

نستفتح بركة هذا المجلس الكريم، بتفسير آية من الذكر الحكيم: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. قال الله عز وجل في كتابه المبين: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**(١)

ما من مجعول إلا والله له جاعل، لأنه هو الخالق لكل صنعة وصانع، وعمل وعامل! فلهذا قال: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل﴾** أى هو الذى أضاء الشمس فجعلها ضياءً بالنهار، وهو الذى أنار القمر فجعله نوراً بالليل، فسوّاه ذا منازل لا تجاوزها ولا يقصر عنها. و**﴿ المنازل ﴾** هى الثمانية والعشرون منزلاً، المنقسمة عن اثنى عشر برجاً، قدر الله سبحانه مسير الشمس والقمر فى تلك البروج والمنازل، لينتظم بمسير الشمس فيها أمر الفصول الأربعة؛ ولولا تنقل الشمس فيها لم يكن للأرض صيف ولا شتاء،ولا ربيع ولا خريف؛ ولولا اختلاف الهواء بتعاقب هذه الفصول لفسد نظام الحيوان والنبات والمعادن، ولولا تنقل القمر فيها لفسد نظام الشهور القمرية، ومطالع الأهلة، والبذور، والأقمار المسخرة فى الليالى الطوال الشتوية، القصار الصيفية، وكم فى خلال تدابير ذى الجلال من حكم جلية، وألطاف خفية

* * *

(١) سورة يونس الآية ٥ .

الرب أسـراره خـفـيـة   تعجز عن فـهـمـهـا البـرية
فـي كـل شـيء ممـا تـراه   من صنعـه من حكمـة جليـة
ودون مـا قـد بدا أمـور   تخـفى عن الفطنة الذكـيـة
إذا عـجـزنا عن فـهـم أدنى   حكـمـة أجـسـادنا الدنيـة
فكيف نرجـو عـرفـان شئ   من أمـر أوصـافـه العليـة

* * *

ـ قوله تعالى:﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ قال ابن العباس رضي الله عنهما ـ يقول الله تعالى : لو جعلت شمسين ، شمساً بالنهار وشمساً بالليل، ليس فيها ظلمة ولا ليل ، لم تعلموا عدد السنين والحساب .قال الكلبي : يعني حساب السنين والشهور والأيام والساعات .

ـ ثم قال تعالى : ﴿ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ أى لم يخلق الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالعدل ؛ لأنه هو الحق ، وكل ما جاء من عنده فهو الحق، وكلما صنعه وخلقه ودبره فهو حق . وقيل معناه: ما خلق الله ذلك إلا للحق .أي لإظهار قدوته الخافية عليكم ، بإظهار صنعته البادية لكم، وإقامة الدلائل على وحدانيته عندكم ، ليقطع فى إشارككم به عذركم .

* * *

كلمـا قـد بدا ومـا هو خـافى   فى ثبـوت التـوحـيـد شـافٍ وكـافى
أي عـذر لشـرك وجـمـيع   الكون للشـرك بالدليل نافي

* * *

ثم قال تعالى : ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ أي نبين الأدلة للمستدلين على الصانع بصنعته .

فإن قيل : ما الحكمة فى تخصيص القمر بالذكر دون الشمس فى قوله

تعالى: ﴿ قدره منازل ﴾ ؟ فالجواب : أن القمر يقطع المنازل فى كل شهر،والشمس لا تقطعها إلا فى كل سنة ، فلما كان القمر أسرع منها فى طي المراحل ، كان أولى منها بتخصيص الذكر فى تقدير المنازل .

* * *

تبتغي الوصولَ بسيرٍ فيه تقصيرُ ... لا شكَّ أنَّك فيما رُمْتَ مغرورُ

قد سار قبْلَكَ أبطالٌ فما بلغوا ... هذا وفى سيرهم جدٌّ وتشميرُ

يا مدّعِي الحبِّ فى شرع الغرام وقد ... أقام بيّنةً لكنّها زورُ

أفنيتَ عمرَكَ فى لهوٍ وفي لعبٍ ... هذا وأنت بعيد الدار مهجورُ

لو كان قلْبكَ حيّاً ذبت من كمدٍ ... ما للجراح بجسم الميت تأثيرُ

* * *

يا من قد شغلت عن ذكر الشواغل، يا من كلما أيقظته العبر فهو غافل، يا من فى رتبة الطاعة ناقص ، وفى مرتبة المعصية كامل ، أما تستحي ممن سرّك إليه صاعد ، وخيره إليك نازل : ﴿ **الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل** ﴾، أيامك تمر مرّ السحاب وأنت إلى البطالة جائع، لا تضيف إلى الموعظة من واعظ، ولا تقبل النصيحة من ناصح ، وأنت عما قليل من سكان الضرائح، فما أنت قائل لمن لحقوقه منك مطالب ، وعن حقوقه عباده سائل ؟! ﴿ **الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل** ﴾، لو عبرت قنطرة التبصرة والاعتبار لقطعت ثلث الطريق ، ولو اقتحمت عقبة الخشية والفرار لخلصت من حلق المضيق ، ولو سلكت سبيل أهل اللجوء إلى العزيز الغفار لوصلت مع أكرم رفيق إلى بلاد حسن التوفيق ، حتى تنظر إلى وجه من لا يشاكله مشاكل ، ولا يماثله مماثل، ﴿**الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نورا وقدره منازل** ﴾

هذه مزارع المؤثرين حرث الآخرة على حرث الدنيا ، فأين الزارعون ؟. إنا

لله وإنا إليه راجعون﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلي ربك راضيةمرضية * فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾[1].

والله لو أن العباد سمعوا هذه الآية كما ينبغي لهم أن يسمعوها ، لو كان بينهم وبين الله بحار النار لخاضوها ، شوقاً إلى ما شوّقهم مولاهم إليه ، من لذة بهجة القدوم عليه .

كم قد أُهللنا من شهر شريف الميقات ، ثم ينسلخ عنا ، ونحن من قشرنا ما انسلخنا ؟

كم قدم علينا من موسم تُغسّل فيه أوساخ القلوب بمياه العبرات ، ثم يرحل عنا وما تطهرنا ، بل اتّسخنا ؟ في مثل هذه الأوقات المباركة يتوب المعاصى ، ويلين القلب القاسي ، وينشط العامل . وينتبه الغافل . الحسنات فيها مضاعفة لعامليها ، وأبواب الرحمة مفتحة لوالجيها ، وابواب الخيرات ميسرة لطالبيها ؛ من قرع فيها أبواب العطايا بأنامل الدعاء توشك أن تفتح فى وجهه ؛ ومن استمطر النوال بأكف الابتهال فجدير أن تسحّ على أرضه ؛ ومن رفع قصة السلوى إلى عالم النجوى فما أولى منح قصده .

مثل الأزمنة الكريمة المحترمة عند الله مثل السنين المخصصة للزارعين ، والليالي المقمرة للمسافرين ، تخسف عنادها ، وتقل حركتها ، وتكثر بركتها؛ فكذلك العامل لله في الأوقات والأماكن الشريفة ، تزكو أعمالهم فيها أضعاف ما تزكو فيما سواها ؛ لأن الله سبحانه وتعالى اصطفاها على سائر ما عداها ، يعطي ويمنع ما يشاء كما يشاء .

* * *

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٧ ــ ٣٠ .

بـــاب منه

إن أبلغ ما بلّغه واعظ إلى موعوظ ، وأنفع ما هو بالألسنة ملفوظ ،وفي الصدور محفوظ ،كلام من كل شيء تحت قدرته مقهور ،برعايته ملحوظ : أعوذ بالله من الشيطان الرحيم .بسم الله الرحمن الرحيم﴿ **الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلي النور بإذن ربهم إلي صراط العزيز الحميد * الله الذى له ما في السموات والأرض وويل للذين كفروا من عذاب شديد* الذين يحبون الحياة الدنيا علي الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد** ﴾ (١) .

- أما كتاب الله فبين ليس فيه غموض ، وأما دين الله فهو متين لا ينهض به مخلوق حق النهوض ، فلم يبق لنا عذر في حق الجهل بمراد رب العالمين، ولا قوة لنا على إقامة هذا الدين المتين ؛ فالواجب علينا أن نستغيث بمراحم العزيز الرحيم ، ونستشفع إليه بجاه نبيه الكريم ، الذي أذن له في إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فمن أجاب دعوته فله النظرة والسرور، ومن تخلف عن إجابته دعا بالويل والثبور .
- قيل : الظلمات والنور هما : الكفر والإيمان . وقيل : الضلال والهدى . وقيل الشك واليقين .
- وقيل : ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ أي بأمره ، وقيل بتوفيقه .
- وقوله : ﴿ **الذين يستحبون الحياة الدنيا علي الآخرة** ﴾ يعنى الذين يؤثرون الفاني على الباقي ، لا يبالون ما نقص من دينهم إذ زادت دنياهم ، ولا ما فاتهم من رضى مولاهم ، إذا أدركوا من شهوتهم ﴿ **أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون * يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة إبراهيم الآيات من ١-٣

(٢) سورة الروم الآية ٧ ، ٨ .

تطالبني النّفسُ بالمُشتهى وتنسى القيامة والمُنْتَهى

وتسعى لإحكام عهْد الهوى وعقد ديانتها قد وهى

وتترك صحبة أهْل النُّهى وتصحبُ من قدْسها [1]أو لها [2]

فإن دام هذا التّنادي بها فويلٌ لها ثم ويل لها

* * *

(١) سها: غفل .

(٢) لها: من اللهو وهو بمعنى اللعب .

ذكر بعض من كلام الرسول ﷺ
في الاذكار والدعوات

إن أشفى الكلام لصدور السامعين ، بعد كلام رب العالمين ، كلام من كان نبيّاً وآدم بين الماء والطين .

* قال ﷺ : « أيها الناس لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم ، أو تُرى له »(١).

* وقال : « إذا ركع أحدكم فيقل في ركعته : سبحان ربي العظيم ثلاث مرّات، وذلك أدناه . وإذا سجد فليقل : سبحان ربي الأعلى ثلاثاً ، وذلك أدناه»(٢).

* وقال « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع : يقول .. اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال(٣) .

* وقال : « من سبح في دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة ، وهلل مائة تهليلة ،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن الكريم في الركوع والسجود من حديث عبد الله بن عباس قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر: فذكر الحديث بتمامه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١) كتاب الصلاة باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود من حديث عون بن عبد الله بن عتبه عن ابن مسعوذ .
والعمل على هذا عند أهل العلم : يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات قال الأستاذ أحمد شاكر معلقاً : وعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ثقة وكان كثير الارسال وعبد الله بن مسعود عم أبيه ورواه أيضاً البغوى في شرح السنة ونقل كلام الترمذى عليه وقال شعيب الأرناؤوط وهو منقطع كما قال الترمذى .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب ما يستعاذ منه فى الصلاة عن أبى هريرة وأخرجه أحمد عنه أيضاً ٤٧٧/٢ والنسائى فى السهو .

غفرت ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر»(١)

* وقال لرجل : « إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل : اللهم أجرني من النار ـ سبع مرات ـ قبل أن تكلم أحداً ، فإنك إذا قلت ذلك ثم قمت من ليلتك كتب لك جوار منها ، وقال : وإذا صليت الصبح فقل ذلك ، فإنك إن مت من يومك كتب لك جوار منها »(٢) .

* وقال « من قال حين يصبح : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) لم يصبه في نومه فجاءة بلاء . ومن قالها حين يمسى لم يصبه فجاءة في ليلته»(٣).

* وقال : « من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ونبيًا ، كان حق على الله أن يرضيه يوم القيامة»(٤) .

* وقال: « من قال في دبر صلاة الصبح وثانٍ رجله قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له،له الملك وله الحمد،يحيي ويميت،وهو على كل شيء قدير ـ عشر مرات ـ كتب له عشر حسنات،ومحي عنه عشرِ سيئات،ورفع عشر درجات،وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه،وحِرس من الشيطان

---

(١) أخرجه النسائى فى التسبيح بعد التسليم (٧٩/٣) ورجاله رجال الصحيح فقد روى لهم البخارى ومسلم إلا أن أبا الزبير المكى وهو محمد بن مسلم قال ابن حجر : يدلس ونقل فى التهذيب عن أحمد أن أيوب كان يضعفه وعن ابن أبي حاتم عن أبيه قال: يكتب حديثه ولا يحتج به كما فعل أيضاً توثيقه عن ابن معين والنسائي راجع الضعفاء الكبير للعقيلى وقال .

(٢) رواه أبو داود عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه بلفظه (٣٢١/٤) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح . ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة والمنذري في الترغيب (١٦٧/١) .

(٣) رواه المنذري في كتاب الترغيب بلفظ ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذى لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء وعزاه إلى أبي داوود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وابن حبان والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الإسناد .

(٤) قال المنذري في الترغيب (٢٢٨/١) : عن أبي سلام محطور الحبش أنه كان في مسجد حمص فمر رجل فقالوا هذا خدم رسول الله ﷺ فقام إليه فقال حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺلم تتداوله بينك وبينه الرجال فقال : سمعت رسول الله ﷺويقول : «من قال إذا أصبح و إذا أمسى رضينا بالله رباً إلا كان حقاً على الله أن يرضيه »

الرجيم،ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم، إلا الشرك بالله عز وجل»(١)

وقال « من قال حين يصبح : ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون *وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ إلى قوله تعالى ﴿وكذلك تخرجون﴾ (٢) أدرك ما فاته في ليلته » (٣).

أيها الناس .. احرصوا على درك ما فات، وهيهات أن يدرك الفائت هيهات . كل وقت له وظيفة، فمن فاتته وظائف الأوقات ، فعمره كله فوات، ونعم الله عليه معرضة للآفات .

ياخارجاً عن حمانا بمن تعوضت عنا
جمع ما شطَّ عنَّا قد حُفَّ بالآفات
لوكنت عاقلاً ما اعتضت البُعْد عنَّا بقربنا
عزى فؤادك فماذا يلقى من الحسرات
ارجع إلى ما كُنَّا عليه أوقات الصفا من
قبل أن تتمنى يقل لك هيهات
لافي شهور التَّصافي تَصْفُو ولا في غيرها
في أي وقت تَصافى قد مرَّت الأوقات
القلب ربْعُ التواصُل إذا خلا من غيرنا قد
انقضى العُمْرُ والرَّبْعُ مُوحش العرصات
ما دام سُؤلَك يُبْذَل من التواصل فاغتنم
يارب يوم تُسأل يقول سُؤلك فات

---

(١)قال المنذري في الترغيب (١٦٦/١) رواه الترمذي وقال :حسن غريب صحيح والنسائي . وزاده بيده الخير وزاد فيه أيضاً «وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة ورواه النسائي أيضاً من حديث معاذ وزاد فيه » ومن قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك في ليلته.قلت :وهو كما قال

(٢) الآيات من سورة الروم .

(٣) قال المنذرى فى الترغيب (٢٢٥/١) رواه أبو داود ولم يضعفه وتكلم فيه البخارى فى تاريخه الكبير .

من أقوال السلف

العمر ثلج ، والأجل شمس ، ولا يزال حرها يشتد كلما دنت ، فهي تلتمس الثلج فلا عين ولا أثر .

العمر يذوب فافطنى يا نفسي ، ما أشبهه بثلجة في شمسي ، يومى يمضى كما يمضى أمسى ، يا رب أصبح وقد لا أمسي .

العجب ممن يدعي العقل والتمييز،وهو جاهل بنفاسة الوقت العزيز ، يفرح بربح الفانيات وهو مغبون،ويعد في عرف أهل الدنيا عاقلاً وهو عند أهل الآخرة مجنون ، كم ورع للعقل منا وهو مجنون ، يعتقد الربح وهو مغبون ، ويعد بين الحذاق منتقداً وكل ما في متاعه دون ، متبع للهوى وكل هوى قد ألحقت في هجائه نون . ترى جمعنا هذا من فطرته ذكية ، ترى بيننا من يفهم الإشارات الخفية ، ترى حفرنا شهم له همة علية، تحمله الأنفة من الرضا بالرتب الدنية .

لله ذوو نفوس تسمو إلي الرتب العلية ،قوم أبت لهم الدناة أنفس لهم أبية، لم يصممهم ما راق غيرهم من الدنيا الدنية ، رمقوا بأبصار القلوب معارج الرتب السنية ، فتعاهدوا عهداً تؤكده المواثق القوية ، ولا ينكلون عن الفوات بمرهفات مشرفية ، حتى تخلى عنهم العمى وأوجههم مضية .

قد شرحنا بعض شيء من أحوالهم فلنذكر شيئاً من سديد أقوالهم :

- قالوا رحمهم الله : الفقر له حرمة وحرمته ستره والغيرة عليه ، فمن أظهره وبذله فليس هو من أهله .
- الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلذاذ البلوى .
- ماعلت همّته علي الأكوان وصل إلى مكونّها ، ومن وقف مع شيء سوى الحق فإنه الحق لأنه أعزّ من أن يرضى معه بشريك .

ـ من ألزم نفسه بآداب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة .

ـ أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأحوالها .

ـ علامات الولي أربع :

* صيانة سره فيما بينه وبين الناس .

* وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله .

*واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله .

*ومدراته للخلق على قدر عقولهم .

ـ من استولت عليه النفس صار أسيراً في سجن الشهوات ،محصوراً فى حكم الهوى ، فحرم الله على قلبه الفوائد .

ـ الحر عبدٌ ما طمع ، والعبد حرٌّ ما قنع .

ـ البرئ جريء ،والخائن خائف .

ـ من كان يَسُرّه ما يضرّه ، متى يفلح ؟

إن الله نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرهم أهلاً لمعرفته ، فشغلهم بخدمته، إلا شاربٌ بكأس العارفين ، إلا مستيقظ من رقدة الغافلين ، ستقدم فتعلم ، ويكشف فما دريت ولا بليت .

ـ يا ليت شعري .. ما اسمي عندك يا علاّم الغيوب ؟ وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب ؟ ، وبم يختم عملي يا مقلب القلوب .

ـ من عرف الله لا يكون له غم .

ـ إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها ، فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا ؛ وإن أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب ، فإنك منه خلقت ، وفيه تعود ، ومنه تخرج ؛ وإن أردت أن تنظر ما فيك ، فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء ؛ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز له أن يتطاول ولا أن يتكبر .

ـ ليس للأعمى من رؤية الجوهر إلا مسّها ، وليس للجاهل من معرفة الله إلا ذكره باللسان.

ـ من نقر على الناس قلّ أصدقاؤه ، ومن نقر على ذنوبه طال بكاؤه ، ومن نقر مطمعه طال جوعه .

ـ احذر أن تخاصم من إذا نمت كان منبهاً . . معناه: لا تعادى أولياء الله فإنك تنام وهم مستيقظون ، فربما دعوا عليك ، فاستجيب فيك وأنت لا تشعر ، واحذر سهام الله حين تنام والمظلوم ساهر .

***

يدعُو عليك وأنت في   غمضٍ وربُّ العرشِ ناظر
لو بتّ في حِضن سما   في الجو لا يعلوه طائر
منْ حوله الأبطال في   أيديهم البيض البواتر
وعليك أدرعة الحديد   وحولك الأُسْد الكواسر
وداعا عليكَ مظلومٌ لم   يلق غير الله ناصر
لأصَابَ سَهْم دُعَائه منـ   ـك الفؤاد وأنت صاغر

***

دعوة المظلوم

كثيراً ما يستهين الناس بالظالم ، وينسون يوماً يأخذ فيه الله من المظلوم للظالم ، لا سيما الغيبة ، فأنها من أربا الربا وأغث المطاعم .

هل فينا من تحلل خصماءه ؟ هل فينا من أرضى غرماءه ؟ ما قدرنا الله حق قدره ولا فرّقنا بين حلو العيش ومرّه ، كأنك بالزارع وقد حصد زرعه، فطوبى لاهل العبادة والتقى والورع .

***

لم يزل للزراع مُزْدَرِع إلا التُّقى والزُّهْدُ والورع
وعبادة في سنّة خلصت لله ليس يشوبها طمع
وهي أربع إن أنت قمتَ بها خُلِعَتْ عليك من الرضا خلع

* * *

أربع من مهمات المطالب

أربع من مهمات المطالب ، لا ينبغي أن يهتم بغيرها الطالب حتى يحوزها قبل كل مستحب وواجب :

المطلب الأول : التقوى وهي : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم .

الثاني : الورع ، وهو : تحرير مقام التقى بترك المحرمات والمشتبهات التي تدق وتخفى .

الثالث : الزهد ، وهو : ترك ماليس إليه ضرورة ، ولا فيه عند أهل الله مصلحة.

الرابع : العبادة ، وهى : استعمال القلب والجوارح في الخدمة .

فكل طالب طلب أن يعد من الرجال ، بدون إحكام هذه الخصال ، فهو طامع في نيل ما لا ينال .

* * *

من رَجَا أن يَنَالَ مــــا لا يُنـال　　فـمـحـال رجـاؤه وضـلال
لا ينالُ العلى بغـيـر عناء　　من رجا نيْلَها براحـة مُحال
سرتِ زحفاً إلى المعالي وقد　　أرخت إليـهـا الأعنةَّ الأبطال
منهم الحائز المرام ومنهم　　من أتت دون قصده الآجال
كنت أرجو بهم لحاقاً فخانتني　　المعاصي وخانت الآمال
ربّ فاجبر كسري بما لم تزل　　أهلاً له يا جواد يا مفضال

* * *

أوجع حسرات المحرومين

ثلاثة من المحرومين حسرتهم أوجع حسرات المتحسرين :

*عبد كان يرجو الوفاة على الإسلام ، فأدركه عند الموت سوء الخاتمة .

* وعبد كان يرجو التوبة ، وهو مصرٌّ على الخطيئة .

*وعبد يرجو اللحاق بأولياء الله ، فحرمته المقادير بلوغ ما رجا.

* * *

حُرِمتْ مُقلتي طيبَ الرُّقادى　　وحلّتم بين خدّي والوسادى
أريد القرب منكم تبعدونى　　وأنتم قادرون على مُرادى
وحقِّكُمْ لقد أسلفتمونى　　بطردى عنكم شرّ البلادى
فيا حسرات ما يلقاه قلبى　　ويا حرقات ما يغشى فؤادى
فلاكم قد شفّ بالإسلام لحمى　　وخالف بين جفنى والسُّهادى
وشرّدنى عن الأوطان حتى　　بقيت مهيماً فى كل وادى
وكيف يقرّ مهجور قضيتم　　عليه بالصُّدود وبالبعادي
محبٌّ لم يطعْ فيكم عذولا　　ولم يسمع وشايات الأعادي
ويطوى سرَّكم عن كل حيٍّ　　وينشر ذكركم في كل نادي
فلو حدّثتموه ما سلا عن　　محبتكم إلى يوم التنادي

فَدَتكُمُوا اجُبُروا كسرى وفقرى   ولو أن تَمَنّوا باليسير من الرقادي
عسى طيف يلُم فإن طرفي   إلى رؤياكم في النوم صادي

* * *

المجلس التاسع عشر

تفسير آية من سورة التوبة

الحمد لله.. الذي ما علت أقدار عباده إلا بتعظيم حرماته وشعائره،ولا حظى بولاية أهل العرفان إلا بالتوبة إليه من ركوب العصيان وكبائره وصغائره .

فذلك العبد هو الذي دلت استقامة ظواهره على استنارة بواطنه ، وأشرقت بواطنه على صفحات ظواهره .

لكل ذي نسب حسيب ، من شرف نسبه نصيب، ولا كشرف أنساب المتقين ، ولكل ذي تقي على ثقه ثواب ولا كثواب المعظمين لحرمات الدين، يعظمون حرمة الزمان والمكان ، وكلما ينسب إلى الملك العظيم الشان .

أحمده على ما أرانا من واضحات قرب المناسك ، وأنقذنا من غامضات حفر المهالك ، حمد معترف بأنه لمقاليد السموات والأرض مالك ، ليس له فى مثقال ذرة من جميع الممالك ، قسيم نازعه ولا مشارك .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، أغلى علم يقينها من علم القياس

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلي الجنة والناس ، صلى عليه وعلى آله صلاة تكثر عدد الأنفاس، وعلى سائر عباد الله الفطن الأكياس ، المطهرين بمياه التقى من جميع الأدناس ، خصوصاً على الخلفاء الأربعة الذين شيدوا أساس الدين على أقوى أساس.

كم لله من عتقاء كانوا فى رق الذنوب والإسراف ، فأصبحوا بعد ذل المعصية بعزّ الطاعة من الملوك والأشراف ، أكرموا مولاهم أن يراهم حيث أراهم، فأفادهم ذلك التعظيم والاحترام ، جلالة وكرامة عند ذى الجلال .

سَلاَمٌ عـلـى أهـل دَار السَّلام ... سـلام مَشُوقٍ بـراه السـقـام
يبيت يراعي نجـوم الدُّجـا ... كـأن الرّقـاد عليـه حرَام
وكـيـف يَلَذُّ الكرى مـغـرم ... يذوب احـتـراقـاً بنار الغـرام
يـظـلّ مـن الـدمـع فـي لُجَّة ... ومن وَقْد نارِ الأمس في ضـرام
فـات عنـه دار أحـبـابـه ... شـمـوس الضُّحى وبدور التـمـام
وقـد كـان من حزبِهِمْ في حِمى ... وأصـبـح من ناصرٍ في حِمـام

* * *

تفسير آية من القرآن المجيد

نستكمل بها بركة الوقت السعيد ، قوله تعالى :

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (١).

كان الكفار بجهلهم عن أحكام الدين، وتكبّرهم عن متابعة المرسلين، يتصرفون في شهور السنة بتقليب أحكامها ، وتحويلها عن مكانها ، بتحريم حلالها ، وتحليل حرامها .

فأعلمنا سبحانه أن تصرفهم مسوق بما سطرت فى الألواح والأقلام ، قبل خلق الليالى والأيام . وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ في كتاب الله ﴾ أي في اللوح المحفوظ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : في الإمام الذي عند الله ، كتبه يوم

(١) سورة التوبة الآية ٣٦

خلق السموات والأرض .

وأما [الأربعة الحرم] : فهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب فيجب على العبد المسلم أن يكون بفضلها عارفاً ، وعلى تعظيمها عاكفاً، ولمضاعفة ثواب الله فيها راجياً ، ومن مضاعفة عقاب المعاصي منها خائفاً .

* * *

شَمِّروا للحرب عن ساقٍ ما … لما قد حُمَّ من واقي
إن كأس الموت دائرةٌ … ليس تبقى منكم باقي
والمنايا للفتى رصد … كل حيٍّ حتفُه لاقي
فابذلوا لله أنفسكم … واكشفوا للحرب عن ساقِ
إنما هذا العدوُّ لكم … كجروحٍ فوق أماقي
لسعةُ الشيطان ليس لها … غير ذكرِ الله ترياقِ

* * *

ثم قال تعالى : ﴿ **واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أنه تعالى مع أوليائه الذين يخافونه فيما كلفهم من أمره ونهيه .

وقال الزجاج : إنه تعالى يريد أنه ضامن لهم النصر والتأييد ، وهم قوم لم يزالوا معه بالعبادة والتوحيد ، وكيف لا يرفع الله أقدارهم وهم الذين لم تزل كلمة التوحيد بجهادهم مرتفعة ، كيف لا يقيم الله الوجود في خدمتهم وهم الذين لم يزالوا قائمين في خدمته ، إن وجههم في أمر توجّهوا إليه ، وإلا لم يزالوا في حضرته يحنون إلى لقائه كما يحن المشتاق إلى قرب الديار ، وينيبون إلى ذكره كما تنيب النسور إلى الأوكار ، وإذا ترنم لهم الحادي باسمه هتك

عن قلوبهم الأستار ، وأى محب يسمع باسم حبيبه ثم يقر له قرار .

* * *

مشوّقٌ لا يقرُّ له قرار ... وكيفَ يقرُّ وقد نأَتْ عنه الديارْ
إذا ذُكر اسم من يهواه يوماً ... يكاد القلب منه يستطار
ومَا في موتِ صبٍّ مستهامٍ ... إذا ذُكر اسم من يهواه عار
ترنَّم باسم من أهْوى لسمعي ... جَهَاراً فأعْذَب الذكر الجهارْ
وبرْدٌ باسمه حرقي فإنْ ... اسمه بردٌ وحرّ الشوق نارْ

* * *

أهل المحبة ولواعج الاشتياق

لا يزال بين جوانح المحب لواعج الاشتياق ، فإذا ذكر اسم الحبيب برد بعض ذلك الاحتراق ، والهجر سم قاتل والوصل ترياق .

* * *

ما يسمّ الهجران من ترْيَاق ... غيرِ وصلٍ يروي صدى المشتاق
لو وجدْنا إلى الوصال سبيلاً ... لَسقَيّنا إليه بالأحداق
اقتلوا عبْدكم ففي قتله راحةٌ ... من لَوَائح الأشواق
أيُّ عيشٍ لمن يُفَارق إلفاً ... ألفَ موْتٍ ولا قليلٍ فراق

* * *

السالكون على قدم أهل المحبة يختارون الموت على الهجران ، والعاملون

على طريق أهل الخشية يؤثرون عذاب النار على ركوب العصيان ، وأهل المعرفة بالله بما هو أهله مشغولون به عن نصيبهم منه لا يرون الاشتغال بشيء سواه هم في ذلك يعظمون الحرمات والشعائر ، ويتقون كبائر الذنوب والصغائر، ويوفون الأدب في سياسة الظواهر ،وحراسة السرائر وقلوبهم معلقة بمن لا تدركه الأبصار ، ولا تكفيه البصائر .

* * *

لو رق لي سكّان حاجر ... لم تقرح الدمعُ المحاجرُ
لاغرو أن هجر الكرى ... صباً له المحبوب يفاخر
مالي كُسرت ... وأنت يا مولاي للمكسور جابر
هَبْ أن عبدك قد أتى ... كل الكبائر والصغائر
أنت الذي سميت نفسك ... في صريح الذكر غافر

* * *

يا مصراً على الذنوب ، أما آن لك أن تتوب. يا غافلاً عن ذكر مولاه إلى متى أنت محجوب.

كم قد أهللت من شهر حرام ، وهمله إلى الحرام منصوب . ليس في صدرك من خشية ربك ما ينبغي أن يكون للرب في صدر المربوب .

* * *

روّح القلب بذكْرالحبيب ... والسقمي فيه من طبيب
هو أنسي هو راحة قلبي ... هو روحي هو مفرج الكروب
هبت الريح جنوباً فأهدت ... لي من ذكْركم روح القلوب
لذذتني منه فلا أزال الدّهر ... أرتاح لريح الجنوب

كلما نسب إلي الجنون فهو جنون وكلما أدى إلى المطلوب مطلوب
جميع الذي يعزى إليكم وينسب على كريم وهو عندي مجيب
جنوني غرقته بانسفاح مداعمي وقلبى علي جمر الغضا تتقليب
إذا كان هجري مدنياً من رضاكم فهجركم عندي من الوصل أطيب

* * *

الرضا عن الله لازم لكل مخلوق ، ولو حمله الله ما لا يطيق ، لأنه سبحانه لايقضي إلا بالحق ، ومن لا يرضيه الحق فهو بالغضب والعقوبة محقوق سخط المقدور يزيدفي المحذور ، ومنازعة القضاء تزيد في الشقاء ،والتواضع رفعة، واليأس راحة ، والإساءة وحشة.

إذا استحوذت الغفلة ، فقد استحكمت الشقوة.كراهية العبد لقاءالرب دليل على ألا خبية بينه وبينه . .

أفضل العبادة صحة الارادة. أعرف الخلق بالله أقربهم منه ، وأطوعهم له أعرفهم به. العبادة بغير معرفة،كسيرٍ على غير جادة .

لو انتبهت من رقادك ، لوصلت إلى مرادك ، ولو أيقنت بمعادك لاستكثرت من زادك.

* * *

أين ما أعددتَ من زادٍ قد حدَا بالأينق (١) الحادي
ما بقي إلا القليل وقد جدّ سير الرّائح الغادي
فتأهبْ للمسير إلى دار قومٍ سكن بالوادي
وارتقبْ من بعدها سفراً ثالث يحدونهم حادي
لا يزال السير يزعجهم بين إصدارٍ وإيرادي
فإذا تم السرى نزلوا في خلودٍ خلداً وأيادي

هذه مواسم الأرباح قائمة ، فهل من رابح فيها رضا مولاه؟ هذه نعم الله

(١) أى بالنوق جمع ناقة والحادى هو الذى يغنى للركب فينشط ..

سابغة فهل شاكر لله على ما أولاه؟ كم من مؤمل بلوغ ما بلغتموه من الصحة والفراغ والمهل ، قبل أن يبلغ عرى العافية الانفصال ، ومجنح شمس الحياة الى الظل ، ويقول القائل : مالي لا أرى فلاناً ؟ فيقال انتقل

* * *

سروري سرى واصطباري رحل ... وقد رغبتم نجم بعدي أفل
وضاقت بي الأرض من بعدكم ... تنكر لي سهلها والجبل
وما كنت أحسب أن البعاد ... سلع قلبي فها قد قتل
وكنت أؤمل لقياكم ... فعز علي بلوغ الأمل
فلا تسمعوا قول من قد وشاكم ... لم أطع فيكم من عزل
ورقوا لمن قد براه السقام ... فلايبق في عدكم محتمل
وإن كان في الحب لي من ... زلة فما زلتموا تغفرون الزلل

* * *

تعالى الله ، وما أجل ذكره في أسماع المحبين ، من علو شأنه في قلوبهم ،يزجرون نفوسهم عن دعوى حبه ، وهم يعلمون أن حبه أقرب الوسائل المدنية من قربه ،ولكن لمعرفتهم به علم[illegible] أن مهور محبته غالية على قدرهم ، فأمسكوا عن تعاطي المحبة وهم يعلمون أن رتبة المحب فوق كل رتبة.

* * *

حالتي تقتضي اعترافي لربي ... بذنوبي لربي وافتقاري
سوء حالي اقتضى رضاي بإذني ... ما عسى أن يجبر الكسارى
أرتجي العفو والوفاة على ... الإسلام والعتق من عذاب النار
آيستني الذنوب من كل مجد ... وسناء ورفعة وفخار
ما لمثلي أن يدعي حب ربي ... إنما الحب رتبة الأطهار

كان ابن الجلارحمه الله عليه إذا سئل عن المحبة قال : مالي وللمحبة ،

أنا أريد أن أتعلم التوبة . إذا ادعت نفسك محبة الله فطالبها بصفات محبته، لتعلم أصادقة هي أم كاذبة فيما تدعيه . إن أيسر ما يكرم الله أهل محبته، لتعلم خوارق العوائد، ويطلعهم على أسرار الخلائق،حتى تكون عليها كشاهد .

كان جماعة عند الحريري فقال : هل فيكم من إذا أراد الله أن يُحدث في المملكةُ حدثاً ، أبدى علمه إلى وليّه قبل إبدائه في كونه ؟ قالوا : لا فقال مرّوا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً من هذا ، لما أكرموا سولاهم أن يراهم حيث نهاهم ، صافاهم و والاهم ، ولمولاته ارتضاهم . وكيف لا يرتضيهم وقد أطاعوه ؟ وكيف لا يطيعونه وقد عرفوه ؟ .

سئل الشبلي عن : أي شيء أعجب ؟ قال : قلب عرف ربه ثم عصاه، إنما كانت معصية العارف من العجب العجيب لأنه من الجناب العزيز قريب، وعليه من الله في كل حال رقيب ؛ فهو لقربه من الله كأنه يراه ، أما العين محجوبة ولكن القلب يتملاّه .

دخل على الشبلي جماعة في داره وهو بهيج ، ويقول : على بعدكم لا يصبر من عادته القرب ، ولا يقوى على حجبكم من قيمة الحب ، فإن لم ترك العين فقد يبصرك القلب . لما أخلوا له القلوب مما سواه أضاءت قلوبهم وإن كانت لا تراه ،كأنها تراه . ولأجل ماهم فيه من مقام القرب واقفون ، ومن عظمة ربهم خائفون ، طالبوا بها الناس به مسامحون . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « يا.بلال الق الله فقيراً ، ولا تلقه غنيّاً » قال : يا رسول الله كيف لي بذلك ؟ قال : « هوذاك ، وإلا فالنار »(١).

أصحاب العناية مطالبون بما لا يطالب به المهملون،والمقربون يناقشون عليما تسامح به المتعبدون،لأنه سبحانه اصطنعهم لنفسه،وجعلهم جلساءه في حضرة قدسه،فكيف يسامحون في الإخلال بحسن الآداب،وبحسن الأدب

(١) رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين صحيح البخاري وصحيح مسلم (٣١٦/٤) ولفظه « يا بلال اتق الله فقيراً ولا تلقه غنياً . قال قلت كيف لي ذلك يا رسول الله قال : « إذا رزقت فلا تخبأ وإذا سئلت فلا تمنع قال : قلت وكيف لي بذلك يا رسول الله . قال : هوذاك وإلا فالنار ».

استحقوا ساميات الرب.لما استشفعت الخليقة بسادات المرسلين يوم القيامة، تأخر آدم بسبب الشجرة التي نهى عنها وهي خطيئة قد غفرت له،وقد تاب منها وتأخر نوح بالدعوة على قومه،وما أرادبها إلاهلاك أعداء الله، تطهير الأرض والبلاد،و إراحة العباد.وتأخر الخليل بالكذبات الثلاث،وكلها كانت في ذات الله وطلب مرضاته.وتأخر الكليم بالنفس التي قتلها ، وإنما كان المقتولك افراباغياً ، أرادكليم الله كفّه ولم يتعمد قتله،وكان في ذلك الوقت من أهل النبوة والرسالةوتأخر المسيح خجلاًمما قالت النصارى فيه،وذلك ذنب ماجناه ولا ارتضاه علموا أن مقام الشفاعة مقام لا يسامح،تقدموا إليه فناقش كل منهم نفسه بأدق ما يلزم ويجب عليه، كلما بلغوا من القرب والأنس مقاماً ازدادوا لله إجلالاوإعظاماً .

* * *

كلما زادني اقتراباً وودّاً ... زَادَ قلبي له احتراماً مُجدّا
وإذا زاد بالتّواصل يوماً ... خفْتُ أن يعقُب التواصلُ ضدّا
كم قريبٌ قد أهمل الخوف فاعتاضَ ... بإهماله من القرب بعدا
ومدلّ على الأحبّة جازوه ... بإدلاله انتهاراً وطردا
ويخافوه بعد أنس ولُطف ثم ... قدّوا له من الهجر مدّا

* * *

أطول الناس حسرة،وأوجعهم كسرة،عبد قربه مولاه،ولاطفه وصافاه، فعزه ذلك الأنس والاقتراب، فأخل بما يلزمه من محاسن الآداب فنفضته يد الإنكار نفضة إبعاد ، فأصبح مطروداً إلى يوم التناد .

* * *

يا لهـا حسـرة ليـوم البعـاد كم ترى فتّتت من الأكبـادي

يا لهـا صيحـة أطارت فؤادي كـم تـرى أشمتت مـن الحسّادي

بدّل الوصل بالصّدود وقـرب الديار بلبعد والكرى (1) والسهادي(2)

مـا لقلبي مواليـاً لهمومي مـا لعيني معـادياً لمهـادي

مـا لجسمي ملائمـاً لنحولي مـا لجفني منافـراً لرقـادي

ليـتني متُّ قـبل مـا ذقت من الهجر والقلى(3) والبعـادي

لا تلمني على افتضاحي فقد باحت دموعي بما أسرّ فؤادي

* * *

---

(1) « الكرى » النعاس .
(2) « السهاد » : الأرق.
(3) « القلى » شدة البغض .

أحوج الناس إلى صحبة المعلمي بين

أحوج الناس إلى صحبة المعلمين ثلاثة رجال .

– رجل يطلب أن يكون من وزراء السلاطين .

– ورجل يطلب العلم ، ليصير به من أئمة الدين .

– ورجل يطلب العبادة ، ليتوصل بها إلى مقامات المقربين .

لأن من صحب السلطان بغير تأدب بأهل ذلك الشأن ، لم يأمن أن يكون حتفه في سقطة من سقطات اللسان . ومن لم يتأدب بعلمه بآداب العلماء ، لم يأمن أن يكون حتفه في بعض أدوية ضلال الآراء .

ومن تعبد من غير مداخلة لأولياء الله لم يأمن أن يتبع السبل فتفرق بكم عن سبيل الله .

* * *

من يكن شـيخ نفســه في الطريق   لم يَنَلْ رُتْبَــةً من التـحـقـيق
لا يــتـمُّ الـسُّلوك فـي الـطـرق   إلا بِخفــيــر ومرشــدٍ ورفـــيق

* * *

قطاع الطريق على أرباب السلوك أربعة :

ـ كافر مطاع يشكك في الله .

ـ ومبتدع يزيغك عن سنة رسول الله .

ـ وفاسق يجرؤك على معاصي الله .

ـ وغافل ينسيك صحبة ذكر الله .

* * *

إذا ما عزمت السّير في نيْل متجرٍ يكون له من صفقة الرّبح حاصل
فأربعة لا تسلكْ سبيلهم كفورٌ وبدْعيٌّ وعاصٍ وغافل

* * *

هذه نصيحة أهديها إليك ، فامسكها بكلتي يديك ، وعض عليها بناجزيك ، تتم بها نعمة الله عليك . اللهم . . وفقنا لمحابِّك منا ، وارزقنا عملاً صالحاً زاكياً ترضى به عنا حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا ، في لطف منك وعافية ، يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

* * *

المجلس العشرون

الإسراء معناه وأسراره

الحمد لله : ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلاهو إليه المصير** ﴾(١)، مثير السحاب بالرياح ، من مثارها ، ومدير الأفلاك على الأقطاب في مدارها ، فلا تأثير إلا وهو مثير ، ولا دائر إلا وهو له مدير، دبّر فأحكم التدبير ، وقدّر فأبرم التقدير .

من استرحمه فهو له راحم ، ومن استنصره فهو له نصير ، ومن استغاثه فهو له مغيث ، ومن استجاره فهو له مجير ، ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾(٢) ، ويكلأ عباده بالليل والنهار،ولا يأخذه نوم ولا سنة،ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض،بتدبير ما أتقنه وأحسنه،فله الحمد على حسن التدبير في مجاري التقدير .

***

في بابه يُجْبر الكسرِ ... ويُطْعم البائس الفقير

ليس عليه مجْبر خلقٍ ... وهو على خلقه جَبير

علم محيطٌ فلا صغير ... يغرب عنه ولا كبير

لكلِ أقوالنا سميع ... لكل أعمالنا بصير

إذا ابتلينا فهو المعاني ... أو نحن خفنا فهو المجبر

وإن مَرضْنا فهو المُداوِي ... وان أسأنا فهو الغفور

إحسانه عائد علينا ... وهو لنا مادحٌ شكور

***

(١) سورة غافر الآية ٣.
(٢) سورة المعارج الآية ٤

سبحان من يشكر المحسنين على إحسانهم،وإنما إحسانهم من إحسانه

سبحان من تعامله العباد بعصيانهم،ويعاملهم بغفرانه.

سبحان من لولا حلمه لعاجل العاصي بالعقوبة قبل توبته من عصيانه، ولكنه يمهله ما دامت الروح في جثمانه؛ فإن تاب قبل موته تلقاه بمغفرته ورحمته ورضوانه؛ وإن مات مؤمنا بربه تلقاه بمغفرته،وإن مات مؤمنا بربه مصراً على ذنبه أنقذه من النار ولو بمثقال ذرة من إيمانه .

ولا يهلك على الله إلا طاغٍ مستمر على طغيانه،لأنه تعالى أرحم بعبده من الوالد بولده في عطفه ولطفه وعنايته بصلاح شأنه .

* * *

أحن إلي رِفْك العقيق وبانه ... فهل عائدٌ لي ما مضى من زمانه

ليالي أَرْعى روض وهل سخَتْ به ... يدُ الدّهر من إحسانه وحسانه

يمكّنني مما أحبّ فأجْتني ... ثمار مني إمكانه ومكانه

وأمنتي إذْ ذاكَ من روعة الوَرَى ... فعشت زماناً واثقاً بأمانه

إلى أن قضى ربّي بذلي وشقْوتي ... وكل قضاء مصير لأوانه

فجرّعتُ مُرَّالعيش من بعد حلوه ... وعوّضت من إكرامه بهوانه

وها أنا لا أرجو سوى أنّ سيدي ... يعود على فقْرى بفضل امتنانه

ويجبر مني كل كسرٍ بنظرةٍ ... أعيش بها طول المدى في حنانه

* * *

تبارك الله، ما أروح نسمات الارتياح إليه ، وما أشجى حنين المتلهفين عليه، وما أبرد مصافحة استشعار الرضا عنه ، وما ألذ العيش في بلاد الدنو منه .

وكيف لا ، وهو المنتهى فى نعوت الجلال والجمال ، وليس وراءه مرمى في شيء من صفات الكمال .

أحمده على كل حال ، إن قبض وإن بسط ، وإن منع ، وإن أنال.

وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال ، شهادة معتقد أن كل معبود دونه محال .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اختصه للنبوة ، وأكرمه بالإرسال، فشفى من السقم ، وهدى من الضلال .

صلى الله عليه وسلم،وعلى آله وصحبه،ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم المآل.

خصوصاً ،على العشرة ومن جملتهم الأئمة الأربعة، أصحاب الهمم العوال.

اللهم « افتح منا أسماعاً ، وأبصاراً ، وبارك لنا في حضور هذا المجلس، حتى لانقوم إلا وقد غفرت لنا إنك كنت غفاراً .

واجعل لإخواننا نصيباً في صالح دعائنا ، يا من لم تزل نعمه غزاراً، ودائمة مدراراً .

* * *

وهى قوله تعالى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾**(١) .

أكثر الناس يقولون : « سبحان الله » وما يعرفون معناها .

وهى في لغة العرب : تعني التنزيه والعجب .

(١) سورة الإسراء الاية الأولى .

نقوله نقولنا « سبحان الله » أى تنزيه لله من كل سوء ، وتبريئه من كل نقص،وتعجب من وصفه بما لا يليق به،من الولد والصاحبة والشريك،وغير ذلك مما برئ منه ومتعال عنه:﴿ **أسري بعبدة** ﴾ إى سيره بالليل،والسرى لا يكون إلا باليل خاصة. و﴿ **العبد** ﴾ هو محمد ﷺ. و﴿ **المسجد الحرام** ﴾ فهو مسجد مكة المحتوى على الكعبة.وأما ﴿ **المسجد الاقصي**﴾ فهو مسجد المقدس. ﴿ **الذي باركنا حوله** ﴾ أى جعلنا ما حف به مباركاً،وذلك جميع بلاد الشام ، ورأى لها مزية على غيرها فى البركات من الدنيا والآخرة .﴿ **لنرية من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ الآيات: هى العجائب . وكم أطلع الله نبيه ليلة المعراج على بناء عظيم وأمر عجيب.﴿ **إنه هو السميع البصير** ﴾ هو الله سبحانه وتعالى . أى أن الذى أسرى بعبده هو السميع البصير . وقيل : هو النبى صل الله عليه وسلم العبد الذى أسرينا به سميع لما أوحى إليه ، بصير . بما حكى عليه .

***

أيـهـــــــا الـزائـر الـذى رام وصْلاَ	قــــــد رأينـاك للـذى رُمت أهـلا
إليــه ســمــعـاً لما يقــال فــهدى	كلمـات الرِّضـاعلى السـمع تتـلا
وإذا مـا أميطت الحُجب فـاحـفظْ	حسن آداب مـا على العينّت جـلا
أيـهــــا الصبِّف المشْتاق ها قــــد	بذْلنا لك مـا كنت تشتـهى فتمـلا
قـد تجلِّي لك الحـبـيبُ وأوصى	ضـيّه العـاشـقين أن تتـجـلا
كـــم محـــبّ أراد وصلْـــنـــا	لم يصـادف منّا سـوى كُن وكـلاً
مـــا لكل الرُّواد يفــتح البـــاب	لا ولن يتلقى بأهلا وســـهــلا

* * *

سؤال

ما الحكمة في افتتاح آية الإسراء بلفظ سبحانه ؟

الجواب

إن لفظة « سبحانه » تقولها العرب عند الأمر العجيب . فافتتحت بها آية الإسراء لما كان فيه من الأعاجيب .

سؤال

ما الحكمة في قوله : (أسرى بعبده) ولم يقل برسوله ؟ ولا نبيه ؟ .

الجواب

إن عيسى عليه السلام قيل فيه : إنه الله ، وابن الله ، للكرامة التي أكرمه الل بها وهي دون كرامة المعراج ،كذلك قالت اليهود في العزير أنه ابن الله لأيسر كرامة فلما أكرم الله نبيه ﷺ وهى كرامة بالغة ، وحصل له فيها الدنو من ربه ،والقرب والرؤية التي لم يبلغها غيره .

فوصفه بالعبودية في هذا القام حتى لا تغلو فيه أمته غلو النصرانية واليهودية، وأحوج ما يكون العبد إلى التواضع لعظمة ربه ، أقرب ما يكون من ..ارج قربه ، فأخوف ما يكون العبد يوماً من الإبعاد أقرب ما يكون .

سؤال

ما الحكمة ي جعل المعراج بالليل دون النهار ؟

الجواب

إن الليل أفرغ للقلب ، و أجمع للهمم ، وأهيأ للوصل ، وأنظم للشمل

ظُلمــــة الليل للتّواصل أهني من ضــيــاء النّهــار عند المُحبّ
وصْلهم ســرّهم ومــا أحــوج السّر إلى ســتــره بســجف الحــجب

* * *

سؤال

ما الحكمة في أنه قال : ﴿ **لنريه من آياتنا** ﴾ ولم يقل : ﴿ **لنسمعه** ﴾ ؟

الجواب

له وجهين :

* الوجه الاول : أن الآيات هي الأعاجيب.وأكثر أعاجيب المعراج كانت من المرئيات لا المسموعات،كسدرة المنتهى،وفراش الذهب،والنهرين الباطنين والظاهرين،وغير ذلك من عوالم الملكوت.

* الوجه الثاني : أن المعراج كان فيه رؤية وجه الله تعالى،وهي أخص فوائد..

قال:﴿ **لنريه** ﴾، ولم يقل ﴿ **لنسمعه** ﴾، إشارة إلى أخص فوائد ليلة الإسراء،لأنه أرى فيها وأسمع، لكن كان النظر إلى الله سبحانه أخص من قسم المرئيات دون المسموعات، فرجح جانب المنظور بذلك، فخص بالذكر لذلك .

سؤال

لماذا أضرب عن ذكر نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ربه في هذه الآية ؟

الجواب

كلما عظم الأمر استحق الستر ، كما قال بعضهم :

أُغـــار عليــــه إن أصـــرح باســـمـــه   فكيف إذا مـــا لاَحَ يومـــاً جـــمـــالُهُ
ويطْوِيهِ قلبي عن لســـاني صـــيـــانةً   وكـل نَفيسٍ لا يـليـق ابتـــــــذالُهُ

* * *

سؤال

ما وجه ذكر السمع والبصر دون غيرهما من الأوصاف في آخر هذه الآية؟

الجواب

إن كان السميع البصير رسول الله ﷺ فلولا صحة سمعه،ونفوذ بصره، لم يكن أهلاً أن يتلى على سمعه ما يتلى،ويجلى على بصره ما يجلى .وإن كان السميع البصير هو الله تعالى،فلولا أنه سميع لأقوال عباده،بصير بأعمال خلقه، لما اختص بالاسراء إلى كريم حضرته رجلا واحداً من جميع بريته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

* * *

الله أعلمُ حيث يجعلُ خلقه من أرضه وسمائه

فإذا رأيتَ الله خصَّصَ واحداً منهم فلا تسلُك سبيل عناده

أفيضوا بنا في ذكر المُنعم فما مزيدُ الخير إلاّ في شكره

وأعيدوا علينا ذكر اسمه فما لذّة العيش إلا في ذكره

* * *

مِن تهجروهُ فما لَهُ في هجره من راحة إلا إدامة ذكره

هَبْ أنه بالعينِ ليس يراكم الذكر يجلو حسنكم في سرّه

تُروَى له أخباركم فيراكم منها فيهدأ من لواعج صدره

وإذا ترنّمَ باسمك داعي النّوى لحبّكم أطفَى تلَهُّب حرّه

* * *

إذا هتف باسم الحبيب لأسماع المحبين ، رأيت منهم المكربين ، ومنهم المرتاحين. وأما المرتاحين فتلوح لهم من الذكر لوائح التلاق . وأما المكروبين فتهيج منهم لواعج الأشواق ؛ وكل منهم في شرع الغرام معذور ، وربما اجتمع الأمران في وقت واحد للصف المهجور

* * *

حبُّكم جنّتي وناري قد عيلَ [1] من ثقله اصطباري

ذكركم يحدث ارتياحاً طوراً وطوراً لهيب ناري

والصبُّ ما بينَ ذا وهذا مقلقل عادِم القراري

عليكمُ منى بكاىَ إليكم منى فراري

---

(١) عيل: قلَّ .

وحـــــــقكم لا سلوت عنكم ... ما جرت الفلك في البحـــارى
مـــالي شـــفـــيع إلى علاكم ... أنجح من ادمعى الغـــــزارى
فـــإن لي وصلتم فـــوا انجبـــارى ... وإن هجـــرتم فـــوا انكســـارى

* * *

صدق لسان المحب في طلب وصال محبوبه ، هو الذي أوصله إلى مطلوبه.

وكل محب طرد إلى الباب ، فإنما أبعده المحب عن الجناب، لأنه في دعوى المحبة كذاب .

المحبة لازمة لأهل المعرفة، والشوق لازم لأهل المحبة،والانزعاج لازم لأهل الشوق؛ فلما تكامل لرسول الله ﷺ الشوق، تكامل له الانزعاج.فقد أدركته رأفة الحبيب بليلة المعراج، فما زال جبريل يسلك به السبل ويقطع به الفجاج،حتى سقى من عذب فرات الوصل ما لا يشوبه أجاج.كل سكر يذهب العقل على الناس حرام،غير أهل الحب فالسكر لا يرام يا نديمي قم فقد دارت على الشرب المدام ، دارت الكاسات أقداحاً والأقوام نيام ، لو دروا ما فاتهم ما راق للعين المنام، بابي شهم جسور ما حد قوم همام ، يؤثر النار على النار إذا ما يستضام ، لم يزل في السير حتى نال أمرا لا يرام،جدّ حتى أبعد الله.والسلام.

* * *

المجلس الحادي والعشرون

في وأهميته الجهاد

الحمد لله الذي جعل جهاد النفس والعدو فرضاً واجباً ، وديناً واصباً، فما من مسلم عاقل إلا وهو يعلم أن مجاهدة نفسه وعدوه حق واجب عليه، فهو يرجو رحمة ربه ببذل نفسه، ويرغب فيما لديه .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن جاهد بين يديه تبارك الذي أحكم مباني دينه لعباده المؤمنين،وجعل الاسلام رأسه،والصلاة عموده،والجهاد ذروة سنامه؛ فانتظمت بذلك أحكام شرائع الدين. فمن أسلم لربه فقد استمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين،ومن اقام الصلاة لذكره فقد أخذ مركزه من صفوف العارفين،ومن جاهد في سبيله فليتبوأ مقعده من مائة درجة أعدت للمتقين المجاهدين .

كانت الجنة للإنسان وقت عافيته كالبستان ، ويسرح فيها حيث يشاء، وجعلت الأرض له وقت مرضه كالمارستان (١) يلتمس فيه الشفاء ،ولا شفاء إلا بدواء، وكل دواء إلى المريض بغيض .

فعالجوا أنفسكم من معضلات أدوائها ، بدوام جهاد أعداء الله وأعدائها، لقد تخصص الجهاد على سائر القرب ببذل النفس للعطب، فى موطن يتميز فيه الخزف من الجوهر والنحاس من الذهب .

(١) هى دار الشفاء بالفارسية .

حتى متى أنت في لهوٍ وفي لعبٍ   تُمسى وتُصبح في عزْفٍ وفي طرب
انهدْ بجيشٍ من الأعداء منتصف   وانهض بعزمٍ إلى العلياءِ منتدب
واظعنْ عن الوطن المألوف مغترباً   لا يبلغ المجد إلا كل مغْتَرب
جزائر الهند فيها العود كالحطب   وحين غربته يبتاع بالذّهب
كم ذَا الرُّقاد على ظهر المِهَاد وقدَ   مدّ الحمَام (١) إليكم كف مستلب
يحكموا فيكم وفي بلادكم   فالنّسل للبنين والأموال للسَّلْب
يا لَهْفَ نفسي على قومٍ لهم هِممٌ   تعلو على قمَم الأفلاك والشهب
يستنقذون الأسارى من عدوهم   لضعفِ أمٍّ لهم محزون وأب
واللهَ لو أن سلطاناً يفرِّجها   كنا نسمِّيه الفرّاج للسّرب

* * *

أين أصحاب النفوس الأبية؟ أين أصحاب الأنفة الحمية ؟ أوفوا بالعهد القديم، وارغبوا في الأجر العظيم، وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله هو السميع العليم .

قولوا لأهل الهمم العليّة، وكيف يرضون بالحطّة الدنية. تنبهوا من رقدة الغافلين، وتأهبوا لمرافقة الصالحين، وإذا عزمتم فتوكلوا على الله، إن الله يحب المتوكلين

المتهجدون لله بالليل هم حماة الإسلام ، وثناؤهم على الله مفاتيح دار السلام . يبيتون يراوحون بين الحياة والاقدام، والناس على فرشهم نيام. فأهل العبادة بيننا كالمقاتلين عن المنهزمين ، بهم يدفع الله العذاب عن العاصين ، ويحرس العباد والبلا . من جيوش الكافرين ﴿ **ولولا دفعا الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل علي العالمين** ﴾(٢)

(١) «الحمام» بكسر الحاء الموت
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥١ .

ينبغي على العازم على الدخول في أولياء الله أن يكون شحيحاً[1] ضعيفاً قويّاً مطيعاً عصيّاً ، يطيع داعي الله في العبادة والتقى ، ويعصي داعي النفس إلى اتباع الهوى ، ويقوى على مجاهدة النفس والشيطان ، ويضعف عن متابعة هواه في ركوب المعاصي ، ويشح بدينه وعرضه وحسناته ، ويسخو بترك الدنيا الشاغلة عن طاعة الله وطلب مرضاته ؛ فإن الحسنة إذا طلب بها وجه الله تصير التمرة كالجبل العظيم **﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾**[2] ،

* * *

ألا منفق لله من فضل ماله	عظيم الأجر من فضل يوفى
مخلص عبادته في قصده وفعاله	لا موقن مرضاة مولاه
ويرغب في معروفه ونواله	يعامل مولاه بإخلاص فيه

* * *

من بخل عن الإنفاق في سبيل الله فإنما يبخل عن نفسه ،ومن لم يقدس روحه بالأعمال المرضية الله لم يدخل في أهل قدسه ،ومن لم يستوحش من كل ما يشغله عن الله لم يصر من أهل أنسه ، ومن قصّر في خدمة الله جنى ثمر تقصيره وقت حلول رمسه ، حين لا يحصد حاصد إلا ما زرعه ولا يجني جانٍ إلا من غرسه.كيف تقبل من المقصّرين الأعذار وقد بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار؟ فإياكم أن تفرّوا من العدوّ ، فكم قد كسا الفرار أهله من لباس العار ، أما سمعتم كلام من اختص بكلامه صفيه المختار **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴾**[3] ، لو صرت

(١) أي شحيحا بإيمانه فلا يضيعه .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٦١.
(٣) سورة الأنفال الآية ١٥

مجاهداً وقت مطالبة النفس ومحاربة الشيطان لرأيت من نصر الله العجب، ولكنك انقلبت يوم الفرار حياة الخزي والعار فبئست الحياة وبئس المنقلب، ربحت الخزف والحجر وخسرت الجوهر والذهبأما سمعت كلام العزيز الغفار: **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴾**، رضيت بالحياة الدنيا من الآخرة، وخسرت الصفقة الرابحة، وربحت الصفقة الخاسرة .كيف طابت نفسك أن تكون ظهيراً لفئة النفس على ففئة القلب، مؤمنة وفئة النفس كافرة؟ كيف اخترت لنفسك أن يقال:جبان فرار ، أما سمعت كلام من له العزة والاقتدار **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾**

***

العينُ منهـا الدُّموع تَنْهمر	الحزنُ بادٍ والقلب مُنكسر
والدِّين والمُلك قد يضيع من	ركبهما ما يعمى به البصر
ليس العجيب يعمى العيون وقد	نظرت أمراً يَعْمَى به البصر
المُلْك تدعِّمه الحراب فلا	يبقى عليه التحدي ولا يذر
في كل قُطر زاحفةٍ نارٍ	فلاسَدُّوا لها شرر
أين توَّجهتْ قد رأيت ما لجنود	من البلاء مالا يطيقه البشر
الإسلامِ قد زحفوا	هل يدفعُ الموت منهم الحذر
ما لجميعِ الإسلام ما خرجوا	إلى الجهاد الذي أمروا
مالي أرى المذْنبين ما فرَغوا	مالي أرى الرَّاقدين ما سهروا
مالي أرَى الجاهلينِ ما عَرفوا	مالي أرى العارفين ما اعتبروا
كيف يلذُّ الْكَرَى وقد	طرقت بلادنا النائباتُ والعبر
والربُّ غضبانٌ والعصاة ما كانوا	فلا استغيثوا ولاهم اعتذروا
فاستغفروا الله من صغائركم	وعن ركوب الكبائر آزدجروا
وانتظروا الغوث من مراحمه	ما خاب قوم لغوثه انتظروا

***

إن مما قضى الله علينا في محكم كتابه من أنباء أنبيائه ، ونصرة أوليائه على أعدائه، ما يثبت الفؤاد، وينبه من الرقاد، قوله تعالى: ﴿ **وإذ قال موسي لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين** ﴾ (١) .

لما حرص الكليم على تحريض قومه على جهاد الأعداء، ذكرهم بما لله عليهم من النعماء، حيث يأنفون على أنفسهم من الهوان بعد الإكرام، ومن ظهور عبدة الأصنام على ملة الإسلام، فقال: ﴿ **يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم** ﴾ فكأنه يقول : أما يأنف من أكرمه الله بالشريعة النبوية أن يجبن من جهاد أعدائه، وقد استولوا على دياره وأبنائه؟ وهل يرضى بهذا لنفسه من له أنف؟ كلا والله، ما رضي بالهوان كريم، ولا استسلم للأعداء إلا لئيم.

* * *

ألا شـــهمٌ فـــتًى كـــريم	له رأيٌ بسـديد مسـتـقـيم
له في كل ناحـيـة رقـيـب	على أعـدائه وهم هجـوم
متى سمع العـدوُّ له بذكـر	عراه الذل والخـزى المقـيم
ومن يكل هذا فـعليـه طيـر	بنصـر رجـاله أبداً يحـوم
وإلا فلينم حـتـى يـوافـي	عـدو وصـيـده الكسل النؤوم

* * *

قوله: ﴿ **وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين** ﴾ يعني: من عالمي ذلك الزمان. ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم** ﴾ قال ابن عباس: هي الطور وما حوله. وقال قتادة: الشام. وقيل: أريحاء. وقيل: دمشق

---
(١) سورة المائدة الآية ٢٠

وفلسطين وبعض الأردن و﴿المقدسة﴾: أي المطهرة المباركة.وقوله:﴿كتب الله لكم﴾ أى : أوجب لكم .﴿ ولا ترتدوا علي أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾(١) أي: لا ترجعوا مدبرين إلي ورائكم فتنصرفوا خائبين.

﴿ قالوا يا موسي إن فيها قوما جبارين ﴾كل من لا تكون خشية الله أغلب عليه من خشية الخلق، ملأ الله قلبه مما سواه رعباً، وجعل كل شيء يخافه ربًا.

﴿ وإنا لن يدخلها حتي خرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾ (٢) لما جبنوا عن القتال أحالوا على المحال، وهو طريق من طرق الضلال، لا بارك الله فى رجال قد سلكوا سبل الضلال

* * *

لا أَهْلَ كِنّا في يوم حِرب ... ولا فُحُولٌ يوم القتال

قد قنعوا من حطام دنيا ... بطيب عينٍ وجمع مال

فلا بدّ يَدنون من حريم ... ولايخامون من عيال

لكن قومى إذا دعاهم ... داعٍ إلى الحرب والنّزالْ

طاروا إليه على متون ... الجياد بالذّيل العوالْ

فتاهم عاشق المعالى ... وكلُّهم للحياة سالى

جزاهم الله كل خير ... فى كل وقتٍ وطل حالى

* * *

﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾ (٣) .

ما بين العبد وبين النصر إلا أن يوطن نفسه على الصبر. أمروا بالدخول من الباب على عدوهم،وضمن لهم النصر عقيب دخولهم؛ فلو تلقوا أمر ربهم

(١) سورة المائدة الاية٢١.
(٢) سورة المائدة الآية ٢٢
(٣) سورة المائدة الآية ٢٣

بالسمع والإطاعة، لم يحوجهم إلى الصبر إلاّ ساعة .

فلا قرّت عيون الجبناء،ماذا فاتهم من النصر والعلاء،لو وطّنوا نفوسهم على صبر ساعة يوم اللقاء .

* * *

من عـذيري من مـعـشـر جُبناء ... مـا وفُوا بالعُهُود يوم اللّقـاء
إنما المُلْكَ والغنيـمـةُ والأجـرُ ... وقـهـر العداء وحسن الثناء
لفـتًى صابَرَ العـدوَّ فـوافى ... حين وخـز الرّمـاَح في الأحـشـاء
إن أردت الثّواب والمُلْكَ فـاصـبـر ... سـاعـة المَوت تحت خَفْق اللّواء

* * *

﴿ وعلي اللّه فتوكلوا إن كنتم مؤمنين.﴾ (1) في هذه الآية دليل على أن من ولّى وقت الزحف فليس له نصيب في التوكل ، وفيها دليل على أن من لا توكل له فلا إيمان له . لأن المعنى: إن كنتم مؤمنين فتوكلوا ، وإن كنتم متوكلين فاثبتوا . فمفهومها: إن لم تثبتوا فما أنتم متوكلون ، وإن لم تتوكلوا فما أنتم مؤمنون . أي : لا يتم إيمانكم إلا بالتوكل ، ولا يصدق توكلكم إلا بالثبات ، قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، جرى فألهم على ألسنتهم حين قالوا : ﴿ إنا لن ندخلها أبداً ﴾فلم يدخلوها لآن اللّه حرّمها عليهم.وهذا جزاء كل من لا يتقبل النعم بالشكر ، أي يحال بينه وبينها بلون سواد ، به آخر العهد منها .

* * *

(1) سورة المائدة الآية ٢٣

الذنْبُ لي فيما ابتُليت به — من راحة نُقلْتُ إلى تعب
ورقاد عينٍ عاد لي سهراً — ومواهبٌ حالت إلى سلب
وفراقُ أحباب نعمت بهم — وبقربهم في سالف الحقب
ما كنتُ أعرفُ قدر ما بذلوا — حتى ابتليت بكف مستلب
هذا جزاء مقابلٍ نعماً — بدلت له إساءة الأدب
ما زال في لهوٍ وفي لعب — حتى دعَا بالويْل والحرب

***

﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾ (١) هذا كلام قوم جاهلين بالحكمة في سنة الجهاد ، لأن الجهاد شرع للمؤمنين تمحيصاً للسيئات، ورفعة في الدرجات ، فإذا كان المقاتل غيرك فكيف تحصل لك هذه الفوائد : في قوله تعالى : ﴿ **ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ (٢) فمن كان في إحراز هذه الخيرات طامعاً فليكن إلى جهاد نفسه وعدوه مسارعاً

***

إن كنت في نيل السعادة طامعاً — فانهض إلى حمل السلاح مسارعاً
واركب جواد العزم واحمد حملة — البطل الحلاحِل حاسراً أو دارعا
واصبر على مضض الجلاد مرامياً — ومطاعناً ومسائفاً ومقارعاً
واصدق عدوك في لقائك ساعة — لم تلْقَ مثل الصدق شيئاً قاطعا
واغش السيوف في نحر وجهك وقت ما — يحمي الوغى والْقِ الرِّمام شوارعا
لا تجزعن ولو قتلت فإنه — لم يبلغ العليا من يكُ جازعا
وترج إحدى الحسنين شهادة — تحصنك أو نصراً لمجدك رافعا

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٤
(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم الآية ٤ ـ ٦ .

﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ (١) برأ موسى عليه السلام إلى ربه من عصيان قومه ، فعذره الله تعالى، وأخبره بما هو معجل لهم العقاب مع حرمان الثواب : ﴿قال فإنها محرمة علي أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس عليهم القوم الفاسقين﴾ (٢) فصرفوا عنها أذلة صاغرين ، ودخلوا في التيه فلم يخرج منهم أحد حتى أتى الموت عليهم أجمعين ؛ حتى إن موسى وهارون كانا في التيه من جملة المتيهين، ولم يدخل الأرض المقدسة من ذلك الحين أحد منهم ، وهم ستمائة ألف ، فيهم الأنبياء والمرسلون والأولياء والنساء والأطفال ، عمهم جميعاً شؤم العاصين رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة ، فانقلبوا بالصفقة الخاسرة، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين .

* * *

لا تبيعوا الدُّر بالخزَف ... ليس هذا فعل معتْرِف
واركبوا الأخطار في طلب المجد ... والعلياء والشّرف
فاطلبوا الثّأر الذي لكم ... عند أهل الجور والخيف
أو فكُّوا حرْمةً قنعت ... بلزوم البيت والعلف

* * *

من كان مع الله كان الله معه ،ومن تكبر على الله وضعه، ومن تواضع لله رفعه، ومن استودع الله دينه ونفسه حفظه عليه حتى يؤدي إلى الله ما استودعه.

فكونوا بالله في ضمانه واثقين ، وإلى الله فيما عنده راغبين ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (٣)

* * *

(١) سورة المائدة الآية ٢٥
(٢) سورة المائدة الآية ٢٦
(٣) سورة التوبة الآية ٣٦

قل للذين آمنوا بزلهم   كونوا مع الايمان عاملينا
إذا أتاكم مناد من   ربكم فلا تكونوا عنه معرضينا
قولوا سمعنا وأطعنا واحـ   ـذروا أن تصبحوا لله مسخطينا
من خالف الله فقد أسخطه   فلا تكونن مسخطينا
وجاهدوا أعداءكم فإنهم   قد أصبحوا لكم معاندينا
إيّاكم والظلم فيما بينكم فقلّ   ما ينصر ظالمونا
واخلصوا نيّاتكم فالإخلاص أقـ   ـوى ما به في الحرب تنصرونا
ووطنوا النّفس على الصبر ولو   قتلتم بالصبر أجمعونا
فموتنا ولا نرى عدوّنا يسـ   ـتأسر البنات والبنينا
كم استباحوا حرماً ممتنعاً   كم هتكوا محجباً مصوناً
كم غربوا مستوطناً عن داره   وكم أخافوا بلداً أمينا
كم أفقروا ذا ثروة من ماله   حتي غدا مستعطياً مسكينا
نستغفر الله ذنوباً سلطت   أعداءنا وطمّعتهم فينا
عسى الذى أعلى العدوّ فو   قنا عليهم من بعدها يعلينا

* * *

اللهم. . يا خير الغافرين اغفر لنا ذنوبنا ؛ اللهم. . يا خير الراحمين ارحمنا في كل شيء من نعمك علينا ؛ اللهم. . يا خير الرازقين ارزقنا رضاك عنا ولطفك بنا ؛ اللهم. . يا خير الفاتحين افتح بيننا وبين القوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين؛ اللهم. . يا خير الناصرين انصرنا على من عادانا، واردد لنا الكرّة عليهم، وكن لنا عليهم ظهيراً، وامدد لنا بأموال وبنين واجعلنا أكثر نفيراً .

من كان مع الله بالإخلاص والصدق كان الله معه بالتأييد والنصر، ومن اعتقد أن لا حول ولا قوة إلا بالله أنزل الله عليه السكينة والصبر، ومن علم أن لا ناصر إلا الله لم يكله إلى أحد في شيء من الأمر.

وطنوا أنفسكم على الصبر والثبات فضل ساعة، وابذلوا في مصابرة العدو ما في وسعكم من الاستطاعة، واحذروا أن تقدموا على ربكم وأنتم لفرائضه مضيعون ، وفي أداء أمانته عندكم مفرطون ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ (١)

* * *

نقضُ العهودِ على الكرام حرام ... قومٌ عليهم للوفاء ذمام

فإذا لَقُوا صدقوا العدوّ وكيف ... لهم أصول في اللقاء كرام

ولهم عيونٌ لا تنام عن العدى ... من يطلب الأعداء كيف ينام

أَصْلَوا نفسهم نفيراً للملتقى ... وعلى حياضٍ منه خاموا

شهروا الصوارم (٢) في الوغى من ... غمدها وبغيرها فات العدى ما ساموا

شربوا وأسقوا كأس حتف (٣) جردت ... لهم العدوّ فلاحَ منه عظام

حامَ العدوّ وحادَ يوم لقائهم ... وهم غداة الملتقى ما حاموا

ما زال إلاّ أنّ دين عدوّهم ... كفر ودينهم هو الإسلام

قد أيقنوا أن الفناء مصير دنيا ... هم ولو دامت لهم ما داموا

من كل شهم ماجد صلى الوغى ... والوجه أبيض ما علاه قتام

ركبوا رضا المولى وجنات العلى ... فأنالهم من فضله ما راموا

ما زال يبذل نفسه في الذبّ عن ... دين النبي كأنه الضرغام

حتى سقي الأقوام كأس حِمامهم ... وسقاه كأس حمامه الأقوام

لقي الحمام ويا سعادة مسلم ... يلقاه في ذات الإله حمام

نال الشهادة والسعادة وانثنى ... والعرضُ أبيض ما عليه ملام

ما كل من رام السعادة نالها ... إنّ السعادة والشقاء أقسام

سبق القضاء بما هو كائنٌ ... طوِيَ الكتاب وجفت الأقلام

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٧

(٢) «الصوارم» جمع صارم وهو السيف .

(٣) الحتف الهلاك .

اللهم.. بدوام غناك عن كل شيء سواك ، ارحم دوام افتقارنا إليك، ولا تجعل استغاثتنا بشيء دونك، وكما خلقتنا لعبادتك وفقنا لما له خلقتنا، وكما ضمنت لنا أرزقنا فاجعلنا بضمانك واثقين، وكما أنزلت علينا كتابك، وبعثت إلينا رسولك، فاجعلنا بكتابك عاملين، ولرسولك متابعين، ترى حضرنا مع من يحسن السماع، فلينتقل عما هو مستمر عليه من زمان الرضاع، من سوء العادة وفساد الطباع وأداء من أهدى إليه النصح قبله وانفتح به حق الانتفاع .

***

هل من أخٍ وَجْدٍ أطارحه   ما لم أزل لغَفْيه من بعدي
ما زلتُ أكتم ما بُليت به   حتى عجزت فقلت ما عندي
أنا من ملوك كان ملكهم   يعلو ملوك الصين والهند
كان العدوُّ يخاف غائلتي   ويفرُّ من ظلّي على بعد
فغفلت عن تحصين مملكتي   تباعد الأمراء والجند
فَغَزَاني الأعداء فانتزعوا   منّي البلاد وأخربوا مجدي

***

أمرني ربي بما فيه إصلاح شأني ونهاني عما فيه هواني وخسراني، فعصيت ربي وأطعت شيطاني، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابني ويدهاكم ما دهاني.

***

فـــزتُ في قـــربهم بكل نعـــيم   لا أُبـالـي طـوارق الحـــــدثـان
فـــســقـــاني العدُوُّ كـأس اغـتـرارٍ   ليتني متُّ من قبل ما قد سقـاني
غرَّني باســتـــمــالة النفس   للشـهـوة حـتي بحـبِّهـا أغـراني
شـــدَّ وسْطي منه بحـبل غـــرور   ثـــم فـــي الـــرّدي دلانـــي
والحبيب الرّقيب ينظر ما أصنع حين   حـــــيث لا أراه ولا يـرانـي
مددت يدي إلى شهوة طار تاج النف   ـس التي قـبل ذاك عنهـا نهـاني
المـلـك الـذي كـنـت توجْت   وأخـــرجت من قصـــور الجنان
فـــاندبوا مَصْرَعي ونوحوا عليـــه   واحـــذروا بأن يَدْهَاكُمْ مـــا دهاني

* * *

ألا رجل كريم الطباع، يعزم عزمة البطل الشجاع، يوطن نفسه على صبر ساعة، ويبذل في غسل عاره بأخذ ثأره حميد الاستطاعة، ويكف ألسنة الشامتين به عن هذه الشناعة، فلقد سمع بمصيبتنا مع عدونا سامع الإنس والجن إلى قيام الساعة، وهذا جزاء من سلك طريق المعصية وتنكب طريق الطاعة.

* * *

يـا ويحَ مـن نـزل الـعـــــدوُّ بـه   فـلـم يمـلـك نـزاعـــــه
فـــأزاحـــه عن أرضــه حـــتى   لـقـــــد أخْلَى ربـاعــــه
وســـبي الحـــريم بعـــد أن   بلغ الفــضـيـحــة منه باعــه
من كل وجـــه مـــصـــونة   كـــالبـــدر قـــد هتكوا أقناعـــه
أين الحـــمـــيَّة و الأبيـــة   والشّهـــامـــة و الشّجـــاعـــة

* * *

كل قربة تتقرب بها إلى ربك هي قلعة من قلاع دينك، والعدو مجتهد في كل وقت وعلى كل حال في حصار قلاعك بالرجال والحبال، فكل طاعة يفسدها عليك فهي حصن من حصون دينك، انتزعه من بدنك، وأنت من استيلائه على حصونك تقول لا بأس عليّ ما دمت آكل وأشرب وأجيء وأذهب، وهل البأس ألا تكون هارباً من عدوك في كل مهرب، قد ضيق عليك كل مذهب، وكدر كل مشرب؟ كلما ضربت معه رأساً كان عليك أظهر ولك أغلب.

***

شرقُوا وغربُوا مـا   ـن الموت مَهْرب

كيف ينجو المطلوب   بالسَّير والله يطلب

ويموت تحت السيوف   كراماً أو تغلبوا

مالرأى بقاء غير   أن تستعدُّوا وتغضبوا

إن هذا الفرارَ عار   وله الرب يغضب

فاثبتوا فى صفوفكم   فقبيحٌ أن تهربوا

كم جديد قد أُخلقوا   كَمْ مشيَّد قد أُخربوا

والعدوُّ المخذول يد   نو إلينا ويقرب

وأسباباغَدَتْ يَنَا   ح عليها ويندب

كم أسير لديهم   وعلى الوجه يضرب

كان بالأمس سالباً   فهو اليوم يسلب

لهف نفس على حرا   ئر تسبى وتنهب

يا أُسودَ الورى اغضبوا   يا جنود الوغَى اركبوا

واغسلوا العارَ واطلبوا الـ   ـثَّار تعلوا وتغلبوا

***

وأملوا الله إن آمله لا يخيب؛ اللهم آونا إليك، ودلّنا عليك، واجعل راحتنا عند لقائك، ورغبتنا فيما لديك، وضاعف صلواتك على عبدك ورسولك محمد وآله، وسائر عبادك الصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس الثاني والعشرون

أهل الإيمان واليقين والتقى

عباد الله . . تأهبوا للعرض على الملك الديّان، واستبغضوا من هذه السِّنة(١) فما أدرك النار وسنان. أيها العبد العاجز الفقير . . اطلب من باب الغنى القدير، تبتل لسؤاله، رتعرض لنواله، فلو أنالك قطرة من بحار أفضاله، لأصبحت مما لايخطر خوف الفقر على باله.

* * *

ألا نَاهض فى خيله ورجاله	بعزمة ليثِ الغابِ يوم نزالهِ
لحرب عدوٍّ قد تملّك أرضه	بإذلاله وزاهٍ بعد دلالهِ
ألم تعلموا أن العدوّ سباكُم	وأوثقكم فى قدّه وحبالهِ
وقد كنتموا فى العزّ والمجد لنا	جوار كريمٍ غافرٍ بنوالهِ
فأخرجكُمْ منها العدوُّ بكيده	وصرتم إلى إنكاله ونكالهِ
فضجُّوا إلى البرّ الرّحيم يمدُّكم	بنصرٍ على المخذول يوم قتالهِ
وعوذوا من الشّيطان بالله إنه	سميع عليمٌ فارغبوا فى سؤالهِ

* * *

(١) السِّنَة. هى النوم الخفيف أو أول النوم.

باب منه

أيها العبد المقهور المضيم، استعذ بالله السميع العليم، ولا تنس فى ابتداء كل أمر: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، فإن أنت لم تجد لبركة اسم الله أثراً ظاهراً فى جميع الأمور، فاعلم أنك مقصر عند التسمية فى الإخلاص والحضور.

ذكر اسم الله فى ابتداء الأقوال والأفعال، أنسة من الوحشة وهدايه من الضلال. وحمده تعالى فرض لازم لكل أحد على كل حال، لأنه أهل أن يحمد إن ابتلى وإن عافى وإن منع وإن أنال، عم بفضله النساء والرجال والكهول والأطفال، ولطف فى قدره وقضائه بأهل أرضه وسمائه، فلم يخل من لطفه سافل ولا عال.

يا من لا تمتد الأيدى بالرغبة والمسألة إلا إليه، يا من لا يعول فى كشف شدائد الدنيا والآخرة إلا عليه، يا من كل الرغائب لديه، والمواهب لديه، ليس لضرنا سواك كاشف، ولا على ضعفنا سواك عاطف: المعافى من عافيته، فعافنا من موجبات سخطك وعقابك. والمهدى من هديته، فاهدنا سبيل الواصلين إلى جنابك

بروح الإيمان بالله: تحيا القلوب من موت غفلاتها، وبنور مصباح اليقين مستضىء الأرواح فى ظلماتها .وبالتداوى: يداوى بدواء التقوى فتخلص النفوس من آفاتها .

فمتى أردت أن تعرف عناية الله بعباده المؤمنين، وبماذا أنعم الله على أهل التقوى واليقين، فاتل أربع آيات من سورة البقرة (١)، لتعلم أن خيرة خلق الله من جميع العالمين : أهل الإيمان واليقين والتقى، الذين ارتقوا من معارج النور كل مرتقى، وحصلوا على النعيم، وتخلصوا من طول البقاء فى دار الشقاء.

(١) أى من أولها .

من خرج من دار الكفر إلى حظيرة الإيمان، فقد أخرج من الظلمات إلى النور، لأن الكافر جاحد كاند، والمؤمن معترف شكور، والشاكر بالمزيد موعورد، الكاند على الباب مطرود، فطوبي لمؤمن وويل للكفور، وماذا عليه لو آمن بربه؟ فكيف وقد ختم على سمعه وقلبه من قوم لهم قلوب بها لا يفقهون، وإن تركوا بسوء حالهم فهم عن غيهم لا يرجعون ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ (١)، حال بينهم وبين الإيمان سر القدر ولله الحجة البالغة، فلو شاء لهداهم أجمعين فكيف يعذر من ما عذر.

بالعدل عذب ربنا من عذب، وبالفضل غفر لمن غفر، تفضل على قوم فوجههم إلى الجنة، وعدل على قوم فعدل بهم إلى سقر.

فلو إجتهد أهل السماء والأرض لم يقدروا نفعهم، وكيف يعطيهم الخلق وقد حكم الخالق بمنعهم، ﴿ **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾ (٢)

إياك والنفاق فالمنافق لربه مخادع. ولا تطمع فى الخلاص بغير إخلاص، فالطمع سراب خادع .

ربما نفع الرياء فى ا لدنيا ولكنه فى الآخرة ضار لانافع. أهل الإخلاص على طريق من سلكها فقد اهتدى، و أهل الضلال قوم لايرجعون عن الضلال إلى الهدى، لايحذرون مصارع السوء ولايخافون عواقب الردى.

لقد ضرب الله للفريقين فى كتابه الآمثال ولم يتركهم سدى: فأما أهل الحق فصبروا عليه – وأما أهل الباطل فطال عليهم المدى.

لأولى الأبصار تضرب الامثال، وسماع من لاروح فيه محال . •

* * *

(١) سورة البقرة الآية ٦.
(٢) سورة البقرة الآية ٧.

لما خلق الله الخلق ادعوا محبته كلهم ، فأذا قهم من رحمته شيئاً من حظوظ النفوس ، فلم يثبت معه منهم شئ إلا قليل ، واشتغل الأكثرون بالنعمة عن المنعم ، ثم صب على الباقين البلاء والمحنة ، فاشتغل الأكثرون بالبلاء عن المبلى، ثم امتحن البقية الباقية بالعبادة الموصلة إلى الوصل فأقلهم من يمضى بذلك الحمد .

ليس للمخلوق من أن يكون خالقا ، لأن العبودية لكل من سوى الله وصف لازم لا يجد فيه بدًّا .

فمن كان على عبادة الله عاكفاً لم يجعله الله لغيره عبداً ، ولا بغير بابه واقفاً . ومن تكبر عن عبادة مولاه ابتلاه بعبادة من سواه ، حتى فرعون الذى قال أنا ربكم الأعلى ، كان بعبادة غير الله مبتلى، ولهذا قال الملأ من قوم فرعون : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، ويذرك والهتك (١) ، لما تكبر عن عبادة الحق ، وادعى أنه إله لجميع الخلق ، ابتلاه الله بعبادة الأصنام على وجه الاهانة والإرغام .

فاعبدرا الخالق معتقكم عن عبادة المخلوق ، وابتغوا عند الله الرزق فكل من سواه من فضله مرزوق .

أيها العبد . . إن كنت بربك مؤمناً فتحقق بالإيمان بالله، وكن فى عبادته وإلى عباده محسناً، وتدبر أمثال القرآن، فقد ضرب الله للناس فيه من كل مثل.

إنما فائدة ضرب المثل : ظهور ما خفى من حسنٍ أو قبيحٍ فى وصف أو عمل

ضرب الله سبحانه وتعالى فى كتابه المثل«بالحمار» لعالِم أقبل بلسانه على دراسة العلوم ثم أعرض بقلبه عنها،و«بالكلب» لعالم أتاه آياته فانسلخ منها، و« بالحجارة » لقساة القلوب،و«بالأنعام»لمن همه فى المأكول والمشروب،و« بالعنكبوت»فى ضعف من اشتد فى عبادة المخلوق مثله،

(١) الأعراف الآية ١٢٧

و«بالذباب» في عجز الأوثان عن استنقاذ ما سلبه بفمه أو علق برجله.

لو علم المخلوق قدر نعمة الخالق عليه، لوعلم المرزوق بعض إحسان الرزاق إليه، ولو لم يكن إلا نطق لسانه وشفتيه وسمع أذنيه ونظر عينيه وبطش يديه وسعى رجليه إذاً يسجد لله سجدة شكر لم يرفع رأسه منها إلى يوم الوقوف بين يديه.

فكيف و أنتم عن ذكره وشكره غافلون؟ بل أكثركم لأمره مخالفون، يدعوكم إليه وأنتم فارّون، ويأمركم أن تؤمنوا به و أنتم فريق منكم بربهم كافرون **﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾** (١)، غذّاكم في ظلمات الأحشاء كما يغذي الثمر في الأغصان ثم أخرجكم من الظلمات إلى ضوء الفضاء وسعة الأوطان، ثم وعدكم أن ينقلكم من عتمة شقوة الدنيا إلى روح نعيم الجنان. كم أنتم بلقائه لا توقنون، ولنعمته لا تشكرون، **﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾**،كنتم أمواتاً في أصلاب الآباء فأحياكم في بطون الأمهات، ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد هذا الممات لجزاء يوم الميقات، وهو للمتقين يوم العرض الأعظم، ولكنه على العصاة حسرات، ثم يرجعكم إليه ويبيحكم النظر إلى وجهه الكريم، ويذيقكم من رحمته لعلكم تشكرون، ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون، **﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾**

* * *

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨ .

نعمٌ تــــرادفَ إثْرهـــا نعمٌ   هذا هو الإفــضـــال و الكرمُ
غمرتْ أيــاديــه بــريــقه   فــأنارَ منهــا العـرب والعــجمُ
أترى سلكنا برحــمــتــه   داراً يدوم لأهـلـهــا الـنعـم

* * *

اللهم بلغنا برحمتك دار كرامتك يا أرحم الراحمين.

* * *

المجلس الثالث والعشرون

تفسير سورة القدر

الحمد لله . . الذى له مقاليد السموات والأرض، وبيده النفع والضر، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما فى البر والبحر، إن أسررنا فهو يعلم السر، و إن جهرنا فهو يعلم الجهر، و إن استرزقنا فهو يبسط الرزق، و إن استنصرنا فهو ينزل النصر، أرسل إلينا رسولاً جبر منا كل كسر، وأغنى منّا كل فقر، وأنزل علينا كتاباً شرح منّا به كل صدر، ورفع به منّا كل قدر، شرع لنا فيه حج البيت الحرام، وصيام شهر الصبر.

فسبحان من خص من شاء من خلقه بما شاء من فضله، لا يعارض معارض فى حكمه، ولا يسأله سائل عن فعله، جميع العالمين بتسخيره مذللون، ولتقديره مسخرون، ﴿ **لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون** ﴾(1).

* * *

كيف السبيلُ إلى سعادة من ... حَكَمَ القضاءُ بأنه يشقى
من كانت الأقدار تُهبطه ... هيهات يطمع أنه يرقى
كيف البقاء وقد جرى قلمٌ ... في اللّوح أن الخلق لا يبقى
كل الذي سبق القضاء به ... حتم الوقوع وكائن حقّا
فاصبرْ لحكم الله وارضَ به ... ما قد قضى لابد أن يلقى

* * *

(1) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

بـــابٌ منه

تبـارك الذي جـرت بالسـوابق أقـلامـه ، ومـضت في الخـلائق أحكـامـه، وأوضح طريق الخير والشر ، أمره ونهيه وحلاله وحرامه .

أحـمـده حـمـداً يتصل به إنعـامـه . وأشكره شكراً يفـوق دوام السـمـوات والأرض روامه .

وأشـهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له لو باشـرت القلب الجلى واستنار ظلامه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أكمل الله ببعثه دين الإسلام، وأتم بشرعه معالم الحلال والحرام، فاستمر الدين كماله، واستقر من الشرع تمامه؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة باقية ببقاء الدهر وبعدما تفنى لياليه وأيامه، خصوصاً على خليفته: الإمام أبي بكر الصديق الذي رجح موازين الأمة ميزانه ، وسبق اسلامهم إسلامه. وعلى فروقه: الإمام عمر بن الخطاب الذي ما زالت أيام الإسلام به زاهرة، وشرائع الدين ظاهرة، إلى أن فجعنا به حمامه.وعلى ذي النورين: عثمان بن عفان، الذي كتب القرآن، وأرسله إلى أمصار الإسلام، فلا تصح الصلاة إلا بما احتوى عليه إمامه. وعلى أبي السبطين: الإمام علي ابن أبي طالب، الذي أفحم القائلين كلامه، وهزم الضالين إقدامه. وعلى سائر الآل والأصحاب، ومن اتبعهم بإحسان على منهاج السنة والكتاب حتى لا يبـقى أحـد من حـزب الله يوم المآب، إلا تغـمـده من العـزيز الوهاب: صـلاته وتشريفه وإكرامه .

اللهم . . واهد ثواب ما نتلوه من كتابك العزيز إلى أمواتنا وأموات المسلمين(١).

اللهم. . نور بالقرآن ظلماتهم، وضاعف بثواب القرآن حسناتهم، وارحمنا

(١) راجع في وصول ثواب القرآن للميت كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي / من تحقيقنا ط دار إحياء الكتب العربية

فيما بقي من أعمارنا، وإذا صرنا إلى ما صاروا إليه أكرم نُزُلنا يوم القدوم عليك، يا أكرم من تقدم الوفود عليه. افعل اللهم ما سألناك من الخير بنا وبسائر المسلمين، واحشرنا وإياهم في زمرة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

هذا مجلس عقدته قدرة العزيز الرحيم .

لله علينا باجتماعنا فيه خير كثير وفضل عظيم ، لأنه مجلس لذكر الله وذكر آلائه، لم يحضره إن شاء الله إلا من هو ولّى الله أو محب لأوليائه .
فاجعلوا شكر نعمة الله عليكم فما يهديه من الهدى فى هذا المجلس إليكم ، أن تحضروا بالقلوب كما أنتم بالأبدان حاضرون ، وتكونوا عاملين بما أنتم له سامعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون .

* تفسير سورة القدر *

نستنزل رحمة الجليل ، بتفسير شيء من التنزيل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر* تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر* سلام هي حتى مطلع الفجر** ﴾ (١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا ، ثم كان الله ينزله على رسوله نجوما بعضه في إثر بعض، فذلك قوله :﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾(٢) وقيل : بل كان في كل

---

(١) سورة القدر كلها .
(٢) راجع الموضوع فى فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ١٨ الطبعة الأولى مصر / بيروت ــ من تحقيقنا

سنة يستنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ما تحتاج إليه الأمة في تلك السنة، فيكتبه السفرة في هذه الليلة . كما قال تعالى :﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾.

وإنما سميت هذه الليلة ليلة القدر : لأن الله تعالى يقدر فيها أمر السنة إلى السنة الأخرى أحكام بلاده وعباده ، وكذلك عظّم ا لله قدرها بقوله :﴿وما أدارك ما ليلة القدر﴾ تعجيباً لنبيه ﷺ من جلال قدرها . ثم نبّه على شرفها وفضلها فقال :﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قال مجاهد : قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر .

ثم قال تعالى :﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها ﴾ الروح : هو جبريل عليه السلام، يهبط جبريل والملائكة إلى أرض القدر بإذن ربهم . أي بأمره ينزلون، كما قال تعالى عن الملائكة : ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ .

قوله :﴿ من كل أمر﴾أي ينزلون بكل أمر من الخير والبركة لصُوَّم شهر رمضان.

وفي قوله : ﴿ سلام هي﴾ أمران :ـ أحدهما أنها ليلة سليمة من كل آفة وعاهة وبلاء وفتنة حتى مطلع الفجر ، أي إلى مطلع فجرها .ـ الثانى : أن الملائكة إذا مرّوا بمؤمن أو مؤمنة في الصلاة سلّموا عليه من ربه يقولون : سلام عليك يا مؤمن تصيب كذا وكذا من الخير . يخبرونه بما سيلقى في سنته ، حتى يقولوا له : وأنت متزوج فلانة . ولا يسلمون على مدمن خمرٍ ولا ساحر ولا كاهن ولا مصرّ على الزنا .

فطوبى لعبد وفق لموجبات الرحمة ، ورزق عزائم الغفران ، واستمر على فعل الخير إلى حين الخاتمة ومفارقة الشيطان .

اليوم : سوق الآخرة كاسد ، وسوق الدنيا في نفاق . فلهذا عمل الدنيا علينا سهل وعمل الآخرة شاق ، فإذا تجلى من أمر الآخرة ما هو اليوم مستور عن الخلائق ، تمنينا أن أيام الحياة كانت كلها صياماً وقياماً ، ووددنا لم نعط

من الدنيا إلا ما كان لابد أن يكون قواما .

فاستهينوا اليوم بركوب الأهوال ، في الحصول على الوصول إلي إحراز الوصال ، قبل أن يفرط الأمر ، ويزجو البحر ، ويخرب القصر ، ويعمر القبر، ويكاد المُقَام أن يكون على جمرة ، وحسرة أحر من الجمرة ، ويسكر سكر ندامة لا سكر خمرة .

***

لَهْفَ عُمري على انقضاء العُمر ... في ذنوبٍ أنْقَضَ الوِزْر ظهري

استهل الشّهرِ الشّريف فيمضي ... من حِياتي وما انتفعت بشهري

أيها الحائز الوصال هنيّاً أنا ... ماذقت غير طعم الهجر

ما مُرادي إلا وِصَال حبيبي ... ليلة الوَصْل منه ليلة قَدْر

مَنْ سفيري إليه في كشف ضري ... مَنْ شفيعي إليه في جبر كسري

لذّ السمع يا سميري بذكر ... اسم حبيبي فذكره روح سرّي

قل وخذ مهجتي جزاك منّي ... بسم الله يجلو هموم قلبي وصدري

قَاسمه راحتي وروحى وأنسي ... في حياتي وفي مماتي ونشري

***

اسم الحبيب الأول ، اسم من ليس على غيره يعُوّل . كل ما نحن فيه من بعض ما خوَّل ، ما سلا عن حبه إلا من قد استحوذ الشيطان على قلبه .

***

يامن عليه في الخُطوب معوّلٌ وبه إليه تَشَفُّعي وتوسُّلي
عذلوا عليك وفي الفؤاد صَبَارٌ يلهى المسامع عن كلام العُذَّل
قالوا هواه قاتلٌ فأجبتهم لا رأي لي في الحب إن لم أُقتل
يامن يُحب سوى الجواد لمحسن البّر الرّحيم المُنْعم المتفضل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأوّل

* * *

أما القلوب فموقوفة عليه ، وأما الأرواح فمرتاحة إليه ؛ وأوصلوا الصوم عما سواه ، لتحرزوا منه الوصال ، ولا ترى ليلة العيد إلا ليلة الانتقال .

لا يزال وليّ الله من صومه عما ألهى عن الله موثقاً في القيود ، فإذا مات استهل هلال العيد واستطلع طالع السعود .

* * *

ما العيد عندي سوى وصالٌ لو وفيتني روعة الصدود
إن نلْتُ ممن أُحب وصلاً فذلك اليوم يوم عيدي

* * *

الصائمون ثلاثة ، والمعيّدون ثلاثة :

ـ صائم عن المفطرات المتناولة للبطون والفروج . ومعيّد إذا أذن شهر صيامه بالخروج .

ـ صائم عن المحرمات المحظورة في الكتاب والسنة . ومعيّد إن زحزح عن النار وأدخل الجنة .

ـ وصائم عن كل ما ألهاه عن مولاه . ومعيّد إذا قدم عليه تلقاه برضاه وتجلى له حتى يراه .

فصم هذا الصوم بهذه النية ، فإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نواه .

* * *

صمت دهري عن كل شي سواكم وجعلت التَّعْييد يومَ أراكم
ليس سُؤْلي سوى رضاكم فمنُّوا يا أحبتي برضاكم
لا نعيم إلا نعيم هواكم كما لا عذاب إلا عذاب قلاكم
أنا مستشفعٌ إليكم بذلّي وخضوعي لعزِّكم وغلاكم
بكم وقد حلفت لا زلت في السَّير مُجداً حتى أحُلَّ حماكم
ولو أنّي أطعتُ أغمضت عيني عن جميع الوجود حتى تراكم
إن أنَلْ وَصْلَكُمْ بالفضل منكم أو أُمتْ في هواكم فِداكم

* * *

من كان في الله مماته ، كان بالله حياته . ومن كان في الله هلاكه،كان في الله نجاته . فوجهوا الوجوه إليه ، واذبحوا النفوس عليه ، ولا تؤملوا راحة دون لقائه ، ولا تمدوا أيديكم إلى غ عطائه .

فكل من لا يجبره الله فهو كسير ، وكل من لا يغنيه الله فهو فقير .

لا تنال الفضل إلا مِنْ جود مَنْ كل الورى مِنْ فضل جوده سائل ، إلى نَدَاه فقير .

كم له من عتقاء صاروا من ملوك الآخرة ، بعدما كان في قبضة السعير السيد أسير . يا فقر من لم يحصل على الغنى من فضله ، ذاك الذي مات عطشان وهو وسط غدير .

اطلبوا حياة القلوب من موت الذنوب ، وأحيوا ما بقي من لياليكم في خدمة علاّم الغيوب . واغتنموا عمراً باقيه لا يبقى ، وماضيه لا يؤوب ، يا من

قد شاب وهو بالذنوب مشوب ، يا غيبة احتوت على كل غيوب ، بادر، فالشمس قد تدلت للغروب ، والعمر كالثلج كلما جاءت يذوب .

غرس الله كرامة أوليائه ، ثم ختم عليها ، فلا أُذُن سمعت بها ولا عينٌ نظرت إليها . فإذا كان يوم الجزاء فضّت تلك الختوم ، وظهر السر المكتوم ، فندم أهل التقصير حين لا ينفع الندم ، ونادى منادي الكرم : سيعلم أهل الجمع اليوم، من أولى بالكرم ، إنهم المتقون ، وما أدراك ماهم ؟ هم الذين تركوا في مرضاة الله مشتهاهم ، وخالفوا في موافقة الحق هواهم . فلو قيل لهم : تمنوا . لكان القرب مناهم . ولو قيل لهم : ترقّوا لكان إلى الحضرة مرتقاهم .

أولئك الذين أنعم الله عليهم وأرضاهم ، لأنه لم يفقدهم حيث أمرهم، ولم يرهم حيث نهاهم .

جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم ، وبلّغنا مناهم .

* * *

المجلس الرابع والعشرون

طلب الوصال

الحمد لله المستمر الدوام والبقاء ، وهو أهل الحمد والشكر والمدح والثناء هو الرب الواحد وكل منِ سواه مربوب ، ليس لعاقل من دونه معبود ، ولا لعارف غيره محبوب ، خلَق الخلق ليربحوا عليه ، ثم شرع لهم ما يقربهم به إليه ، ويحظيهم به لديه .

فالصلاة نورهم ، والصوم طهورهم ؛ فمن أقام الصلاة ، وأدام الصيام، فقد حصل له بربه الاتصال ، وتم عليه منه الإنعام ؛ ومن لا صلاة له ولا صيام فهو أضل سبيلاً من بهيمة الأنعام ، نصبت له موائد الكرم ، فلم يجلس مع الكرام الذين أخمصوا بطونهم من فضول الطعام ، وأصمتوا ألسنتهم عن لاغيات الكلام ، وفرّغوا قلوبهم للمناجاة فى جنح الظلام ، فارتقوا إلى ذروة الرزق ، وسقط غيرهم في مهول الحرام .

***

مسّني الضُّر من ركوبِ ذنوبٍ ... أثقلتني بالوِزْرِ والآثام

كم زمان معظَّم فيه ترجى ... توبة من ركوب ذنبٍ حرام

ثم يمضِي يومي وشهري وعامي ... وسقامي كما عهدت سقامي

خادمُ الله لا يملُّ من الخدمة ... حتى يسقى بكأس الحِمامِ

***

يا من أفرح لهم الهجر قلبه ، قم إلى طلب الوصال .

ويا من قد أثقل الأوزار ظهره ، اطرح عنك هذه الأثقال .

راجع المعهود ، وراع العهود ، واغسل بحلاوة الوصل مرارة الصدود .

* * *

أقبلَ الوصلُ حين ولّى الصُّدود ... فربيعُ الأفراح غَضٌّ جديد

ورواق الإقبال والعزِّ والبهجة ... والأنس فوقنا ممدود

وقميص الهجران والصدِّ والإعـ ... ـراض والبيْن والقلَى مقدود

قُمْ فقد أُنجز لك يا مسكين ... من تحت تلك الوعود

كاد عوْدُ الوصال ينسى فعاد ... ألماً فيه واخضر ذلك العود

وانقضت دولة الشقاء والحزن ... وأوفى سرورنا السُّعود

إن توفي الأيادي وتوفي ... بوعود البُشرى وترعى العهود

احذر الطَّرد بعد ذا الصُّلح ما ... في كل وقت يصالح المطرود

تب إلى الله من ذنوبك في ... وقتك هذا فالوقتُ وقت سعيد

لا تعدْ الذنوب فالنّكس[1] في ... الإسقام بعد الإبراء منها شديد

* * *

هذا وقت توبة المصرِّين ، وتشمير المعصِّرين ، وإقبال المعرضين ، وانتباه الغافلين .

فأذيبوا شحوم الشبع بنار الجوع ، واتشحوا بمشقة السهر راحة الهجوع ، وقللوا حضور الأشواق اللعينة ، واعتزلوا الشواغل الملهية ، وأشركوا صلحاء الفقراء في طعامكم ، وضموا الأرامل والأيتام إلى عيالكم ، وأطيبوا المطاعم ، وصونوا الجوارح ، ونزّهوا النفوس ، وطهروا القلوب ، والزموا الطاعة ، وعانقوا القناعة ، وأديموا العبادة ، وأكثروا الذكر ، وأقلوا اللغو ، وأنزلوا أنفسكم بقية

(١) النكس والانتكاس : عودة المرض إلى المريض بعد شفائه منه وهو اخطر من المرض الأول .

العمر بمنزلة مريض بحمى ، أياماً قليلة رجا عافية الدهر ، أو بمنزلة كسير يحتمل مشقة الرباط ليحصل له الجبر .

* * *

قد أطلتم صدّي وطرْدي وهجْري ... فمتى تَجْبرون بالوصل كسري

مسني الضر مذ هجرتم ومالي ... غيركم من أرجوه يكشف ضري

كم بعادٍ وجفوةٍ وصدودٍ قد ... فنى في البعاد والهجر بعدي

طال عنكم بالبعد صومي فمتى ... تغرب شمس النأى ويحضر فطري

يوم عيدي إذا انقضى الهجر عنّي ... أما ليلة الوصْل فهي ليلة قدري

آهٍ واقبح تفريطي في ساعتي ... ويومي وعامي وشهري

من مجيري من الذنوب فقد ... ألبس وجهي شيئاً وانقضَّ ظهري

كلما تبت قد نقضت فما ... أخوفني أن أزور قبري بوزري

عند ربٍّ الخير الكثير ... ولكني حرمت الخير لشرّي

ربِّ جد لي برحمة تغسل العار ... وتمحو وِزري وتصلح أمري

* * *

من عرف الله بالرحمة رجاه ، ومن عرفه بالانتقام فحق له أن يخشاه ، ومن عرفه بما هو أهله من كمال الجمال انشرح برحيق هواه عن رجائه وخوفه حتى يلقاه .

* * *

أصوم لوجهه عمّا سواه	فلا إفطار لي حتى أراه
وأحمي منية الدارين قلبي	فما لي فيه إلا رضاه
وكل هوى يميل إليه صب	عليّ محرم إلا هواه
أوالي من يواليه بجهد	ولست بخاضع لسوى علاه
ولست بطالب لسوى يديه	ولست بخانع لسوى علاه
أرجى القرب منه وهو معط	يبلّغ كلّ ذي أمل مناه

* * *

الأوقات الشراف مواسم الأشراف ، يعرفون لها جلال قدرها ، ويرغبون إلى الله في عظيم تزيد العامل نشاطاً في العمل ، وتطلق العاطل من عقال الكسل .

فأقيموا في هذه الأوقات المباركة دين الله حق الإقامة ، ولا تهتموا بتحصيل الغنيمة إلا بعد احراز السلامة ، فإن فاعل الخير غانم ، وتارك الشر سالم ، العاقل هو الذي تهمه سلامته من المعاطب ، قبل أن يهمه تحصيل المكاسب .

فردوا المظالم إلى المظلومين ، قبل أن تتصدقوا على الفقراء والمساكين . واجعلوا عنايتكم بأوامر المفروضات والواجبات ، مقدمة على التطوع بالنوافل والمستحبات . وصونوا بطونكم عن المكوس والغصوب ، قبل أن تصونوها عن المأكول والمشروب . وامسكوا ألسنتكم عن الكلام القبيح ، وأطلقوها بالتهليل والتسبيح . فإنما ينتفع المريض بشرب الدواء ، بعد الحمية من أسباب الداء .

فأما أهل التخليط على نفوسهم في أمر أبدانهم وأديانهم فهيهات أن يقوم ربحهم بخسرانهم .

* * *

أسّس الدين بالتُّقا يرتقي كل مرتقى إنما ينفع الدواء إذا صادف التُّقا
كلما قلت قد مضى زمن الصبر والشقا عدت في سجلّ سوء حالي باليد موثقا
مذ غبت عن مقلتي دمعها قطره أرقا ارحموا مذنفاً يذوب عليكم تشوّقا
صومه مدّه الفراق أتى ساعة اللقـ ـاءعيده يوم يصبح العودبالوصل مورقا

* * *

العاصي لا يزداد بطول الحياة إلا مقتاً وطرداً ، وكل صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر لا تزيد العبد من الله إلا بعداً .

ما عَدَلَ من خلقه الله ورزقه ثم صار لغير خالقه ورازقه عبداً ، ويوجب بمخالفته مقتاً ، ويطمع أن ينال وداً ، ﴿ **أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً** ﴾[1] .

أكْذَبُ الرجاء رجاء أهل الإساءة ، وأسوأ الجزاء جزاء أهل المعصية ، وأمقت الخلق إلى الله عبد مسيء في عمله ، معجب بنفسه .

من صام وأفطر على الحرام فلا صام ولا أفطر ، ومن حج بنفقة من حرام لم ينظر الله إليه ولا إلى حجه .

اجتهد أن تتوب قبل أن تموت ، فما أعسر خلاص من لقي الله مصراً على ذنبه .

إذا لم يتيسر لك ترك جميع الذنوب فاترك الكبائر والمظالم ، فإن الصلاة والصيام والاستغفار تكفر ما سوى ذلك من المآثم .

إذا عاملت ربك بأمرين كفاك ما سواهما : الإسلام والتوبة . فإن أضفت إليهما التمسك بالسنة فأنت من ملوك الجنة ، فإن رزقت مع ذلك الذكر الكثير الخالص فأنت من ملوك أهل الحضرة .

نافسوا في اقتناء النفائس ، فإنما يجني أحدكم ماهو اليوم غارس . كم من فارس اليوم وهو غداً راحل ، وكم من راحل اليوم وهو غداً فارس .

---

(١) سورة مريم الآية ٧٨

لا إله إلا الله ، شارع الشرع بحكمته .

لا إله إلا الله ، مجازي العاملين بجنته .

لا إله إلا الله ، مخصص العارفين بحضرته .

لا إله إلا الله ، غامر الخلق برحمته .

الذين أسهروا له العيون ، وأخمصوا له البطون ، فهم طول دهرهم عما سواه صائمون ، وفي مسجد الخلوة عليه عاكفون .

جعلوا مدة الحياة صومهم ، ليكون الموت عيدهم . وقنعوا أيام العاجلة بالخَلَق ، ليلبسوا في الآخرة جديدهم . فلما أنجزوا لله من أنفسهم وعوده ، أنجز لهم من نفسه وعوده . فآوى طريدهم ، وأدنى بعيدهم ، وعوضهم من شقائهم سعوده . إنهم قد جعلوا أنفسهم عبيده ، فجعل الولدان المخلدون عبيدهم .

من كان عبداً فذاك مولاه الموالي ، ومن تولاه أضحى على الخليقة والي

* * *

وَلّى عن الكون لما وَالَى الجنابُ العـالي ... يا فـوزَ عـبـدٍ له الرّبُّ مُكرِمٌ ومُوالي

قد حلّ من قُرب مولاه بساميات المعالي ... ونال من طيبِ وصلِ الحبيب كلَّ منالي

مُسَرْبَلاً بسَرَابيلِ العـزِّ والإقـبـال ... لا يخطر الخوفُ من غير الله منه ببـال

يا حَسْرتا ضاعَ عمري فَحَالَ بالبُعد حالي ... كم ذا تشوف نفسي بصالح الأعمال

وإلى مـتى أترجّى بلوغ أمـرٍ مـحـالِ ... لا يبلُغُ المجـدَ إلا بالشّدّ والتـرحـال

والزّهد في دار دنيـا قـد آذنت بزوالي ... والصوم حتى يكون التّعييد يوم وصالي

* * *

جميع الطاعات والعبادات التي يتقرب بها إلى الله المتقربون ، لها شريعة يرويها الناقلون . وحقيقة يفقهها العارفون . ولا شريعة ولا حقيقة إلا وهي فيما

جاءنا به عن الله المرسلون . فمن عمل بالظاهر المعتاد ، وأهمل الباطن المراد، فليس هو من أولي الألباب ؛ لأنه اشتغل بالقشر عن اللباب .

رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب ، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ والتعب ، فأمّنوا إلى ظاهر الشريعة باطن الحقيقة ، واسلكوا مع السالكين إلى الله أحمد الطريقة ، وافطموا هذه النفوس عن سوء الرضاع، فإنما شرعت لكم الطاعات لتنقلكم عن رديء الطباع .

إلى متى أكلاً وشرباً ونوماً ؟ فقد آن أن تذيبوا شحوم الراحة والشبع صلاة وصوماً ؛ فكل ما أنتم فيه عما قليل زائل ، ولو كان دائماً لا يزول فما هو بطائل ، ولا له حاصل .

أين أنتم عن مخاوف البر الرحيم في جنات النعيم؟أين أنتم من لذة المناجاة إذا أرخى سدوله الليل البهيم؟يالها لذة ما ذاقها إلا ذو فطن هضيم، وقلب سليم ﴿**وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم**﴾(١).

عبادتان مؤكدتان في عبادة الإسلام : إحداهما ـ الصلاة . والأخرى ـ الصيام . ومن أدمن فعلهما غفرت له الإساءة ، وضمن له الإحسان ، وسلك في محجة الإيمان إلى دار الأمان .

إنما كان الصوم والصلاة موجبين لغفران الذنوب لما فيهما من تطهير النفوس وإصلاح القلوب ، فالصوم يجلو عن مرآة الباطن ، والصلاة يجلى فيها ما هو من الشر كامن .

فيا خيبة المحجوبين ماذا فاتهم من المشاهدة ؟ لأنهم رضوا أن يبيتوا وبطونهم ملأى وعيونهم راقدة ، ليلهم أضغاث أحلام ، ونهارهم لغو الكلام وكسب الحطام ، فهيهات أن يذوقوا من حلاوة مناجاة الله ما ذاق أهل الصلاة والصيام.

* * *

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٥ .

لو أدمتُم عمّا سواه الصّياما | وأطلتُم جُنح الظلام القياما
وأقمتم في الصّلاة له فَطَوْراً | رُكّعاً سجّداً وطَوْراً قياما
لوجدتم لذَاذَةً لم يذُقْها مُستلذًّا | إلا الملوك الكراما
حُمْ على ما حاموا عليه عسى | تُكتب ممّن على المكارم حاما
دُمْ على السّير مُدنفاً وصحيحاً | لم يصل غير من على السّير داما
قُمْ على الباب خاضعاً وذليلاً | لم يلج غير من على الباب راما
أم ذاك الحمَى المنيع تصير | في خيرِ للمتّقين إماما
صُمْ عن الغبَائر إنّما | ذاق طعم العيد من عن غير الأحبةصاما
حام عن ذلَك المجد الأثيل | فلا ماجد إلا الذي عن المجد حاما
لائمي كف وكيف أصفى | وفي القلب مِن الوجد ما يذود الملاما
أنا إن همت في هواه فكم | من ذي حِجى في هواه هاما

* * *

لو درى المطرود مافاته ، ومن أين للمطرود أن يدري ،لذرف دموع الأسف حتى تظل على الخدود تجري ، سرت الركاب إلى وصال الأحباب وركابه لا تسري ، ما شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ومن الناس من يشرى .

* * *

عيلَ في حبِّك صبري | وتحيّرتُ بأمري
أَطلب الوصل فلا أُعْطَى | سوى صدٍّ وهجري
مسّني الضّر وفي قدره | حتى كشف ضري
ليلة أنظر فيها | وجهه ليلة قدري
جبروني بوصال | طال بالهجران كسري

* * *

اللهم اجبر كسرنا ، واكشف ضرّنا ، يا كريم يا رحيم .

مواعـــظ مهمة

موعظة فى انتظار الفَرَج

اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى، أنت وحدك صاحب الأمر وإليك المنتهى

فمن ذا يرجو سواك ، أو يخشى لك الآخرة والأولى ،وبيدك مفاتيح الرحمة والهدى ،من حصل له منك الرضا فأولئك لهم الدرجات العلى ، ومن يحلل عليه غضبك فقد هوى ،فأمه هاوية لظى .

المعافي من عافيت ، والمبتلى من ابتليت ،والحكم ما حكمت ،والقضاء ما قضيت .

كل معبود سوى وجهك الكريم باطل ، وكل مُلكك الكبير زائل ،وكل ظل سوى ظلك الظليل قالص ،وكل فضل سوى فضلك العظيم ناقص .

سبحانك وبحمدك كما ينبغي لعز جلالك ورفيع مجدك ، سبحانك وبحمدك عدد نعمك ومدد رفدك ، بيدك البسط والقبض ، ولك مقاليد السموات والأرض . الرضا منك أهم الهمم ؛والرضا عنك فرض الفرض .

اللهم فارزقنا الرضا منك ،ووفقنا للرضى عنك ،ولك الحمد على كل الأحوال وفي جميع الأحيان وبكل المستعان وأنت المستعان وعليك التكلان،فمن أكرمته فهو المكرم ، ومن أهنته فهو المهان ، ومن خذلته فهو المخذول ، ومن أعنته فهو المعان . لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض، الحنان المنّان . حنانيك يا حنان ،يا من ببابه لقاصده مما يخاف أمان ،وحالي أنت تعلمه ،وهل على الرب يخفى حالة ومكان .

* * *

إذا لم تَجُدْلي أنت من ذا يَجُودُ لي — إذا لم تَعنّي أنت كيف أُعان
إذا لم تحطْني أنت من ذا يحوطني — إذا لم تصنّي أنت كيف أُصان
أتيتك أشكو من عدوانهم — على كل ما خوّلتنيه أُخان
حسبتهم عوني فلم أر — سوى أن على النائبات أعانوا
قريني ونفسي ثم دنياي والهوى — ظننتم لما زامنين فشانوا
وقد كان عني الغشّ منهم معيباً — فها قد بدا لي اليوم فهو عيان
إلى متى كم أنا بين العدى وإلى — متى أُضام على المدى وأُهان
عسى فرج من راحم بملابسي — من الدّين والتقوى من أدان
فمن وفّق الرحمن فهو موفّق — ومن يعن الرحمن فهو معان

* * *

واعلم أنه كأن لم تكن شدة إذا كان بعدها فرج ، وما أطيب حلاوة التوسعة إذ يشتدّ الحرج ، لا تعرج في شدائدك على غير باب الله فما على غير باب الله منفرج ،ولا تستغث بسوى العزيز الرحيم عند إحاطة الكرب العظيم، فهو المنجي من الهلاك والمنقذ من اللّجج .

ما أعز جناب من احتمى بجنابه ، وما أوثق أسباب من تمسّك بأسبابه ،ذاق طعم الذل من وقف على غير بابه ، وتاه في أودية الضلال من استهدى بغير كتابه .الحمد على ما أنعم به من كتابه المستبين ،وصراطه المستقيم ،ونسأله تمام نعمته في إقامة دينه المتين ،ومتابعة رسوله الكريم ، كان صلى الله عليه وسلم .

بالرجوع إلى الله تعالى في كل حال ،لعلمه بأن الرجوع إلى غيره ضلال ، وأن ليس من سواه إلا خيبة الآمال وفاسد المآل.

* * *

في غير وجودك خابت الآمال ورجا رحمة من سواك محال
وسلوك كل الطرق في طلب الغنى إلا طريقك حيرة وضلال
فإذا رضيت فكل نار جنة والمرُّ حلوٍ والصدود وصال
وإذا غضبت فكلُّ نور ظلمة والربح خسرٌ والنعيم وبال
هبْ لي رضاك فما أبالي بعده إن نلته أن لا أنال منال

* * *

أيها العبد المخلوق في كبد ، استعن بالله وعليه استند، فنعم العون ونعم المستند ،ولا تعتمد على أحدٍ سواه ،فما في الوجود إلا إياه ، من عليه يعتمد.

واصمد في حوائجك إليه ، فهو الله الصمد ، كم فرج من كرب ، وكم ثقف من وادٍ وكم نظر إلى ذي شقوة فأسعده إلى الأبد.

* * *

يا من علاه الحزنُ والكمدُ وامتد في مكروهه الأمدُ
وغدا إماماً في الشقاء فما في عظم بلائه أحد
أقصد لضرِّك باب مقتدرٍ ما خاب وفد في بابه قصد
قل يا مفرِّج كلِّ ضائقة وعليه دون الخلق يعتمد
يا من إذا ضاقت مذاهبنا فإليه في التَّفريج يستند
ها قد صمدت إليك ملتمسا فرجى وأنت الواحد الصَّمد

* * *

إذا أردت أن تعرف بعض ما لله أهله من تفريج الكروب، وإغاثة الملهوف والمكروب ، وإغاثة الملهوف والمكروب، فتذكرما كنت فيه في ضائقة الأحشاء، إذ لا تبطش مع من يبطش ، ولا تمشى مع من يمشى مسجوناً في أضيق

السجون ، لا تشعر بما يكون وما لا يكون قد جمع بطنك ، وساقاك إلى فخذيك ، وخررت بذقنك على ركبتيك، مربوطاً بالرُّبط اللوازم ،مقموطاً في قمط المشائم، لا تعرف الليل من النهار ، ولا تفرق بين الغائب والحاضر مكتوف اليد والرجل والسمع والبصر ، لاتستوحش لمن غاب ولاتستأنس ممن حضر.

يخلق خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ليس لك إلى غير الله ملجأ ،ولا من دون الله مستعان ،فبينا أنت في تلك الضائقة والحرج ،لا يقدر أبواك ولاغيرهما على توسعة ولا فرج ،إذ أرسل الله إليك من ملائكته الألطاف من حل عنك تلك الروابط ،وقطع عنك ذلك الكتاف ،ثم دبّرك وأنزلك من لطفه بما لا تهتدي العقول إلى وصفه ، فإذا أنت في سعة الفضاء بعد ضيق تلك الأحشاء محفوفاً مرحوماً بأنواع الأرزاق من الأجانب والأقرباء، هذا يلقي عليك ناعم الثياب ، وهذا يسقيك بارد الشراب ، مخدوماً محفوفاً مرحوماً مكنوناً فيما اشتهت نفسك من لبن لم يتغير طعمه، بقدرة الخالق دروره،وعند الرزاق علمه.

حتى إذا تمت نعمة الله عليك في تمام نشأتك ،و بَلَغْتَ النهضة والمعرفة لا بحولك ولا بقوتك،تحملت من الهموم،وعلقت لغير كرم الله آمالاً،وتخيرت في شدائدك من ذا تعول ، ولا ترجع إلى صانعك فيما نابك ولا تهتدى إليه، كأنك كنت المدبّر لنفسك في أطوار الأرحام والأصلاب .

جدد إيمانك،فقد ارتبت بضمان خالقك،كذلك يضل الله منهو مسرف مرتاب

اللهم . . اهدنا ،ولا تضلنا ،يا أرحم الراحمين.

* * *

في ذمّ الملاهي

الحمد للّه الذي لم يجعل لعباده التّحاب في غير مرضاته ، تعجب الناس من دوام إقبالهم على اللّه وهم يرون الإعراض عنه عجباً ، أدبهم اللّه بمعالم دينه فأحسنوا في معاملته أدباً .

فإذا أردت الوصول إلى ما وصلوا بسلوكهم إليه ، فأقبل على ما أقبلوا عليه ، وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، كيف يلهو من وراءه برزخ إلى الموت بناصيته معقود ،ثم بعد الموت ظلمات الضرائح وضيق اللحود ، ومن ورائه برزخ إلى الوقت المعلوم واليوم الموعود ، ثم إن نجا ، فبعدكم ينجو ؟ والسحق في نار الخلود ، فاستعد لذلك كله استعداداً صادقاً لا زوراً ولا كذباً وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً .

هب أنك لهوت في زمن الشباب ، وعذرت في سهوك وأوقات غفلتك، فما عذرك اليوم في اللهو ؟ قد زجرك الإسلام والشيب عن الغفلة والعطلة والخوض واللغو .

تب إلى اللّه واتخذ الطاعات قرباً ، وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

* * *

طُوبى لمن مراضِيَ ربّه رَغِبَا ... ومن مَصَارِع أهل اللّهو قد هربا

قد وطّن النّفسَ أن اللّه سائله ... ففَرّ منه إليه مهيبا هربا

وللتّقي مركبٌ ينجو براكبه ... فيا نجاة الذي مع أهله ركبا

وللهدى رفقة فاسعد بصحبتهم ... فيا سعادة مَن أهل الهدى صحبا

لله درُّ عبـاد قُربه طلبـوا لم يطلبـوا فـضـة منه ولا ذهبـا
سـاروا بعـزم وتشـمـيـر ومـا اتخـذوا في سيـر دنيـاهم لهـوا ولا لعـبـا
الصّدق مـركـبـهم والحقُّ مطلبهم لا زور مازج دعـواهم ولا كـذبا
أقـامـه الذين هم لا رغب في الأجـر إن غـيـرهم في الأجـر رَغبا
كـذلك الاسـد لا تبـتـغي إذا وثبت إلا الفـريسـة ليـست تبـتـغي السلَبـا

* * *

أهل العـزة باللّه والغـفلة عن الله ، لا في ثوابه يرغـبـون ولا من عـتـابه يرهبون، فكيف يطمعون في معرفته وهم بما عنده جاهلون ولأوامره مخالفـون، وإذا ذكّروا لا يذكـرون ، وإذا رأوا آية يستسخرون ، وكأيّن من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .

أُمروا بعبادة الخالق وخُلقوا لمعرفته ، فلم يقبلوا منه ولا أقبلوا عليه.ونُدبوا إلى الإنابة والإسلام فلم يسلموا له ولا أنابوا إليه ، ولولا جهلهم بما أعد الله لأوليائه لم يطلبوا إراحتهم إلا عند لقائه ، ولم يجعلوا رغبتهم إلا فيما لديه فهم عن إجابة داعي الحق متثاقلون ، و إلى اتباع خطوات الشيطان متسارعون، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

ما أجهل من أعرض عن سماع القرآن،وأصغى إلى مزامير الشيطان؛ما أغفل كل من هتف به داعي الكرامة أجاب داعي اللهو والهوان والخسران؛ما أخسر من رفض بضاعة الطاعة واقتنى بضاعة العصيان،فتقطع عن قوم هم بالله متصلون ،متصل بقوم عن الله منقطعون ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1]

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[2] .

* * *

(١) سورة البقرة الآية ١٧١ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٣ .

مـن حادَ عـنـك قـــــرابُه الجنُون | والعــقل في الإعــراض عنك جنُون
وعــــلا مثْواك الدّنيء فكـل من | لـم تعْله التّقـــوي فـــذاك الدُّون
أشكـو إليك البعــد فـهـو بليّتي | مـن لـم تقُربُه فـكـيـف يـكـون
كـــان الأنام يرون أني عــاقل | ظنًّا وكـم يخطـى الصـواب ظنون
لما خنتِ وقـــد هجـرتم بانَ لي | ولـهـم بأني جـــاهـلٌ مـــجنون
قـــوم جنوبهم السّلُوّ ومـعـــشـر | في الحـب هامـــوا والجنون فنون

* * *

شتان بين قوم سلكوا طريق الغيّ وقوم سلكوا طريق الرشاد ، لقد خاب الرامي بهم الخطا وفاز الرامي بهم السداد ، كم من فقر سن في قبره السدس، وكم من مطروح على شوك العتاد.

فارحموا هذه الأنفس المسكينة وأكرموها عن الدنيا المهينة ، **﴿ اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾**(١)

* * *

يـا أيهــــا السّالكُ طريق الرّدى | قـــد اشــتـرى الغيّ وباع الرّشــاد
قـــــد آن تنحو طريـق الـهدى | وتــقتفـــي سيرَة أهـــل الـسّداد
يا سادة عقدَ ضميري بهم لا تسألُوا | إنّهم صــفــوة كل العـبــاد
مـــــاذا لـقـى عبّدكـم | من بعـدكم من ضرّ يوم البـعـاد
الجفْن قـــد طلّق لذيذ الكـرى | والجنبُ قـد فـارق لينَ المهـاد
لـو نـال طـرفـي مـنـكـم نـظـرة | كــانت لقلبى هى أقـصى المراد
قـد قلّ في دنيـا حظّى من الوصل | ترى مــا الحـــال يوم المعــاد
إن كـنـت فـي آخـــرتي هكذا | يا حـسـرة القلب وحـزن الفـؤاد

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٠

قد ثبت في العلم المحكوم له بالثبات أن العبد يموت على ما عليه عاش، ويبعث على ما عليه مات. فمن هنا ينبغي للمحجوبين اليوم أن يقيموا مآتم العويل خشية أن يقل نصيبهم من الآخرة من الوصل كما هو اليوم قليل ﴿**سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**﴾ (١).

فيا فجعة قلوب المحجوبين اليوم ، ماذا فاتهم والله الملك الجليل وحصلوا على الشقاء الطويل . هذا جزاء من سمع داعي الهدى فتصام عن إجابة الداعي ، هذا جزاء من سمع داعي الهدى فقصرت عن الوصول إلى الله المساعي، يالها حسرة ما أوجعها وحسرته ما ألذعها .

أما اليوم فقلب المطرود عن الإحساس بألم الفراق محجوب ، ولكن في غدى عذاب الجحيم له مباشر ، وعليه مصبوب . كان في ظل الحياة راقد فأيقظته رقدة الموت ، وكان عن سماع النصح متصام ، فأسمعه الصوت ، أطار النوم من عينيه ، وأزال الشكر من رأسه ، صرعه يوم الوعيد ،﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾ (٢).

* * *

كم بعـاد وجـفـوة وصدود ... نال مني عـدوكم مـا يريد

كنت بالأمس في الجناب قريباً ... وأنا اليـوم مبعد مطرود

يا عبـاد الرحـمن يامن هم ... في حـرز الله ركع وسجـود

فـاشـفـعوا بالذي أنتم بالقريـ ... ـب منه فـهـو الرحـيم الودود

اذكـروني فـاستفتـحوا إلي باباً ... هو في وجـه عـبـدكم مـردود

حلوا عـقـدة الصدود فـقـد ... ولى زمـاني والعد بي مـعـقـود

كل مـا لا يرضـيكم أنا منه ... تائب فـيـه بعـدها لا أعـود

اغـفـروا لي يا سادتي واضمنوا لي ... كلمـا عدت بعـدها لا أعـود

يا أهل الفـقـر المبيـر وأنتم ... أهل أن تبـذلوا الندى وتجـودوا

(١) سورة الجاثية الآية ٢١.
(٢) سورة ق الآية ٢٢.

قــد رثى لحالي الحسود مما ألاقــيــه ويا ذل من رثاه الحــــســـود
كل هذا من ســوء حظي محســـود ومن يعص شــقــوقي مــعــدود
ارحـــمــوني فليس غــيــر المولي راحم يلتــجىء إليــه العــبــيــد
كل عــبــد وإن تشــرد حــيناً فــإلى باب مــالكه يعـــود

* * *

موعظة في الزهد والقناعة

أيها الساكن في دار الفرقة والرحيل ، أيها الضاحك في مواطن البكاء والعويل ، لا تركن إلى دار الغرور ، فليس لعاقل إليها ركون ولا عليها تعويل، أما سمعت نعتها بالقلة في محكم التنزيل : ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ (١)من وثق بعهودها لم يجد لها عهداً ، ومن علق بوعود لا تفي لها وعداً ، حقها في كتاب الله الذم فكيف توليها حمداً ، بينما محبها معها في وصال إذا أولته صدّا وأردته بعدا ، أمدها قصير ونكدها طويل ،﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ .

* * *

يا آلفَ دَار البُكاء والعَويل	عمرٌ قصيرٌ وعناءٌ طويل
قد آن أن تزهد فيما بقي	منها فإن اللُّبْث فيها قليل
اقنعْ بأدنى عيشها وانحرف	عنها فما ظلّها من مقيل
عزيزها عمّا قليلٌ ذليل	صحيحها بعد يسير عليل
لاتصلح الدنيا لغير التُّقَى	والزُّهد والبر وفعل الجميل
فمن يرِدْها لسوى طاعة الله	فقد ضل سواء السبيل

* * *

طوبا لمن توكل على الله واعتصم بحبله ، وإذا نزلت به حاجة لمن ينزلها بمخلوق مثله، وإذا أجلب عليه الشيطان بخيله ورجله وثق بضمان من كل الخير في خزائنه وكل النوال من عنده .فتوسلوا بشافع كرمه إلى شافع نعمه، فلا خير إلا من عنده ، ولا عيش إلا في ظله ،﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ (٢)

---

(١) سورة النساء الآية ٧٧ .

(٢)سورة التوبة الآية ٢٨

عجبت لمن يؤمن بما في القرآن من ضمان ثم يهتم لرزقه ، ولم يؤمن بغنى الخالق وكرمه ثم يطلب حاجته من خلق الله .

هو الفاتق الراتق لا راتق لفتقه ولا فاتق لرتقه ، وهو أهل كل خير فإذا أردتم الخير فاطلبوه من أهله ، ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾ .

من علق نفسه بمعروف غير معروف الله فرجاؤه خائب ، ومن حدث نفسه بكفاية غير كفاية الله فحديثه كاذب ، لا يغيب عن عمله غائب ، ولا يعزب عن علمه عازب .

فتوسلوا بطاعته إليه ، وتوكلوا في حوائجكم عليه ، وآملوا الراحة عند لقائه ، ووجهوا الرغبة إلى ما لديه ، واسألوه يعاملكم بإحسانه ، واستجيروه أن يأخذكم بعدله ، ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾

* * *

أترى أفوز بوصل من	لا فوز إلا بوصله
وأقيل في ظل الذي	طاب المقيل ببرد ظله
يا طيب عيش البالغ ذاك	الجناب وطيب عيش أهله
من ناله نال المرا	م وفاز بالمطلوب كله

* * *

جناب الله أعلى مرتقى من أن يبلغه الراقي باستفراغ جهده ، وجنة الله أعلى قيمة من أن يتملكها المشتري بثمن من عنده .

ما للعبد إلا رحمة مولاه وعنايته بعبده ، فانفض عنك قصد من سواه وتحقق بانفراد قصده ، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده.

إياك والطمع فيما في أيدى المخلوقين فالمطامع قاطعة الأعناق ، وصن وجهك عن استرزاق المخلوقين وتوجه إلى الرازق ، أخلقت (١) مساءلة الخالق

---

(١) أي أبلت وقطعت .

وجوه السائلين فأين أنت عن الخلاّق ، اسأل من خيره ، واستعذ من شره، وتعرض لعطائه ورفده ، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبّح بحمده .

من رزقه الله الكفاف والعفاف فقد ألبسه ثوب الشرف ، ومن ابتلاه بالمسألة والإلحاف فقد أوقعه في مهواة التلف ، ومن جعل رزقه من كسبه وعافاه من الإسراف فقد وفّقه لسيرة السلف . فاسلك سبيل من تعفّف عن السؤال ، وترفع عن أوساخ أيدى الرجال ، وارض عن الله في جميع الأحوال، وثق بالخالق في ضمانه وصدق الوفاء في وعده ، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده .

* * *

إذا أثْقلتْك السّيـئـات بحمْلها	وأوقعك الشّيطان فيها بجهده
ولَحّت عليك النفسُ في شَهَواتها	وصرتَ لها شبه الأسير نفده
وضاق عليك الرّزق في كل مَدْخلٍ	ولم تلْق ذا رِفْد بجود رفده
وأمسيت ذا فقرٍ ودينٍ وغربةٍ	وهمٌّ قد أحاط بجنده
وأحضرْتَ ذكر القبر والموت والبلَى	بقلبك حتى ضقت صدراً بردّه
وفكّرْتِ في يوم الحساب وما احتوى	عليه من الهوْل الشّديد وإدّه
وخفْتَ من الخيرات التي من ثوى بها	فذاك من الخيرات آخر عهده
هنالك فارفع قصة الحال ثم قف	على باب مولى سامع صوت عبده
وقل يا كريم انظر إلى حال عاجزٍ	فقيرٍ عمى لا يهتدى طرق رشده
خزائنه فيها المطالب كلها	توكّل عليه ثم سبّح بحمده

* * *

موعظة في اليقين

الحمد لله الذي من اتبع هواه فلا يضل ولا يشقى ، ومن آمن به وكفر بما سواه فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن لم يتخذ من دونه وكيلاً فهو المؤمن حقًا ، ومن لم يتحقق بالإيمان فقد سبق إلى كل الخيرات سبقاً .

* * *

كن مؤمناً بالله حقًا ... تسبق إلى الخيرات سبقاً

كم يدَّعِ بلسان الإيمانِ ... إقراراً ونطقاً

فإذا اختبرت يقينه ... لم تلقَ ذاك القولُ صدقا

* * *

لو أيقن المخلوق أن له على الخالق رزقاً ، ما كان يعبد بعد خالقه لأجل الرزق خلقاً .

شهادة أن لا إله إلا الله توجب عليه أن لا نتخذ من دون الله وكيلاً، ولكننا نقر بها إقراراً صحيحاً ، ونعتقدها اعتقاداً عليلاً .

لولا سقم العقائد لبنت منا القواعد ؛ أما القول فقائم ، وأما العمل فقاعد، وأما الهوى فمستيقظ ، وأما العقل فراقد .

إذا حضرنا مجالس الذكر فالقلب غائب ، والجسم شاهد . فأحضروا الأفهام قبل الأجسام ، واستعدوا لتدبر المعنى قبل سماع الكلام ، ولا ترضوا أن يكون حظكم من معرفة الله تلبُّسكم بظاهر الإسلام ، ولكن طالبوا أنفسكم بتحقيق دعواها، وامنحوا معرفتها باللهفي نزل مشتهاها ، فإن هي تركت من

خشية الله كلما كان نهاها ، وإلا فاتهموا بضعف اليقين . فمن ضعفه قوى الشيطان على العاصين ، ومن ضعفه ثقلت الطاعة والعبادة على البطّالين، ومن ضعفه ساءت ظنون المرتابين . ولو قوي يقين المخلوق بأن الله إليه في كل وقت ناظر، وعليه في كل حال قادر ،لما خطرت مخالفة الخلق له في خاطر ، ولما قصّر في طاعة العزيز القاهر ، في فعل ما هو به أمر ، وترك ما هو عنه زجر .

فاستجيروا بالله من ضعف اليقين ، فإنها آفة الظاهر والباطن .

* * *

بقلبى من الأشواق داءٌ مخامرٌ ... إلى غائب عن ناظري وهو حاضر

ولو صدقت دعوى اشتياقى ... لم يكن لجسمي بعد البعد إلا المقابر

وكم مدّعٍ للشوق يزعم أنه ... كئيب حزين دامع الطرف ساهر

ولو كان في دعوى المحبة صادقاً ... لزار حماهم والسوق شواهر

وكم قائل آمنت بالله وحده ... وفي قلبه شرك خفيٌّ وظاهر

إذا سمع القرآن لم يصغ سمعه ... كأن ليس في القرآن ناهٍ وآمر

ويسأل رزق الله من فضل خلْقه ... ويخضع في أبوابهم وهو صاغر

ولو كان في الإيمان بالله موقناً ... لسدّت بفضل الله منه المفاقر

فلا توتِرْ بالقول مما تقوله ... فكم مؤمن بالقول والفعل كافر

* * *

ثلاثة من الناس عناؤهم طويل ، وحاصلهم قليل ـ المبتهل في الدعاء وغذاؤه خبيث.

ـ والدارس للعلوم وفهمه بليد .

ـ والمجتهد في الأعمال ويقينه ضعيف .

* مثل المجتهد في الدعاء مع الاغتذاءبالحرام : كمثل الرامي بالسهام في هدف

من رخام .

* ومثل كثرة الدرس مع بلادة الفهم : كمثل الاستكثار من الطعام مع سوء الهضم .

* ومثل المجتهد في العمل مع ضعف اليقين : كمثل تطويل البناء على غير أسٍّ مكين.

إذا أحسست من نفسك بضعف اليقين ، فاستكثر من ثلاثة أشياء :

ـ أحدها : إجالة الفكر في آيات الحق سبحانه في سمواته وأرضه وسائر خلقه.

ـ ثانيها : النظر في المصحف وعلوم أهل اليقين الذين صنّفوا في تسليل الخلق إلى الخالق .

ـ ثالثها : مجالسة العلماء العاملين ، والصلحاء من أهل اليقين : الذين يفيدك النظر إليهم ، والإصغاء إلى كلامهم ، ورسوخ اليقين في قلبك

* * *

عليك بصحبة الأخيار حتى ... تصير لهم مُحبّاً مُستهاما

وإن هجروكَ أو ولّوك صدّاً ... فلا تزدد بهم إلا غراما

وصالهم الطّعام لكل روح ... ومن يبقى إذا عدم الطعاما

عباد مكرمون لخير مولى ... سقاهم من محبته مداما

وقد وقفوا نفوسهم عليه ... وفي مرضاته هجروا المقاما

وأهّلهم لخدمته فصفّوا ... ركوعاً أو سجوداً أو قياما

فلو أبصرتهم في الدهر يوماً ... بعينك أو سمعت لهم كلاما

لصار القلب منك لهم رهيناً ... بودّك أن تكون لهم غلاما

* * *

موعظة في الاجتهاد في الأعمال

عبادا . . ابذلوا في طلب مرضاة مولاكم المهج ، واتبعوا الكتاب الذي أنزل واسلكوا المنهج الذي نهج ، وإن لحقتكم في عبادته شدة أو حرج ، فكم في جنته من فرج **﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾** [1] .

أنفقوا في سبيله الأموال والأعمال،وجدّوا في طلب قربه آناء الليل وأطراف النهار،واحذروا البعد عن قربه فتمام شقوة المحبين بعد الديار،وادخلوا في زمرة المشتاقين فيا سعادة من فيهم دخل،ويا شقاوة من منهم خرج،**﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾** إذا هتف الفراق فيا أيها الذين آمنوا قولوا : لبيك ربنا وسعديك . فإذا سمعتموه يأمر وينهى فقولوا : سمعنا سمعنا وأطعنا ، خذ بنواصينا إليك . وإذا ندبكم إلى اتباع سبيل من أناب الله إليه فقولوا : دل حيرتنا عليك . وإذا حالت دون الوصال بحار الأهوال : فاقتحموا منها اللجج ، **﴿ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾**

* * *

اجتهدُوا في القرب من مَلِك	من وثوى بالقرب منه نجا
اقتلوا فيه النفوس أسىً	وابذلوا الأرواح والمهجا
اركبوا الأخطار في طلب	القرب منه واقطعوا اللججا
ما لكم من غيره فرج	فاطلبوا من عنده الفرجا
قطرة من لطف رحمته	تجعل المحزون مبتهجا

* * *

(١) سورة الحج الآية ٧٨.

سبحان من زخرت بحار كرمه بجواهر هباته ، وهطلت سحائب نعمه بمياه وصلاته . فتعرّضوا لنفحات رحمته ، وشمّروا في طلب مرضاته ، واتقوا الله حق تقاته ، ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ ،كيف تهملون شكر الله وكنتم فقراء فأغناكم ،كيف تقصّرون في إجابة الله وهو الذي إلى جنته دعاكم .

يا قومنا أجيبوا داعي الله ، وسارعوا إلى جنة كعرض أرضه وسمواته ، واتقوا الله حق تقاته ، الموت عما قليل بساحتكم نازل ، ومن نزل بساحته الموت فهو لكل ما هو فيه له مفارق وعنه زائل .

فتنبهوا من الغفلة ، فما تحسن الغفلة بعاقل ، واستعدوا للموت ، واستعيذوا من وحشة القبر ، واتقوا الله حق تقاته.

* * *

لادرّ درّ(١) البين ماذا لقي	محبكم من حرّ لوعاته
لله قوم طلقوا عيشهم	في طلب الله ومرضاته
ما همهم غير اتصال بمن	قد قتلوا الأرواح في ذاته
لم يعبدوا الله لينجوا من	النار ولا يحظوا بجناته
مناهم منه رضاه فما	زاد فمن أفضال عاداته

* * *

المنافسة في القرب من الله طريق أهل المعرفة بالله ،فاسلكوا طريق العارفين ،فإن عجزتم عن سلوك أهل العرفان فاقتدوا بسنة الخائفين .واحكموا صنعة مركب التقوى ،فبين أيديكم بحر لا ينجي فيه إلا سباحة السباحين . وكونوا على وجل من هجوم الأجل ،ولا تطغكم الدنيا ولا يلهكم الأمل ،واستعدوا لله بتقواه وإصلاح العمل ،واحذروا حسرة النادمين ،وصفقة

(١) أي لا كثر خيره .

الخاسرين ،﴿أن تقول نفس ياحسرتا علي ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾[1] .

***

نسيتُ الذّنب لما طال عهدٌ   وقد سطرته أيدي الكاتبينا
وأحصى الحافظال عليك ما   قد عملت على تضاعيف السنينا
ستحصد ما زرعت وسوف تجزى   إذا جزى الحبيبُ العاملينا
ستجني ما غرست وسوف تلقي   فعالك يوم نشر العالمينا
فمنقلب برضوانٍ وفوز   ومنقلبٌ بصفقة خاسرينا

***

يا من تُعدّ عليه الأنفاس عدّاً ، لا يستطيع لماضيها ردّاً ، ولا تجد من تناهيها بدّاً ، تغدو إذا نزل بك الموت أن تستنصر عليه جنداً ، ويوشك أن يرميك بحجر يهدم الآجال هدماً ، ويهدّ أسوار الأعمار هدّاً .

***

للموت مرادةٌ تَهُدُّ   قواعد الأعمار هدّا
وحسامُه عضب يقدُّ   متون كل الخلق قدّا
الخلد ليس بدارنا   فاطلب بدار الخلد خُلدا
وامهدْ لنفسك في ضريـ   ـحك من فعالِ الخير مهدا

***

العمر يمر مرّ السحاب ، ما مرّ منه لا يعود ، وما بقّي للذّهاب والمهلة تخدع خدع السراب ، والذهاب ليس له إياب ، والموعود يوم الحساب .

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٦ .

تجهّز فقد حدا الحادي بالركاب ، وتهيأ للسكنى تحت التراب . أما الزيت فقد نفد ، وأما الشمع فقد ذاب ، وأما الدنيا فقد تباعدت ، وأما الآخرة ففي اقتراب كيف البقاء وقد ولدت والموت مني في اقتراب ،حتى تمرّ به سفينة عمره مّر السحاب ، ما مّر منه لا يعود ، وما تبقى للذهاب .

قد آن لي أن أستعد لمصرعي تحت التراب ، وأُجوِّد العمل الذي أنجو به يوم الحساب .

أترى . . بأي يوم أُوفي يوم تقريري كتابي ؟ إن كان باليمنى : فيا طوبى ويا حسن المآب . أو كان باليسرى : فياويل ما ألاقى من عذابي .

يا رب . . لا تعضل يوم مسألتي جوابي ، واحفظ لساني عن أن يتـول بغير مقبول الصواب .

ثلاثة من الخلق لاتثبت لهم يوم القيامة حجة ، ولا تقبل منهم معذرة :

المتحجج بالقدَر ، يقال له : لم يقدِّر الله عليك إلا ما اقتضت حكمته فيك والمدعي الجهل بالله وبشرعه : يقال له قد تعرف إليك بنفسه يوم ميثاقه ، وقد ولدت على الفطرة ، وقد جاءك من الأنباء ما فيه مزدجر ، والمعتذر باستحواز الشيطان بالذكر ، فشغلت عن ذكر الرحمن حتي قيّض لك الشيطان فصدَّك عن سبيل الهدى ، وأُعنت على النفس بالعقل ، فأبيت إلا الميل إليه معها حتى أسلمك إلى الهوى ، وأتيح لك من حلال الدنيا ما فيه عن حرامها غنى، فما قنعت بذلك الغنى ، فالويل لمن لا يلقنه الله حجته ، ويقبل معذرته، ويعود بقوّته على ضعفه ، ويعامله بفضله ولطفه .

اللهم فعاملنا في الدنيا والآخرة بلطفك وفضلك . . واحملنا على حكم إحسانك لا على حكم عدلك . . إنك على حكم عدلك إنك جواد كريم .

* * *

موعظة فيما يقال فى الأوقات

يقال فى الأوقات الشراف: تبارك الله وسبحانه، ما أجل الله وما أعظم شأنه، من بعض آياته خلق الزمان والمكان، مخلوقات خير كل إنسان، وما وقف حكيم لها على حقيقة، ولا قام لباحث عليها برهان. فتعالى الله سبحانه، ما أظهر برهانه، وما أقهر سلطانه، خير العقول والفطن فيما ظهر من أمره وما بطن، لو لم يكن فيما أوجد الله من بدائع آياته إلاهذا الزمان وتصرف أوقاته، فأجيلوا هذه الأفكار فى مرور هذا الليل والنهار،! واعتبروا بما فيهما، ففيهما لأولى الأبصار اعتبار.

* * *

جبر كسري عليكم يهونُ ... معنَى ذاك قبل موتي يكون

فيزولِ الشّقاء وينفرج الهمُّ ... ويمضى الفناء وتعض الديون

قد أطلتم طردى وبعدى وصدّي ... والذى حلٍ بى لكم مستبين

مَسَّنِى الضُّر وانقضى العمر ... وامتد سقامى ما لى عليه معين

جلَدٌ راحل وضيم مقيم ... ونحول بادٍ وداء دفين

كل من لا ترضون عنه ولو ... حاز الأمانى فذلك المغبون

فاجبرونى فالقلبُ منّى كسير ... ودمع عينى من العيون غبون

أنا مسكينكم وفى بابكم ... ما زال يجبر ويرحم المسكين

* * *

اللهم ارحم افتقارنا، واجبر انكسارنا، ونور أسماعنا وأبصارنا، واجعل خضوعنا لك، واقبالنا عليك، وثقتنا بك، ورغبتنا فيك، ولا تلجئنا فى مطالب خيرات الدنيا والآخرة إلى أحد إلا إليك يا أرحم الراحمين.

موعظة فى التقوى

سبحان من أكرم عباده المتقين بالتقوى، فكل كرامة لا تؤسس على التقوى ليس لها ثبات ولا جدوى.

ما برح أهل خشية الله وتقواه يتركون شهواتهم من نفوسهم من خشية الله، ويؤثرونه بطاعته على من سواه، حتى أورثهم جواره، وبوأهم جنة المأوى، ومن جاور الله فى جنته فقد بلغ أورثه الخير الكثير، والملك الكبير، والغاية القصوى، والعاقبة للتقوى.

من عزم على قطع بحر الهلاك إلى ساحل السلامة فليركب مركب المتقين. ومن أراد الفوز والفلاح، والحصول بعد سلامة رأس المال على أكرم الأرباح، فليستبضع بضاعة المتقين. ومن أحب أن يكون الله وليه، فليوسل بوسيلة المتقين، فجميع مطالب أهال الدنيا حاصلة بغير طلب لأهل التقوى، والآخرة عند ربك للمتقين.

ارتقى طلاب العلى فى طلبها كل مرتقى وما بلغوا درجة أهل التقى، وارتقى طلاب النجاة كل المرتقى وما تحصنوا بحصن أهل التقى. شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم، بتناول الرزق قسم لهم مولاهم، وتفردوا فى الآخرة بالنعيم والبقاء، والآخرة خير لمن اتقى.

* * *

أترى أفــارق ذا العناء وذا الشــقــاء بوصــال سكان المصلى والتــقــا
وأحل بالمرقي الذي مــا فــوقــه لمريد غــايات المعــالي مــرتقــا
بجــوار أهل الدين والإحــســا ن والبــر والعــبــادة والتــقــا
يا ويح نفس ذوقــوها هجــرهم بعد التواصل كيف أمكنها البقا
النوم من بعــد التــرحل فــاقــد والدفع من يوم التــرفق مــارقــا
يــرقُّوا لمــن رقَّتْ لـه أعــــداؤه يقــضي الزمــان تجــمــرا وتحــرقــا
قــد آن من رِق النَّوى والبــيْن والــ ـهجر المبرح والفكر أن يعتقا
أخــذ الفــراق نصــيبــه فــهل لي بعد مــا أخــذ النصــيب من اللقــا
يا نفس إن رُقْت التــواصل فــاتّقي مــافــاز بالمحــبــوب غــيــر من اتقى

* * *

للمتقين فى تقواهم أربع مراتب، يلزمها أربع نتائج:

* المرتبة الأولى: تقوى الكفر. ونتيجتها: تحريم الخلود فى النار.

* المرتبة الثانية: تقوى المعاصى. ونتيجتها: الخلاص من العقاب.

* المرتبة الثالثة: تقوى فضول الدنيا. ونتيجتها: خفة الحساب.

* المرتبة الرابعة: تقوى كل شاغل يشغل عن الله، ولو كان من الغوافل المكسبة لثواب الله. ونتيجتها: وفر النصيب من النظر إلى الله عز وجل.

* * *

نهــايةَ مــقــصــودى وأقــصى مُنَاىَ أن يراني أهل للوصــال حــبــيب
إذا نالنى منه الوصــال ودام لي فــلا نالني ممن ســواه نصــيب

* * *

احذروا التقصير فى الطلب، ونافسوا فى معالى الرتب؛ وغالبوا من عاقكم عن الله، فإنما الدولة لمن غلب؛ واحذروا التقصير فى الطلب، لا تفتكم أعلى الرتب.

* * *

شمّروا فى السّير واجتهدوا · في اكتساب البر والقرب
و أطلبوا الله الكبير بما · في قوى الإمكان من طلب
لا تخلّوا النفس ترغب في · نفسة منه ولا ذهب
همة الليث الغضنفر فى · قبضة المسلوب لا السّلب
وكذا العشّاق ليس لهم · غير مسرَى الحبيب من إرَب

* * *

إذا سئلت عن أكشف الخليقة بالاً؟ فقل: هو محب بسهم البعاد ورمى. وإذا قيل لك: من أسوأ البرية حالاً؟ فقل: مخلوق إلى غير جناب الخالق مرتمى. ومتى أردت أن تعرف المعافاة من جميع البلوى؟ فهو الذي إلى سند التقوى مستند، وبحمى التقوى محتمي.

* * *

حظيتُ بنور الإيمان من · قلم التوحيد لا بالمداد والقلم
من لا يرى ما رأيت يوم بدَى · جمالك للعيون فهو عمي
ما عذر من لا يحبُّ خالقه · وهو أقام الوجود من عدم
وهو الذى عمّ بالعطاء إلى · أن عمر العالمين بالنعم
ذوّ المنّ والطّول والتّفضل · ولاإحسان والموهبات والكرم

الساعي إلى غير باب الله متعثر القدم، والشاكر لغير نعم الله مسلوب النعم، واللاجيء إلى غير حرم الله مباح الحرم. كل ركن سوى ركن الله منهدم، وكل حصن سوى حصن الله ينثلم.

من خاف فليلجأ إلى حرم التقى فهو الحرم المتقون، هم الملوك وغيرهم لهم خدم، حاذوا الرضا من فضل مالكهم وفازوا بالنعم، شهد النبي بأن تقوى ذي الجلال هي الكرم.

للتقوى اشتقاق يردها إلى أصلها، وحدٌّ يكشف عن حقيقتها، وعلامات تعرف بها، وأقسام تنقسم إليها، وأحكام يقضى بها عليها، ونتائج معجلة، وأخرى مؤجلة، وغاية إليها المنتهى، وجزاء ينفرد به المولى.

** فأما اشتقاق التقوى: فهي من الوقاية وهو الستر، فكما أن الوقاية لما يلقى عليها ساتر فكذلك التقوى تستر المتّقي من مكاره الدنيا والآخرة.

** وأما حد التقوى: فهي الإنحجاب عن الله بمراضيه.

** والتحرز: مخاوف العبد بالدخول فيما أمره الله بالدخول.

** وأما علامات التقوى: فاجتناب المحرمات والمكروهات والمسارعة إلى الواجبات والمستحبات.

** وأما أقسامها فثلاثة:

- تقوى الموجبات للعقاب.
- تقوى الموفقات للحساب.
- تقوى المانعات للثواب.

* أما الموجبات للعقاب: فهي الأمور الشيطانية. وهي: الكفر والبدعة، والمعصية.

* والموفقات للحساب: هى الأمور النفسانية . وهى : متابعة الهوى فى نيل المشتهى من فضول حظوظ الدنيا .

* وموانع الثواب:إما تثبيط الشيطان،أوكسل النفس،أو فساد الرأي،أو قلـــة

العلم.

** أما أحكام التقوى: فحكمان:

- وجوب استحباب التقوى.

- وأداء الفرائض.

* والتقوى المستحبة: التنزه عن المكروه، والتطوع بالمسنون.

** وأما نتائجها العادلة: فالسلامة من شر الشيطان والنفس.

** وأما أمورها الآجلة: فالنجاة من العذاب، والحلال من الحساب، والفوز بالجنة، والوصول إلى الحضرة.

** أما غايتها: فاستقرار الدخول فى الصالحين.

** وأما الجزاء الذى ينفرد به الله تعالى: فالنظر إلى رب العالمين.

* * *

من كان يَطمعُ أن يفوزَ بقُرب ربِّ العالمينا
ومنحه نظراً إليه إذا أباح الناظرينا

ويُعَدُّ من أهل الصَّلاح إذا يُعَدُّ الصالحونا
ويُجَارُ من سوء النّيات ومن عذاب الخاطئينا

فعليه بالتّقوى ففى التّقوى مرادُ الطّالبينا
ما فاز بالخيرات في الدّارين غير المتّقينا

يا ربّ فارزُقنْا مقام المتّقينَا
واغفر لنا يا ربّ ولجميع المُسْلِمينا

* * *

موعظة فى أشياء من نظام الدين

الحمد لله الذى جعل الكتاب والسنة محتويين على الهدى والنصائح فمن سلك سبيلهما فقد سلك إلى الفلاح الطريق الواضح، ومن عرِّيَ من ملابستهما فقد انتصب لأعين الناظرين في المقام الفاضح، ولاح عليه من شواهد الشقوة لائح.

لقد احتوت علوم الكتاب والسنة على إيضاح معالم الهدى، ومن سلك طريق الهدى فقد أمن من عواقب الردى.

* * أربع نصائح مستخرجة من أصول نصوص الكتاب والسنة، من عمل بها فقد سلم من سخط الله والنار، وحصل على رضوان الله والجنة وهي: التقى . والورع . والزهد . والعبادة.

وهذه الأربع نظام الدين، من أقامها مُحيت عنه الشقوة، وكتبت له السعادة.

* فاتق الله باجتناب المحرمات تكن من التّوابين.
* وتورع عن اقتحام الشبهات تكن من المتطهرين، ومن مات وتطهر فقد صار من أحباب الله، والله محب التوابين والمتطهرين.
* وأما الزهد فهو: ترك ما زاد على قدر الضرورة فى الدنيا، وبه تتخلص من الحساب الطويل.
* وأما العبادة فهى: إقبالك على خدمة المولى، وبها تحصل الثواب الجزيل وتدخل على الملك الجليل.

* * *

هل إلى وادي التُّقَى مِن سبيلِ ... فهو قصدي ونهاية سُؤْلي
منذ فارقت رؤياه لم يطب ... لي من بعدها من مَقيل
كنتُ فيها قائم الجاه عَالي ... القدْرِ في خدمة مولى جليل
فتبدَّلْتُ بعدها بعزّي ذلاًّ ... فارحموا غُربة عبدٍ ذليل
فأَدْنوا فى القرب منكم قليلاً ... ما قليلٌ منكم بقليل
طال في دار البِعَاد عَنَائي ... من مجيري من عناءٍ طويل
ليس نومي بعدكم بحلال ... ليس صبري عنكم بجميل
روِّحوا بالبعد عنكم كربتي ... بردِّوا بالقرب منكم غليلي
ذكركم حَادَى رِكَابي إليكم ... وسناكم في السير دَليلي
كان تعويلي عليكم فلمّا ... نبتم لم يبق غير العويل

***

الواجب على كل موهوب ومسلوب أن لا يزال فى اللجأ إلى الله والاستغاثة على قدم الدءوب، أما الموهوب فيزداد ولا يسلب، أما المسلوب قليلاً يدوم.

ولكى توهب، لا تذهب عن باب مولاك، فما للعبد عن باب مولاه مذهب، لا تركب غير سفينة الكتاب والسنة، فما لطالب السلامة بسواهما مركب.

لا تشرب من غير حوض الشرع، فليس فى القيامة غير حوض الشرع مشرب.

لا تستعذب غير طعم الإيمان، فما عذْبٌ سواه إلا وهو منه أعذب

كل المطالب وإن طال المدى تُسلب، إلا الهدى والتقى فاجعلهما المطلب بالهدى استقام السالكون على الطريق؛ وبالتقى يخلص المتورطون من حلق القبر؛ وبالورع سمت للمتقين تقواهم، وبالزهادة تخلصوا من شواغل دنياهم

لعبادة مولاهم.

فمن زهد وتورّع واتقى، فقد ارتقى من مقاعد الصدق كل مرتقى.

فأما التقوى فذكرها كثير في القرآن لفظاً ومعنى.

وأما الورع والزهد فمدحهما والأمر بهما كثير لا باللفظ لكن بالمعنى.

فكل ما في القرآن من ذم الدنيا فهو مدح للزهد، وكل ما فيه من الأمر بالتثبت والتيقن فهو أمر بالورع.

فليتجنب المؤمن العاقل البصير القليل من مشتبهات الأمور، والقليل والكثير من الحرام. وليعلم أن بين يديه حساباً دقيقاً وحساباً طويلاً، ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾(١).

* * *

تُمسي وتُصبحُ عن الطّاعات معْمُولاً لا تستطيع عن السّوْءَاتِ تحْويلا

كم ذا تجازِف منطوقاً ومفعولاً وكل ذا عنه العبد مسئولا

* * *

كم من سلك طريقاً يظنه واعراً، وكم من شرب صافياً يحسبه حلواً فإن مرّاً؛ بيّنا هو شارب خمراً، وساكن قصراً: إذ صار الخمر جمراً، والقصر قبراً ﴿ **وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً** ﴾(٢).

وكلما يُرى من أهوال يوم القيامة ما لأحد مطمع منه في السلامة إلا من أتى الله بقلب سليم، إذا أدركته مراحم العزيز الرحيم.

فأحكموا من اليوم صنع مركب المسير، فبين أيديكم بحر عميق، مسافة قطع ذلك اليوم العسير. واجعلوا التقى والورع مساميره، وصدق العزيمة

(١) سورة الإسراء الآية ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة الطلاق الآية ٨ .

وإخلاص النية شراعه وملاّحه، والخوف المزعج، والشوق المقلق مقاديفه ورياحه. فما دامت الريح لكم طيبة فاغتنموا إلى الله المسير، وإن جاءتكم ريح عاصف فاستعينوا باللطيف الخبير، فنعم المغيث ونعم المجير.

***

مالضعفيي من الخطُوب مُجيرٌ ... غير أن يرْحَمَ اللّطيف الخبير
إن أكُنْ جاهلاً فأنت عظيم ... أو أكن عاجزاً فأنت قدير
قد أطاحت المخاوفُ من كل النّواحي ... ومـا سواك مجير
ليس للعبد غير مولاه في الكرب ... مجير بغوثه يستجير
يا قويٌّ ارحمني فإنّي ضعيف ... يا غنيٌّ ارزقني فإنّي فقير
كَسَرَتْ قلبي الذُّنوب وفي ... بابكَ يجبر المكسور
أنا أشكو إلى معَاليك أني ... مستضام مُستضعفٌ مقهور
كنت عن حضرة الوصال قريباً ... و أنا اليوم مبْعدٌ مهجور
مسّني الضرُّ من قريني ومن نفسي ... ومالي سواك مُجير
ربِّ هبْ علينا منك نصراً ... أنت نعم المولى ونعم النصير

***

ما انتصر المحارب في مواطن حربه بمثل التغوث بمراحم ربه وتصحيح العزيمة على التوبة من ذنبه. و المتغوّث بالرب محتاج إلى صدق التوجه واللجاء، والتائب من الذنب مفتقر إلى صحبة أهل الورع والتقى. و إنما يتمكن من الورع من هو زاهد في الدنيا، لأن حبها لا يدعك تتورع مما فيه شبهة، إذا كان تناوله شهوة. فتدرّع بدرع الزهد في الشهوات، واتق ربك بترك المحرمات و أداء المفترضات، و تحبب إليه بما أطعت من فعل المستحبات، فحينئذ نوفيك على أبوابه، ونقّربك من جانبه، ويدخلك في جملة أحبابه، فإن سألته أعطاك، و إن

دعوته لباك، و إن استنصرته على عدوّك نصرك، و إن اعتذرت إليه من تقصيرك عذرك، وكان سمعك الذي تسمع به، وبصرك الذي تبصر به، آخذ بيدك كلما عثرت، مغنياً لفاقتك كلما افتقرت، إن أسأت عاملك بالغفران، و إن أحسنت ضاعف لك الإحسان. هذه معاملة الله لأهل التقى والورع، فهل أنت ممن إذا وعظ أصغى واستمع؟ وبما فهم من الحكمة والموعظة انتفع؟ أم أنت ممن همه النوم والشبع؟ إذا جاءه النهار رعى ورتع، و إذا جاءه الليل التف واضطجع .

* * *

منذ صبْح الضــــوء قــــد سطعــــا ووميـــــضُ الموت قــــد لمعــــا
مــــا لجســــمي لا يذوبُ أسيٍ مــــا لطرفي بعـــدهم هجــعــــا
مــــا لقلبي حين أســـــمـــعه ســـائقَ الإظْعان [1] مـا انصدعـا
كـــــان حــــقّي أن ترى كَبَدي يـوم سَارَوا إثْرَهمْ قــطعــــــا
أخْبَروهُم أن عــــبــــدهم حــــدّه للبين قــــد ضـــرعـــا
كــــان لي مــــجــد بقــربهم مذْ بانوا عن ناظري اتضـــعـــا
كـــــان لي شــــمـل فشتّته صـــارخ التــــفــريق حين نعى
يا لهـــا صــــرخـــة مـــلأت كل قلب ذاقـــهـــا وجـــعـــا
اهبطوا منهــــا نقف فــــرحـــاً بعـــدها للصب مــــا رجـــعـــا
مــــا بقي غـــيــــر البكاء إلى أن يعــود الشمل مـجـتـمــعـا

* * *

يا عبّاد القريب المجيب، أقدروا قدر فراق الحبيب. كنتم في نعيم حين كنتم في جواره ثم صرتم في شقاء.

ضجّوا تحت سياط الهجر، وعجّوا وألحّوا في طلب الوجل ولجّوا، صلوا

---

(١) هو السير في السفر .

وصوموا وتصدّقوا حجّوا، واحذروا أن تبعثوا في جملة الهالكين، فأقل الناس من ينجو.

بعث للنار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فلم يبق للجنة إلي عشر عُشرنا ، ولعلهم المتقون الورعون، الذين للقرآن مستمعون،وبما سمعوا منه منتفعون، إذا اتضع غيرهم في وهاد المعصية فهم إلي ذوى الطاعةمرتفعون، و إذا تفرق غيرهم في شعاب الضلال فهم إلى شعب الهدي مجتمعون.

* * *

لله قوم تواصوا بالصبّر في طلب العلَي — على الورع والتّقوى والزّهد مُجتمعون
يتلي القرآن عليهم فيحضرون قلوبهم — مصغون نحو التالى إليه مستمعون
يسارعون إلي ما فيه الرّضا من ربهم — ويقبلون النصائح والكلام يعون
لم يعلموا ليقولوا بل يعلمون ليعلموا — فهم لصدق النّية بالعلم منتفعون
سموا إلي المجد لمّا دعاهم داعي الهُدي — فهم مدى الدّهر فيه راقون مرتفعون
إذا دعوا للدنايا تمنعوا وترفعوا — لكنهم للعلي ذي الجلال منصعون
يالهف روحي عليهم ياشوق قلبي إليهم — حازوا وصال المولى ونحن منقطعون

* * *

اللهم .. لا تقطع بنا دون الاتصال بك ولاتصرنا عن توجُّه أهل التوحيد إليك وأدخلنا في أهل التقى والورع والزهد والعبادة.

واجعل موتنا من كل شرٍّ راحةً، وحياتنا من كل خير زيادةً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيّين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كلٍّ وسائر الصالحين.

وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

آخره و الله أعلم.

تم هذا الكتاب المبارك
بعون الله
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين



الفهـــرس







